

المركز الوطني للدراسات والبحث



في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

الاستيطان الفرنسي وتأثيراته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة البصنة

سلسلة المشاريع الوطنية للبحث

المركز الوطني للدراسات والبحث



في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

الاستيطان الفرنسي وتأثيراته الاجتماعية

والاقتصادية والثقافية في منطقة البحنة

رئيس المشروع

أ.د. صالح مليش

الأعضاء

د. بيزم كمال

د. يعيش محمد

د. جويبة عبد الكامل

د. أحمد مسعود سيد علي

سلسلة المشاريع الوطنية للبحث

تصدير بقلم معالي الوزير

السيد الطيب زيتوني

إنَّه لمن دواعي الفخر والاعتزاز، أن أدبج هذه السلسلة الجديدة من المشاريع الوطنية للبحث، ضمن منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، والتي تميّزت كسابقاتها بمادة علمية قيّمة ودراسات فكرية مفيدة وأبحاث رصينة ستساهم في إثراء المكتبة الوطنية، وتفتح آفاق أرحب في مسعى الإحاطة بالتاريخ الوطني.

إنّ مسألة كتابة التاريخ الوطني ستظل تحتل حيزا متزايدا من اهتمام الدولة، وقد أصبحت منذ سنوات عديدة على رأس الأولويات التي تخصّها ببرامج مختلفة وبتسخير كافة الإمكانيات والظروف لتوثيق المعارف التاريخية وتنويع أوعية نقلها ضمانا للتواصل بين الأجيال لصون وديعة الشهداء الأبرار وحفظ أمانتهم.

وفي هذا الإطار، ووعياً بالأهمية الحيوية التي يكتسيها التاريخ في حياة الأمم والشعوب، باشرت وزارة المجاهدين بتعليمات سامية من

فخامة رئيس الجمهورية، المجاهد عبد العزيز بوتفليقة، تشجيع الباحثين والمؤرخين والأساتذة الجامعيين للقيام بدراسات وأبحاث حول تاريخ المقاومة والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ومنها الدراسات التي تدخل ضمن إطار سلسلة المشاريع الوطنية للبحث.

وباعتبار أن كتابة تاريخنا الوطني يجب أن تكون مواكبة معنى ومبنى لنضالات الشعب الجزائري وتضحياته الجسام في سبيل الحرية والانعقاد، وهي مهمة حساسة تنطوي على أبعاد استراتيجية وسيادية تهدف إلى تنقية الكتابات التاريخية من رواسب المدرسة الكولونيالية ومضامينها المشوهة، فكتابة التاريخ كما قال فخامة رئيس الجمهورية المجاهد عبد العزيز بوتفليقة "أمر جاد.. وذلك لأهميته فلا بد أن تُعْهَدَ هذه الكتابة بما تستلزم من جدّ وخبرة علمية حتى يصبح لنا تاريخ لا غبار عليه، يضيء طريقنا نحو المستقبل، ويذكرنا دائماً بماضينا لكي نستخلص منه العبر والدروس فننتقي الصالح والمفيد".

إنّ نشر المعرفة التاريخية رسالة عظيمة وغاية نبيلة أنيطت بمؤسسة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، رسالة تتطلب تضافر جهود الجميع من وصاية وإدارة المؤسسة وباحثين وأساتذة مختصين لبلوغ المرام وهي جهود في الحقيقة

نراها تتعزّز وتتجسد من يوم لآخر من خلال إصدار هذه السلسلة الجديدة من المشاريع الوطنية للبحث التي تناولت في طياتها قضايا تاريخية عديدة تمّت معالجتها من طرف باحثين من مختلف جامعات الوطن يشهد لهم بالكفاءة والتقيّد الصارم بالمنهجية العلمية التي حرصنا لأن تكون هي مرتكز هذه الأعمال لإفادة أجيالنا بالمعرفة التاريخية الحقيقية حول رصيد أمتها ومآثر شعبها الذي زكّى تاريخه بتضحيات عظيمة في الأنفس والنفائس.

ومناسبة صدور هذه السلسلة الجديدة من المشاريع الوطنية للبحث، لا يسعني إلا أن أثنى كلّ المبادرات والمجهودات التي تقوم بها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لمرافقتنا في مواصلة إنجاز البحوث والدراسات حول تاريخنا الوطني، بما من شأنه تعميق الشعور بالاعتزاز بركائز هويتنا الوطنية وتحسينها، والشكر موصول إلى كل الباحثين والمؤرخين الذين ساهموا في هذه المشاريع وأثني على جهودهم الهادفة لتدوين وتوثيق إسهامات الشعب الجزائري عبر التاريخ وتدوين مورثنا التاريخي والثقافي.

وفقنا الله جميعا لما فيه خير الجزائر وعزّها وكرامتها.

وزير المجاهدين الطيب زيتوني

تقديم بقلم مدير المركز

التاريخ هو الأمم وحضارتها والشعوب وثقافتها، وهو أيضا معرفة الماضي لتقويم الحاضر وبتقويم الحاضر نبني المستقبل.

بهذه الرؤى والمعنى السامي للتاريخ دأب المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 منذ تأسيسه على إيلاء الأولوية الكاملة لمشروع الحفاظ على الذاكرة الوطنية ضمن استراتيجية متكاملة تعمل في آن واحد على استغلال الأوعية والوسائل التكنولوجية في عملية الحفاظ والتبليغ للذاكرة التاريخية وفي نفس الوقت استغلال المادة الخام والوثائق الأرشيفية كانت أو شهادات حية في تدوين التاريخ الوطني بمنهجية علمية أكاديمية لاسيما ما تعلق بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة التحرير المظفرة.

في هذا السياق يتشرف المركز الوطني بإصدار المجموعة الثانية من مشاريع البحث المنجزة في إطار البرنامج الوطني للبحث العلمي، والتي كان له شرف تأطيرها والسهر على إنجازها.

وإذا كان المركز يصبو من خلال إصدار هذه السلسلة العلمية إثراء المكتبة التاريخية وبث الوعي الوطني بترسيخ قيم أول نوفمبر في

وجدان أبناء الوطن ليعتزوا بماضيهم المجيد، فإنه يسعى أيضا إلى تحفيز الأساتذة الجامعيين والباحثين الجزائريين وتدعيمهم من أجل سبر أغوار تاريخنا الوطني وإعادة صياغته بمنهجية علمية وموضوعية تتماشى والرؤى الفكرية الحديثة.

وبهذه المناسبة، لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى معالي وزير المجاهدين السيد الطيب زيتوني على رعايته الكريمة لهذا المشروع وكذا وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والأساتذة الباحثين على ما قدموه من مجهودات جبارة من أجل إنجاح هذا المشروع العلمي الوطني.

أ. جمال الدين ميعادي

تقديم:

إن أية متابعة جادة لموضوع الاستيطان في الجزائر لا بد أن تواكبها دراسة متكاملة لطبيعة الاحتلال الفرنسي في الجزائر ومشروعه الاستيطاني من جهة، وطبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمناطق مراكز الاستيطان الأوربي المستحدثة بالجزائر. وهنا تستوقفنا طبيعة حركة الاستيطان الفرنسي البعيدة عن المدلول اللغوي البريء، لأن هناك فرق كبير بين طبيعة الاستعمار الفرنسي بالجزائر وغيره خارجها، والحديث هنا عن هذا الانفراد الفرنسي يكمن في تطابق الظاهرة الاستعمارية الفرنسية بمشروع الاستيطان الغربي الذي أدى إلى تحولات جوهرية وعميقة في بنية وكيان الامة الجزائرية، على المستوى الوطني والمستوى المحلي، والذي أخذنا نموذجاً له منطقة الحضنة.

الحضنة منطقة سهبية أقرب إلى التل منها إلى الصحراء، وذات انبساط واسع وهيكل بشري متنقل، ساهمت حركته المستمرة في بروز رغبة متزايدة للاستعمار الفرنسي وسياسيه وعسكريه إلى تسلط متسارع على أملاك هؤلاء الأهالي. كما ساهمت قبائل الحضنة خلال مقاوماتها للتوسع الاستعماري بداية الاحتلال في ظهور سياسة استعمارية تهدف إلى القضاء على روح المقاومة وتفتيتها باستبدال تواجدتها بعنصر بشري غريب من الأوربيين.

موضوع البحث هذا يطرح إشكالية أساسية في تاريخ الجزائر، وهي إلى أي مدى كان تأثير الاستيطان على الجزائر في أريافها وبواديها العميقة بجزئياتها وللإجابة على مختلف جوانب الإشكالية رأينا من الضروري إمكان طرح جملة من التساؤلات:

- 1- كيف خضعت الحضنة للاحتلال الفرنسي ومراحلها والمقاومات الشعبية.
- 2- ما طبيعة السلطة الاستعمارية التي واكبت فترة انتصاب الإدارة الاستعمارية وكيف تعاملت مع المقاومات الشعبية.
- 3- ما طبيعة التنظيم الإداري وانعكاساته على وضع الحضنة ونسق حياة السكان بها.
- 4- كيف أثر الاحتلال من خلال سياسة الاستيطان على الموروث القبلي التقليدي.
- 5- ما هي التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت جراء عملية الاستيطان بالحضنة.

البحث يبدو للقارئ العام والخاص أنه استهلك في شقه الوطني إلا أن كثيرا من تداعيات الظاهرة الاستيطانية في الجزائر لا تزال تحتاج إلى عمل وبحث من مصادر مختلفة يقع الكثير منها في طي النسيان، ونخص هنا الوثائق والأرشيفات المحلية والذاكرة الجماعية.

البحث تطلب من الفرقة تنقلات لعدد من دور الأرشيف الوطنية والخارجية التي مثلت الجانب الأساسي في إخراج هذا العمل بهذا الحجم

خاصة وثائق الأرشيف الكولونيالي المحفوظ بمركز الأرشيف الولائي بالمسيلة لمناطق المسيلة وبوسعادة وسيدي عيسى، إلى جانب وثائق أرشيف ما وراء البحار بإكس بفرنسا وبفانسان بباريس، ورغم ذلك تبقى مسألة فحص أغلب الوثائق ومحيصها وترجمتها تحتاج إلى عمل مكمل آخر يزيد البحث قيمة علمية وتاريخية.

جاء ترتيب الفصول بعد عملية جمع المادة وتحليلها معدلا لما تم وضعه في إطار تصور الفرقة قبل بداية البحث، ترتيبا موضوعيا يتوافق والتسلسل التاريخي والموضوعي للبحث بما لا يخل في تركيبه ونسقه، وتم تقسيم موضوع البحث إلى خمسة فصول وزعت بالتنسيق بين أعضاء الفرقة في إطار عمل متكامل بينها وجاءت كالتالي:

تضمن الفصل الأول إعطاء ملمح تاريخي وجغرافي لإقليم الحضنة استقت الفرقة معلوماته من المؤلفات العربية خاصة أعمال الدكتور كمال بيرم حول الحضنة خلال الفترة الاستعمارية التي شكلت مرجعا أساسيا في هذا البحث والأجنبية، وإن كانت المعارف حول فترات تاريخ الحضنة وفيرة خلال الفترة الإسلامية الوسيطة، إلا أنه وجدنا انقطاع ملفت للنظر لقللة المعلومات حول التاريخ القديم والحديث، والذي دونته الأقلام اللاتينية. وقد قدمنا ومضات حول الحقبة الرومانية

والبيزنطية من مصادرها ثم جانب تاريخي متسلسل زمنيا لتعاقب الإمارات الإسلامية بها من مصادر الرحالة والكتاب العرب، ووجدنا مصاعب في تحقيق شغف القارئ لتاريخ الفترة العثمانية التي تبقى تحتاج لأبحاث مستفيضة من المكتبات العثمانية.

أما الفصل الثاني: خصصنا هذا الفصل لتأثير عملية الاستيطان على الحضنة سياسيا، وكان لزاما علينا الرجوع إلى مسألة احتلالها وأهم المقاومات الشعبية وتعامل الاحتلال بعسكريه وسياسيه في إدارة الأهالي بما يضمن تحقيق الاستيطان الواسع بالمنطقة، وكيف تدرجت مسألة إدارة الأهالي إلى إطار الحكم المزدوج في ظل البلديات المختلطة. وحاولنا استخلاص أهم التأثيرات السياسية على أهالي الحضنة بعد انتصاب المستوطنين بمراكزها الأساسية كالمسيلة وبريكة.

أما الفصل الثالث: فقد درسنا فيه تأثير حركة الاستيطان على الأرض والمجتمع التقليدي بالحضنة، وهو الفصل الذي تجلت وطأة الاستيطان بكل معانيه الاستعمارية، ولتحقيق هذه الدراسة حاولنا إعطاء ملمح اجتماعي لسكان الحضنة قبل الاحتلال ثم أهم التحولات الجوهرية التي حصلت في بنية المجتمع القبلي ومط حياته على ضوء انتقاله من القبيلة إلى المجتمع في إطار الدواوير المستحدثة، مع كشف بعض الحقائق

الأساسية في تاريخ الجزائر المحلي ونقصد به مسألة التفكيك الاجتماعي الذي عانت منه قبائل الحضنة بعد تطبيق جملة الإجراءات القانونية والقمعية كالتهجير والمصادرات ونقل الملكية واستبداله والاستحواذ على مصادر الرزق أو تحويل نسق الحياة القديم إلى ما يخدم المستوطنين.

وجاء الفصل الرابع بعنوان تأثير السياسة الاستيطانية الفرنسية على الحضنة اقتصاديا، وهو مرتبط بالجانب الاجتماعي ومكمل له، ورأينا من الضروري البحث في المعطيات الجغرافية لتوضيح عملية استحداث مراكز الاستيطان بالحضنة، ثم أهم تدخلات الاحتلال في مصادرة مصادر الثروة عند الأهالي ثم حقيقة التحولات الاقتصادية التي مست الحضنة على مستوى توزيع الأراضي والمياه الخاصة بالسقي أو على مستوى انتقال المجتمع الرعوي بالحضنة إلى المجتمع الزراعي خدمة للمستوطنين والسوق الأوروبية.

أما الفصل الخامس: فقد حاولنا من خلال عنوانه، تأثير السياسة الاستيطانية على الحضنة ثقافيا، البحث في أهم المؤثرات الثقافية التي مست المنطقة بعد مجيء المستوطنين وتأسيس مراكز الاستيطان وظهور المدارس الفرنسية والتعليم الفرنسي، وكيف تعاملت فرنسا مع المؤسسات

التعليمية والدينية التقليدية خلال الاحتلال، مع دراسة الواقع الثقافي للمجتمع الحضني على ضوءه.

ورغم الجهد المبذول في هذا البحث الذي يمثل أول عمل بالعربية حول منطقة الحضنة في إطار مشاريع البحث الوطنية لفترة الاحتلال التي تنعدم حولها الكتابات، فإن فرقة البحث من خلال استغلالها لأرشيفات مختلفة وجدت أن المنطقة ما تزال تحتاج إلى جهد آخر يحقق الغاية العلمية والتاريخية لمنطقة واسعة كالحضنة نعتقد أنها تستحق ذلك في موضوعات أخرى وبالله التوفيق.

الفصل الأول

الحضنة عبر التاريخ

١. منطقة الحضنة في الأبحاث التاريخية:

الحضنة في الكتابات التاريخية العربية:

لم يظهر اسم الحضنة في الكتابات التاريخية العربية إلا في فترة متأخرة، ورغم أن بعض الكتابات التاريخية المتعلقة بالفترة القديمة تشير إلى وجود اسم مملكة الحضنة، فإن ذلك لم يكن سوى اسم أطلق مجازاً على إقليم طبيعي ارتبط بالعرب الوافدين بعد الزحف الهلالي، وظهر جلياً خلال الفترة العثمانية.

ومن بين الكتاب والرحالة الذين ذكروا المنطقة من خلال حواضرها القديمة كالمسيلة وبلاد الزاب نذكر: البكري في كتابه المسالك- الذي يصف مدينة المسيلة التي كانت تكثّل أهم حاضرة للحضنة بأنها مدينة جليّة في بساط الأرض عليها سوران بينهما جدول ماء يسير بالمدينة وله منافذ تسقى منها عند الحاجة ولها بساتين كثيرة ويوجد عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رفيعة السعر. و ابن حوفل في كتابه وصف الارض، و القاضي النعمان في كتاب افتتاح الدعوة وعبد الرحمان ابن خلدون في كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر و المقرئزي في كتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ابن ابي دينار

محمد بن ابي القاسم الرعيني: كتاب المؤنس في اخبار افريقيا و تونس
أبو العباس احمد بن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس
و المغرب¹.

أما قديما فقد ذكرت المصادر التاريخية أسماء بالحضنة مثلت
حواضرها كقلعة بني حماد والمحمدية او المسيلة وطبنة وبلاد الزاب .

أهم الأبحاث التاريخية لمنطقة الحضنة في الفترة الحديثة والمعاصرة:

تعتبر الفترة الفرنسية الفترة الخصبة التي أثريت فيها الأبحاث
التاريخية حول منطقة الحضنة، وساهم عدد من الضباط الفرنسيين
والمترجمين في استغلال الذاكرة الجماعية المحلية في تدوين كثير من
الحقائق التاريخية المتعلقة بمختلف جوانب التاريخ القديم والحديث،
ومن بين هؤلاء نذكر:

1- الضابط بايان capitaine payen :

شغل الضابط بايان (N.Payen) بداية احتلال الحضنة رئيس
المكتب العربي لبرج بوعريريج وساعده مركزه هذا في التنقل عبر أرجاء

1 - للمزيد حول حواضر الحضنة وتاريخها ينظر الى مؤلفات: كمال بيرم: مدخل الى تاريخ
المسيلة دار الاوطان 2012 وكمال بيرم: من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني، تاريخ حاضرة
المسيلة الاجتماعي والاقتصادي ، دار الاوطان 2016.

الحضنة و الأوراس بحثا عن الآثار الرومانية بها كما اشتهر بالابحاث
الاثريه و الكتابة التاريخية لمنطقة الحضنة حيث قام بدراسة فريدة من
نوعها بإقليمها ، ونشرها عام 1864 في حوليات قسنطينة ، (Recueil de
Constantine) تحت عنوان "أعمال الري القديمة" التي لا يزال عدد من
أثارها بجزء من¹ الحضنة؛ إذ وقف على عدد هام من أعمال الري واجتهد
في إعطاء وصف دقيق لها مع دراسة لمكوناتها وتقنية بنائها، كما حاول أن
يؤرخ بعضا منها. للعلم ان الضابط بايان payen قد شغل في الفترة
الممتدة بين 1858-1869 رئيس المكتب العربي لبرج بوعريريج وله عدة
مقالات حول منطقة الحضنة منها مقال استعمار الحضنة colonisation
du hodna الذي نشر في حوليات قسنطينة سنة 1893. و دراسات حول
آثار الرومان بالأوراس و طبنة

كما قدم الضابط الفرنسي دو بواسون De Boysson دراسة
هامة حول الآثار الرومانية بالمنطقة والتي نشرت عام 1869 و التي
تطرق فيها إلى قبور الدولن المتواجدة بمنطقة الجر بجبال المعاضيد.
وقد أورد في هذه الدراسة وصفا للقبور وتفاصيل حفريات أجراها في عدد

1- كمال ببيرم :مدخل الى تاريخ المسيلة، دار الاوطان الجزائر 2012 ، ص.ص. 5-12

منها¹. - ومن جهته كان- ستيفان جزال (St.Gsell)، بحث في إطار عملية جرد لأعمال الرومان الخاصة بالري بالجزائر ونشر بحثه سنة 1902 تحت عنوان "تحقيق إداري حول أعمال الري القديمة بالجزائر" وخصص في بحثه هذا جانبا لمنشآت الري بالحضنة، دون أن ننسى الأطلس الأثري الخاص بالجزائر.

خلال الأربعينات و الخمسينات، قام الباحث ريمون فوفري R. Vaufrey بعملية مسح أثري جزئي اكتشف خلالها بعض المواقع العائدة إلى أواخر العصر الحجري القديم و العصري الحجري الحديث².

كما قام براديز (J.BARADEZ)، بدراسته اعتبرت من الأبحاث الجديدة والهامة، "فوساتوم أفريكائي" (Fossatum Africae) أشار إلى جزء هام من منشآت الري في جنوبي منطقة الحضنة وتحدث عن الأهمية التي تميزت بها منطقة الحضنة حتى جعلتها مطمعا اقتصاديا للاستعمار الروماني ونشرله مقالا ملخصا لأعمال الري الرومانية التي بينتها الصور الجوية في منطقة تعتبر حاليا سهبية، وكان هذا في المؤتمر

1- Boysson (Capitaine de), Les tombeaux mégalithiques des 201Maadid, RSAC, **13**, **1869**, pp. 621-636.

بيرم كمال: مدخل الى تاريخ المسيلة، دار الاوطان

2 - R. Vaufrey, Préhistoire de l'Afrique du Nord. T.1 : Le Maghreb, Librairie Masson et Cie, Paris, 1955.

الوطني التاسع و السبعين للمؤسسات العلمية بالجزائر سنة 1957،
وأثار في مداخلته مسألة تغير المناخ كما طرح مسألة أصل هذه
الإنجازات.

خلال نفس الفترة كان جاك تيكسي J. Tixier معلما بمدرسة
الهامل و كان من هواة علم ما قبل التاريخ حيث خطى أولى خطواته
في هذا المضمار بمنطقة بوسعادة قبل أن يصبح من أهم المختصين في
الدراسات التقنية للصناعة الحجرية على المستوى العالمي، وقد قام
بمسح المنطقة و اكتشاف عدد من المواقع و أجرى حفريات في موقعين
هما الهامل¹ ودخلة السعدان² جنوب بوسعادة بين 1951 و 1955.
وقد كان اكتشافات تيكسي انعكاسات مهمة على دراسات ما قبل
التاريخ المغربية آنذاك حيث كان موقع الهامل أول موقع ابرومغربي
يكتشف في الأطلس الصحراوي تلتها اكتشافات أخرى مشابهة فيما بعد.

كما قدمت الأستاذة سليمان سعاد بحث لنيل شهادة الماجستير
نعتبره قيم من عدة جوانب كونها تحرت المنطقة ميدانيا و عاينت الآثار

1 - كمال بيرم :المرجع السابق ص7.

2 - J.Tixier, Les abris sous roche de Dakhlat es-Saâdane (Commune mixte de Bou-Saâda), I - Les industries en place de l'abri B, Libya A/P/E, III, 1, 1955, p. 81

الرومانية و دقت في كثير من الأمور التي غفل عنها غيرها من الباحثين الفرنسيين خاصة بقايا المنشأة الرومانية الخاصة بنظام الري بمنطقة الحضنة .

II. الحضنة عبر التاريخ :

الوجود الروماني بالحضنة القديمة:

تواجد الرومان في مواقع مدنية وحصون عديدة في أرض الحضنة وبلاد الزاب حملت أسماء رومانية مثل *macri* و *thubinae* و *aras* و *zabi* وغيرها فقد شهدت مثلاً مدينة طبنة *Thubunae* خلال الاحتلال الروماني تركّز عسكري ضمن الحصن عسكري هام الذي أُقيم بها والذي يعتبر ضمن مناطق التماس لخط الليمس الجنوبي و قد حظيت بمكانة هامة و أصبحت محل إقامة حاكم افريقيا بونيفاس عام 427م، قائد الإمبراطورية الرومانية الغربية المتوفي سنة 441م الذي استنجد بالوندال سنة 428 وهذا بعد أن أعلن القائد البربري قيلدون *Gildon* الذي كان يحكم قرطاجة باسم الإمبراطورية الرومانية، استقلاله عنها، وقد اجتاز الجيش الوندالي جبل طارق *Fretum Gaditanum* بقيادة ملكهم¹

1 – St , Gsell , Atlas archéologique de l'Algerie (A . A . A), 1911, F 2

جانسريك Geneseric¹ وعندما أرسى روميلوس أوغيستول O.Romelos الدولة اللاتينية منذ 476م وأخذت السلطة البيزنطية السيطرة على موريطانيا السطايفية وفصلتها عن الحضنة، احتل البيزنطيون شمال شط الحضنة بما فيها منطقة الحضنة² منتصف القرن الخامس الميلادي.

وإن كان البعض من الكتاب يؤكد أن البيزنطيين لم يحتلوا الحضنة بل استمروا في ترك المنطقة في إطار العلاقات الودية مع سكان الزاب وموريطانيا القيصرية³ إلا أن منطقة الحضنة تعرضت كحال بلاد المغرب إلى الاحتلال الوندالي الذي أحدث الخراب والدمار بها و الذي كانت مدن الحضنة عرضة له و منها مدينة زابي Zabi أو المسيلة الرومانية، إلى جانب المدن المجاورة كطبنة وفاقس vaccis وخربة الرصاص Salinae، وهي مدن محيطة بالحضنة كان لها شأن كبير في الإنتاج الزراعي والتبادل التجاري بين مدن الداخل والجهة الغربية للحضنة، بحيث كانت تمثل محطات تجارية لانتقال السلع والمواد الزراعية من الجبال التلية كحبوب مجانة عبر وادي القصب Flumenspiscencis الذي يمر بالمسيلة⁴. وبعد

1 – Xavier de Planhd : les Fondement géographique de l’histoire de l’Islam, Paris, 1960, P. 131

2 – Nacib,(y) cultures oasisienne bousaada ,opu alger;op-u ,p.94.

3 – Kaddache,(M) : L’Algérie medievale, SNED, Alger, op-u, P.94

4- Payen,(M):Colonisation, du Hodna, In RSADC, 1893, p.148.

أن استطاع الإمبراطور البيزنطي جوستينيان¹ Justinian طرد الوندال من بلاد المغرب، أرسل قائده بليسار Belissaire الذي قام بإعادة بناء المدينة القديمة zabi منذ 533م واستكمل بناءها فيما بعد القائد جرمان Germain ابن أخ الإمبراطور جوستينيان ثم خليفته سالومون Salomon الذي تولى قيادة الجيش الإفريقي سنة 539، وبدأ حملته العسكرية من قرطاجة، حيث أخضع قبائل المور الثائرة في الأوراس التي وصلها سنة 541 بمدينة تامو قاس Thamugas (تيمقاد) التي حطمها قائد المور أياباداس² labadas، ثم عبر جبال أولاد سلطان ليصل إلى الحضنة حيث أعاد إعمار وبناء المسيلة القديمة التي تعرف بزاي حيث خلد إمبراطوره جوستينيان في إعطاء اسم المدينة زاي جوستينيانا Zabi Justiniana. وضم سالومون مدينة زاي إلى إقليم موريطانيا السطايفية باعتبارها من المدن المحاذية لخط الليمس الروماني³ وقد كانت عملية إحياء مدينة زاي لتعويض اختفاء مدن فاقس Vaccis ومدينة خربة الرصاص القريبتين منها⁴.

1 - جوستينيان:الإمبراطور البيزنطي الذي تنسب إليه مدينة زاي جو ستينيا وحكم بين سنة 527م-565م).

2 - Poulle, (A) : Ruine de Bechilga (Zabi), in RAF N°5, 1861, P.200

3- Feraud,(ch):Histoire des villes,M'sila ,p48.

4- Payen,(m),op.cit p.145

الحضنة بعد الفتح الإسلامي :

يمكن القول أن الفترة الإسلامية هي الفترة التي حققت خلالها مدينة المسيلة تميزها عن المواقع الرومانية التي ارتبطت بها كزاي أو بشيلقا و حققت أزهى ازدهارها و رقي حضارتها و ذكرت كثيرا في مؤلفات الرحالة و الجغرافيون و المؤرخون العرب. يذكر الكتاب العرب أن ظهور العرب الفاتحين بمنطقة الحضنة والحضنة يعود إلى النصف الثاني من القرن السابع الميلادي¹ عندما حل عقبة بن نافع فاتحا أمام مقاومة كسيلة والبربر بمنطقة طبة في شرق الحضنة حيث جعلها كسيلة مركزا لقيادته كما شهدت مدينة المسيلة البربرية بداية الفتح وقائع عسكرية عديدة كانت أهمها التي جمعت جيوش الفاتحين المسلمين مع قبائل البربر و الرومان على وادي القصب الذي سمي عند العرب بوادي سهر بسبب القتال الطويل الذي جعلهم يسهرون طويلا في مقاتلة الرومان و البربر وكان ذلك في حدود النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، و لا فملك السنة التي وقع فيها القتال بالضبط.

يشير ابن الأثير : (ت630هـ./1232م) "إن عقبة سار إلى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصده مدينتها العظمى

1- Kaddache,(M) :op-cit ;p.9

واسمها "أربة"⁽¹⁾. فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب أغلبهم إلى الجبال والوعر. ونزل واديا بينه وبينها ثلاثة أميال⁽²⁾.

فلقوه عند الوادي عرف بالوادي المسيلة على حسب قول ابن عذارى (ت 712هـ-/1312م)⁽³⁾. وكان ذلك وقت المساء فكره قتالهم في الليل فوقف القوم ليلهم كلهم ساهرين فسمي بواد (سهر) أو (سحر). وفي الصباح أمر بالقتال وكانت بينهم حرب ما رأوا قط ممن حاربوه مثلها، حتى يؤس المسلمون من أنفسهم ولكنها انتهت بانتصارهم حيث قتل فيها أكبر فرسان البربر، فذهب عزهم من الزاب، وذلولوا آخر الدهر ولم يشأ عقبة أن يحاصرهم بعد أن اعتصموا بحصونهم، فرحل عنهم إلى مدينة تيهرت التي استغاث أصحابها الروم بالبربر⁽⁴⁾. كما لا نستبعد وجود نسبة من البربر عاشوا إلى جانب هؤلاء الرومان بمدينة زابي أو بشيلقا والمناطق القريبة منها، أطلق عليهم ابن خلدون في سياق تصنيفه للمجتمع البربري حسب المعيار الاقتصادي وصف المستضعفين، المتخذين

1- عز الدين أبو الحسن علي ابن محمد ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو صيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، ج4، ص 527.

2 - أبو العباس بن عذاري المراكشي: البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.

س. كولان وليفي بروفنسال، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج 1، ص. 24

3 - نفسه، ج1، ص. 24

4 - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص. 43

لمعاشهم "بalfلاحة ودواجن السائمة"، اتخذهم الرومان عبيدا وخداما لهم، شأنهم في ذلك شأن كل استعمار عبر التاريخ البشري. إلا أن ابن خلدون متأخر كثيرا عن هذه الفترة للاعتماد على تصنيفه لقبائل المنطقة.

وعن موقف الرومان، و سكان هذا الشريط الجغرافي الواصل من الشرق إلى الغرب بين: "باغاية- دار دلول- طبنة- الحضنة- الرمانة- تاهرت القديمة" من الفاتحين العرب، فهو موقف مواجهة وتصادم عسكري مستمر بلا انقطاع، بل وصل بهم الأمر أن تحالفوا مع أعدائهم بالأمس: وهم البربر السكان الأصليون، ووقفوا بجانبهم ماديا ومعنويا. حيث قاتلوا هم والبربر صفا واحدا ضد العرب الفاتحين، كما حصل في معركة إقليم تاهرت. وتوانى الرومان في تقديم النصائح للبربر، وتزويدهم بالخطط والأساليب العسكرية، إذ يكفي دليلا جليا على ذلك: الفاجعة الأليمة التي لم يصب العرب من قبلها في المنطقة، والمتمثلة في التصفية الجسدية لعقبة بن نافع، أحد كبار القادة الفاتحين العرب وللجيش الذي كان يرافقه بأكمله من قبل قبيلة أوربة البربرية، حيث كان الرومان هم الرأس المدبر لها.

وإن كانت غزوة عقبة بن نافع تلك للروم، بمثابة قاسمة الظهر، التي "أذهبت عزهم وملكهم من الزاب إلى آخر الدهر".

الحضنة خلال الفترة الفاطمية:

بدأت الدعوة الشيعية بفضل عبد الله الداعي بمنطقة إيكجان الجبلية نهاية القرن الثالث الهجري، في الوقت الذي كان فيه حاكم الأغالبة بمنطقة الحضنة بطبنة شيب بن أبي الشداد المعروف بشداد الصغير¹، الذي استطاع تجهيز جيش قارب عدده 100 ألف بين فارس وراجل اتجه به نحو منطقة إيكجان بعد أن عمل أمير الأغالبة بالحضنة الأغلب بن حبيش على بذل العطاء للناس بمنطقة الزاب لتأليبهم على الدعوة الشيعية التي بدأت في الانتشار، إلا أن جيش الأغالبة مني بهزيمة كبيرة زادت من شوكة الشيعة في الوقت الذي كان فيه المهدي عبيد الله في سجن سجلماسة².

امتد نفوذ الفاطميين بعد خروج الدعوة إلى منطقة سطيف التي زحف إليها عبد الله الشيعي سنة 904/291 م بعد أن سيطر على مدينة ميله 902/282 م ثم حاصرت جيوش الفاطميين مدينة طبنة وبلزمة 905/292 م أين كانت إمارة الأغالبة تحت رئاسة حسن بن أحمد بن نافذ المعروف بأبي المقارع، هذا الأخير تحصن داخل مدينة طبنة مع أعوانه شيب بن أبي الشداد قائد الجيش مع فتح بن يحيى بن القسيري صاحب

1- بيلم كمال: مدخل الى تاريخ المسيلة، ص 21.

2- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ص 173.

العطاء الذي اهتدى إلى طلب الأمان من الفاطميين وكان له ذلك، وبذلك فتحت مدينة طبنة أمام الفاطميين الشيعة الذين عينوا أميراً على منطقة طبنة والحصنة آنذاك هو يحيى بن سليمان.

مدينة الحصنة بعد الزحف الهلالي:

إن الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب بما فيها من تأثيرات عرقية وسياسية واقتصادية أو حضارية، إنما بدأت نتيجة للقطيعة السياسية والدينية بين الخلافة الفاطمية بالقاهرة ونوابها الزيريين في القيرون في عهد المعز بن باديس.

وأصل مواطن قبائل عرب هلال وسليم هي بلاد الحجاز وتخوم نجد¹، فهي قبائل بدوية رعوية كانت تعيش عيشة فقيرة تدفعها أحياناً إلى قطع السبيل حتى على قوافل الحجاج².

وأهم جماعات هلال (بني عامر) في تلك الفترة، جشم، الاثبح، زغبة، رياح، ربيعة وعدي، وقد عاشت هذه القبائل في صحراء الصعيد الشرقية تحت رقابة الدولة الفاطمية بعد انتقالها من المغرب إلى القاهرة. وهذا ما يفهم من قول ابن عذارى "لا يسمح لها بالرحيل ولا بإيجازة

1 - ابن خلدون، ج6، ص. 13

2 - ابن خلدون: نفس المرجع، ص. 13

النيل" وإن الذي دبر عملية عبورهم وانتقالهم نحو المغرب بعد قطيعة الزيريين مع الفاطميين في عهد المعز بن باديس و اتخاذه اللون الأسود شعار العباسيين منذ 1048/440م إنما هو الوزير اليازوري، وفي هذه السنة بدأت الهجرة الهلالية في وقت سادت فيها حالة العوز بمصر وعم الجفاف ونقصت المؤن. وشهدت الهجرة الهلالية انتشارا سريعا نحو بلاد المغرب حيث وصلوا برقة واستوطنوها سنة 1050/442 بعد أن عاثوا فيها فسادا، إلا أن المعركة الفاصلة مع الزيريين كما أشارت إليها المصادر التاريخية كانت بجبل حيدران سنة 1052/443 بتونس والتي انهزم فيها جيش المعز بن باديس وفرت على إثر ذلك قبائل صنهاجة.

كانت معركة حيدران بداية انتشار بنو هلال بالمغرب الأوسط حيث الحماديون المتحصنين بالقلعة، وما كادت سنة 446هـ/ تصل حتى اجتاحت بلاد المغرب وقسمت أملاكه حيث كان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، ثم اقتسموها ثانية فكان لهلال من تونس إلى المغرب ومعهم رياح وزغبة والعقل وجشم وقررة والاثبج والخلط وسفيان، حيث حاربوا قبائل صنهاجة وزناتة وسيطروا على أراضي الزاب والحضنة وقهروا سكانها¹. خصوصا بعد الهزيمة الثانية التي مني بها الناصر بن علناس أمير الحماديين في موقعه سبيبة بالقرب من تبسة

1 - ابن خلدون، نفس المرجع، ص. 20

سنة 457هـ، حيث اجتاحت قبائل بني هلال سهول الحضنة وحاصرت القلعة وحولت مزارع الحضنة إلى مراعي إبل. ونهبوا البوادي واخضعوا كل من بقي أو رضي بالبقاء فيها للفوضى والذل¹، ولما عجزت الإمارة الحمادية عن الاندماج بهذا العنصر الجديد قرر الناصر بن علناس نقل عاصمة المملكة إلى بجاية سنة 483هـ/1090م. وعجزت قبائل صنهاجة أمام تقدم الهلاليين الذين حولوا المنطقة على حد تعبير ابن خلدون إلى "قاع صفصف أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد"².

وقد فرضت على قبائل البربر ترك أراضيهم السهلية واستوطنت الجبال غير أن الأهالي الرحل الذين اندمجوا مع الهلاليين قد أضافوا للمنطقة رصيда اجتماعيا جديدا جعل الهلاليين يعزفون عن مطاردة سكان الجبال في كل من الخرابشة أولاد خلوف، ونوغة³.

كما أن هذه الحركة البشرية وان استطاعت القضاء على دولة بني زيري التي تحولت إلى فسيفساء من الإمارات إلا أن أهم ما لاحظته

1 - إسماعيل العربي، المرجع السابق ص. 136 ؛ كذلك راضي دفعوس، العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وبني سليم من مصر إلى افريقية، مجلة المؤرخ العربي، عدد 1981/20، بغداد ص. 16

2 - ابن خلدون ، العبر ، المرجع السابق ، ج2، ص. 220

3- Ferraud, (CL): Histoire des villes,p227-et Nacib,(y),op-cit,p.127.

الدارسون أن هذه الهجرة العنيفة قد عرّبت الشمال الإفريقي¹. كما ظهر الصراع من جديد بين الهلاليين من قبائل الاثيج بالحضنة والزناطين المواليين لأمرء تلمسان المغراويين، وربما هذا العداء مرده إلى كون الحماديين اختصوا قبيلة الاثيج في الحكم دون سائر قبائل العرب بحيث اقتطعوا لهم أراضي الزاب والحضنة ونواحي القلعة. واستمرت شوكة الاثيج إلى حين سقوط الدولة الحمادية في عهد عبد المؤمن أمير تلمسان، الذي نقل جمع كثير من بطون الاثيج خصوصا في إقليم الحضنة من عرش جعونة والمطارفة إلى تلمسان ووهران والأندلس والمغرب² بعد أن تعرضت مدينة الحضنة للتخريب والخراب خلال هجوم قبائل زناتة 1068م. لقد بدأت سيطرة الموحيدين على منطقة الحضنة منذ بداية القرن 12 عندما أرسل ابن تومرت ابنه عبد الله إلى القلعة على رأس جيش لمطاردة بقايا الحماديين وجموع المدافعين عنهم الذين تفرقوا نحو مناطق الببيان والمنصورة³.

1- موريس لبومبار: الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979، ص. 145.

2- Mercier,(E):Les Arabes d'Afrique Jugés par les Auteurs Musulman ,in R.AF,N°: 17,1873,P.47

3- Marçais (G): Deux stèles funéraire hamadittes du muse St Gsel in Bulletin de la société historique et géographique de Sétif 1941,P.217

ورغم محاولة ابن غانية¹ إحياء دولة المرابطين بمساعدة قبائل رياح والاثيج بالحضنة التي وقفت إلى جانبه في الصدام الذي جمعه مع الموحيدين سنة 580 هـ 1184 م، ثم محاولة أخيه يحي بن غانية التوسع نحو الغرب انطلاقا من الحضنة مروراً بالحضنة نحو الشلف، فإن مدينة الحضنة كانت هي المتضرر الكبير من هذه الثورة التي حولتها إلى خراب². واختفت معالم المدينة الفكرية وشخصياتها التي حفلت بها قصور القلعة وبجاية مثل أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي المفكر والقاضي الذي عاش في النصف الثاني من القرن 12 م³، وأبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المحاضري، ووالده أبو عبد الله⁴، وغيرهم⁵.

ظهرت دولة المرابطين بالمغرب الأوسط في وقت زحفت فيه قبائل العرب الهبلالية في الشرق و استولى المرابطون على وهران والجزائر

1082_474.

1 - ينحدر ابن غانية من امرأة اسمها غانية من أهل بيت يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين تزوج بها علي بن يحي المسوفي فولدت له محمدا ومنه إسحاق ثم علي الذي قام بثورة ضد الموحيدين عرفت باسمه.(انظر: ابن خلدون ، العبر ، ج6).

2 - ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص 337 و 291 Brunshvic;op-cit,p,291.

3 - الغبريني (أ)، المرجع السابق ، ص. 66

4 - نفس المرجع، ص. 265 ؛ الحفناوي:المرجع السابق ص. 328

5 - الطمار (م)، المرجع السابق، ص. ص.36-38.

إلا أن تأثير المرابطين لم يكن كبير بالمغرب الأوسط لعدة اعتبارات منها ما تعلق بمسألة توجه يوسف ابن تاشفين إلى الأندلس ومن جانب آخر مسالمة واطمئنان ابن تاشفين لجانب الحماديين وتوقيع الصلح بينهما في 479هـ-1104- و بقي الصلح إلا زمن اجتياح الجيوش الموحدية لهما. دخلت منطقة الحضنة في نطاق السلطة الموحدية منذ هجوم الموحدين على بجاية و دخول قلاعها زمن عبد المؤمن عام 547-1152 ووصولهم إلى قلعة بني حماد التي كانت تحت سيطرة قبائل الاثبج ورياح و زغبة الهلالية .

ومؤسس هذه الدولة يعرف" بأبي عبد الله محمد بن تومرت المصمودي السوسي"⁽¹⁾ كان لا بد أن تستند خلافتهم إلى أسس شرعية لازمة كالنسب إلى البيت أو الأصل العربي. فقالوا بانتماء كل من المهدي

1 - محمد بن تومرت : مؤسس الدولة الموحدية من أهل السوس ولد بقرية إيجلي من قبيلة تسمى هرغة من قوم يعرفون بإسرعتين , و هم " الشرفاء" بلسان المحامدة , بدأ دعوته في موضع يعرف بتينمل بالمغرب الأقصى . أنظر : عبد الواحد بن علي المراكشي :المعجب في تلخيص أخبار المغرب , تحقيق :خليل عمران المنصور , ط2 , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , 1426هـ/2005م , ص 126.132 .

وخليفته عبد المؤمن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق نسبهم إلى الأدارسة⁽¹⁾.

وتمكن عبد المؤمن (524-558هـ/1130-1163م) من القضاء على المرابطين والسيطرة على جميع أقطار المغرب الأقصى التابعة للمرابطين . فجهز جيوشا قاصدا مملكة "يحي بن العزيز بن المنصور بن المنتصر الصنهاجي" الذي كان يملك بجاية وأعمالها في سنة (556هـ/1149م) فحاصرها وضيق عليها ولما رأى يحي أنه لا يستطيع الدفاع فر إلى البحر حتى أتى بونة ثم خرج حتى وصل قسنطينة فأرسل إليه عبد المؤمن بالجيوش فقبض عليه وجيء به إلى عبد المؤمن، فعاهده بالأمان في نفسه وأهله⁽²⁾، ودخل عبد المؤمن بجاية وكرد فعل قامت قبائل صنهاجة وكتامة ولواته وغيرها وقصدوا حرب عبد المؤمن فأرسل إليهم جيشا بقيادة أبو سعيد يخلف ووقعت معركة عند جبل شرق بجاية فانهزم فيها الصنهاجيون⁽³⁾.

1 - عبد المؤمن: هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي ، أمه حرة كومية أيضا ، مولده بضيعة في أعمال تلمسان تعرف بتاجرا كان مولده آخر سنة 487هـ ، و توفي سنة 558 هـ و مدة ولايته إحدى وعشرين سنة . عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 139 .

2- النويري : المصدر السابق ، ص 415 .

3- نفسه، ص417.

وسار أبو سعيد إلى قلعة بني حماد فملكها وفر أهلها إلى الجبال
ورحل عبد المؤمن إلى مراكش مستخلفا ابنه عبد الله على بجاية والقلعة
وأعمالها، وبذلك بدأت سيطرة الموحيدين على الحضنة منذ بداية القرن
12م⁽¹⁾.

وبلغ اتساع دولة الموحيدين إلى جنوب الصحراء الكبرى ومن
الغرب المحيط الأطلسي ومن الشرق صحراء لوبية ومن الشمال البحر
المتوسط والبلاد الأندلسية

وقد حاول بعض المناوئين الموحيدين الخروج عن طاعتهم، إذ قام
"علي بن غانية" وهو أحد أنصار المرابطين من الاستيلاء على بجاية وإقرار
سلطانه فيها.

ثم استولى على قلعة بني حماد أي أنه سيطر على المغرب
الأوسط بما فيها مدينة الحضنة فسار نحوه أبو يوسف يعقوب ففر أمامه
إلى بلاد الجريد⁽²⁾، وطارده أبو يوسف يعقوب وأوقع به في موضع يسمى
بالحامة فانهزم ابن غانية وقتل في المعركة وخلفه يحي أخوه، الذي
استطاع أن يسيطر على أغلب بلاد إفريقية مستغلا بذلك انشغال

1- كمال بيرم: مدخل، ص. 28

2 - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص. 144

الموحدين بمحاربة القشتاليين في الأندلس ومهما يكن فإن مدينة الحضنة كانت هي المتضرر الكبير من هذه الثورة التي حولتها إلى خراب⁽¹⁾.

إقليم الحضنة في ظل الحكم الحفصي الزياني:

ما لبث أن بدا الوهن والتفكك يظهر على الدولة الموحدية في آخر مراحلها نتيجة انهزامها في المعارك التي خاضها ضدها الأعداء النصارى وسوء التسيير وكانت نتيجة هذه الحالة أن قامت على أنقاضها فيما بعد ببلاد المغرب ثلاث دول مستقلة : دولة بني عبد الواد ودولة بني مرين ودولة بني حفص⁽²⁾.

لقد دخل بنو مرين وبنو وطاس بلاد المغرب الأقصى وبسطوا سلطانهم عليها وورثوا الموحديين فيها وفي ذلك الوقت أيضا دخل فريق آخر من الزناتية الجدد بلاد المغرب الأوسط. واستقروا في ناحية تلمسان وهم بنو عبد الواد أو بنو زيان وقد دخلوا المغرب الأوسط في غضون هذا الاندفاع الزناتي العام على بلاد المغربيين الأوسط والأقصى نتيجة ضعف صنهاجة ومصمودة وفراغ البلاد ممن يحميها من الغزاة⁽³⁾.

1 - عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ج1، ص. 216.

2 - ابن خلدون، العبر، ج6، ص. 217

3 - بيرم كمال، مدخل الى تاريخ المسيلة، دار الاوطان 2012 ، ص. 90

انتهمز بنو حفص فرصة هذا الفراغ فبسطوا سلطانهم على شرقي المغرب الأوسط واحتلوا بجاية وإقليم الزاب، بما فيه الحضنة ووصلوا حدودهم إلى المجرى الأعلى لنهر الشلف أما بقية المغرب الأوسط. من وهران عند مصب نهر شلف إلى مجرى نهر ملوية وقاعدته تلمسان أو في هذا الفراغ امتدّن واستقرت وتوسعت مجموعة قبائل بني عبد الواد نسبة إلى مؤسس دولتهم يغمراسن بن زيان وقد ضعف أمرهم حين ثار عليهم صاحب إفريقية أبو زكريا الحفصي⁽¹⁾. ووصل بجيشه إلى تلمسان فخرج منها يغمرا سن بأهله وماله إلى الصحراء وأرسل إليه أبو زكريا الحفصي يدعوه فلم يجب وانتهى الأمر بينهما بالصلح . وعاد الحفص إلى إفريقية ويغمرا سن إلى تلمسان و أقبل سعيد المؤمني من مراكش سنة (646هـ/1258م) يريد حرب أبو زكريا بإفريقية فلما اقترب من تلمسان أفرج له يغمرا سن عنها⁽²⁾.

ولكي يحافظ أبو زكريا على خضوع يغمراسن أقام في قوله من منافسيه حتى ولى المستنصر بهليانة محمد بن منديل المغراوي سنة 659هـ/ 1271م بعدما فتحها من يد أبي علي بن أحمد الملياني الثائر ثم

1 - هويحي بن عبد الواحد بن حفص الهنتاني الحفصي: أبو زكريا الأول من استقل بالملك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية في تونس و تغلب على الملك سنة 626هـ .انظر: ابن خلدون:العبر ، ج 6 ، ص 280 ، 285 .

2 - ابن الأحرر، المصدر السابق، ص10.

خرج المستنصر حتى وصل إلى الحضنة سنة (664هـ/1276 م) بقيت عبد الواد على مبايعتها للحفصيين و في عام (666هـ/ 1278 م) فرت قبائل رياح أمام المستنصر إلى عبد الواد فأعانوها على استرجاع وطنها ورددوا الغارات على توجين ومغراوة ففتحوها مليانة.

و استمرت مكانة مدينة الحضنة فترة من الزمن أيام الحفصيين الذين ارتبطت بسلطانهم اكثر من غيرهم بني عبد الواد، رغم أنها مثلت نقطة تماس و تجاذب بينهما. لذلك كانت ضحية موقعها وتاريخها من حيث الصراع الحفصي الزياني عليها، كما أدى الصراع داخل الأسرة الحفصية أحيانا إلى ضعف سيطرتها على أطراف الدولة ومنها منطقة الحضنة، لذلك سعى كيف تحاول السلطة الحفصية في ظل هذه الأوضاع مجارة واستغلال بعض القبائل الهلالية في استمرار سلطتها الإسمية أحيانا، وهذا ما كان لقبائل الدواودة الهلالية الذين تمردوا على الحفصيين وتحالفوا أحيانا مع بني مزي التي توسعت بإقليم الزاب و بلاد الحضنة ومنها مدينة الحضنة خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر

حاولت الدولة الحفصية بسط نفوذها على إقليم الحضنة والحضنة في مرات عديدة منها حملات السلطان أبو بكر 733هـ/1332م ومن قبله محاولة السلطان أبو زكرياء 645هـ و محاولة المستنصر 664هـ الذي استطاع احتلال الحضنة وبسط سلطانه عليها والقضاء على عبث

الدواودة الرياحيين الذين أكثروا الفساد والظلم على وطن الحضنة ومدينة الحضنة.

وخلال القرن السابع الهجري ظهرت شخصية من مدينة الحضنة ادعت أنها الفضل بن يحيى الواثق ابن المستنصر و أنه فر من السجن واسمه أحمد ابن مرزوق بن أبي عمارة وهو من مواليد مدينة الحضنة حيث نشأ وترى بها قبل أن ينتقل إلى مدينة بجاية ويشغل بالخياطة، ومما روى عنه أنه امتاز أحيانا بالفجور و سفك الدماء و يدعي النهي عن المنكر إلا أنه يأتيه و قد حاربتة الدولة الحفصية بعد أن هدد سلطانها ووصل إلى قابس وتونس في 681 هجرية ونزل إلى مدينة القيروان و جهز ضده السلطان أبو اسحاق الحفصي حملة عسكرية لمقاتلته ثم قاتله بعد ذلك السلطان أبو حفص بن أبي زكرياء و حاصره حصارا شديدا أدى إلى فراره إلى بلاد الأندلس وقتل بعد ذلك في 1284/684.

مثلت الحضنة عموما منطقة تماس للدولتين الفاطمية و الرستمية ومن بعدهم الحفصية و الزيانية ومنطقة تجاذب مستمر و قد كانت الجزائر الحفصية أو الجزء الشرقي من المغرب الأوسط هي أربع ولايات بونة بجاية قسنطينة والزاب وقاعدته بسكرة وتارة مقرة من بلاد الحضنة

حتى المجرى الأعلى لنهر الشلف¹، وعرفت منطقة الحضنة ومدن الحضنة ومقرة ومسيف وزاغر في العهد الحفصي تطور سياسي هام من خلال الأحداث التي شهدتها في مختلف محطاتها منها:

في بداية الدولة الحفصية وولاء قبيلة رياح الهلالية وموطنها الحضنة، كان زعيم عرب رياح موسى بن محمد بن مسعود قد بايع أبي زكرياء يحيى الأول (627-647هـ/1229-1249م)، سنة 647هـ/ 1249م، وهي آخر سنة في حكمه، لكن بعد وفاته غير شبل بن موسى الرياحي ولائه وبايع أبا القاسم بن عبد الرحمن ابن الأمير عبد الواحد سنة 661هـ/1263م²

فلما بلغ ذلك المنتصر أبو عبد الله محمد الأول خرج من تونس سنة 664هـ/1267م³ لمحو آثار الفساد منه وتقويم العرب على الطاعة، وتنقل في الجهات إلى أن وصل بلاد رياح فدوخها ومهد أرجاءها، وفر شبل بن موسى وقومه الدواودة، واحتل السلطان الحضنة آخر وطن رياح، ووفاه هنالك محمد بن القوي أمير بني توجين من زناته مجددا

1- بيرم كمال : مدخل الى تاريخ المسيلة، دار الاوطان، 2012

2- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الثقافة بيروت لبنان 1980، ص. 46

3- أحمد أبو العباس ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، بتقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص127.

لطااعته، حيث أجزى له العطاء واقتطع له مقرة وبلد أوماش من عمل الزاب ، ثم رجع السلطان إلى تونس¹.

في عام 681هـ/283م ظهر رجل ادعى أنه الفضل ابن يحيى الواصل ابن المستنصر، وإنه فر من السجن، هو أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة، الذي ولد في الحضنة ودرس في بجاية، مع العلم أن الفضل قد قتل بتونس²، ودخل هذا الدعي³ مدينة قابس وملكها واحتوى عليها، وعلى كثير من بلاد أفريقية فأخرج له الخليفة جيشا من تونس أمر عليه ابنه أبا زكريا، فنزل القيروان وجبي الأموال ، ثم توجه إلى الدعي ونزل والناس في كل يوم ينسلون عنه للدعي بسبب ظلمه وسفكه للدماء وإنكشاف خدعته حتى لم يبق معه إلا القليل⁴.

-
- 1 - ابن خلدون: التاريخ، ج 6، دار الكتاب اللبناني ، 1983، ص. 313
 - 2- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص. 45
 - 3- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص. 327، الزركشي: المصدر السابق، ص. 46
 - ابن الشماخ: الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق و التقدم الطاهر بن محمود المعموري ،الدار العربية للكتاب، 1984م، ص. 79، أحمد ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج 1، ط 2، الدار التونسية للنشر تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976 ، ص. ص. 210-212.
 - 4- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص. ص. 303-305، ابن قنفذ: المصدر السابق، ص. ص. 142-143، الزركشي: المصدر السابق، ص. ص. 45-50، مصطفى أبو ضيف احمد عمر: القبائل العربية في عصر بني مرين ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1982، ص. ص. 131-132.

ثم خرج السلطان أبو إسحاق من تونس لمقاتلته في شوال من نفس السنة 681هـ، ونزل بالمحمدية أو الحضنة، وأخرج من الدروع والسيوف ما حمل على سبعين بغلة، ففر الداعي ورجع السلطان أبو إسحاق إلى تونس¹.

وبقي يتقلب في الأرض مدة من الزمن، وكانت نهايته على يد أبو حفص ابن أبي زكريا حيث حاصر الداعي حصارا شديدا، وظهرت سيرته الغربية، وانكشفت سريرته، ولما أيقن بالهلاك فر بنفسه، لكن عثر عليه بعد تسع أيام، حيث قطع رأسه عام ثلاثة وثمانين وستمائة 683هـ/ 1284م

مند نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي بدأت الإقطاعات الحفصية للقبائل العربية والأسر الكبرى خلال فترة الاضطرابات السياسية والانشقاقات الداخلية حيث استخدم السلاطين الحفصيون على نطاق واسع الإقطاعات العقارية مند الوالي عبد الواحد الحفصي، ففي البلاد الغربية أستأنف الدواودة هجوما تهم وكان المستنصر قد قضى عليهم قضاء مبرما فقد قتلوا في إحدى المعارك والي

1 - الزركشي: المصدر السابق، ص. 46، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص. 77-78، ابن قنفذ: المصدر السابق، ص. 142

السلطان على الزاب¹ وانتشروا أكثر من الماضي في جنوب منطقة قسنطينة وبعد ذلك بقليل أقطع لهم أحد السلاطين الذي ربما يكون أبو إسحاق الأول (678-681هـ/1279-1273م) جميع المناطق التي احتلوها وكذلك الحضنة ومقرة ونقاوس².

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر منح المستنصر الحفصي (هو أبو حفص عمر الأول 683-683هـ/1284-1284م) محمد بن عبد القوي الشيخ الوفي الحفصيين المشرف على قبيلة بني توجين التابعة لمنطقة الشلف بلدي مقرة و اوماش الواقعتين في منطقتي الحضنة والزاب³.

انقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين مند سنة 683-718هـ/ 1284-1318م قسم شرقي عاصمته تونس وقسم غربي بالمغرب الأوسط الجزائر تتزعمه حاضرتان هما قسنطينة وبجاية بمعنى خلال عهد أبو

1- هو الفضل بن علي بن احمد بن الحسن بن علي بن مزني مؤسس إمارة بني مزني في بسكرة قتل سنة 683هـ/1284م أيد أبي إسحاق الحفصي ضد أخيه المستنصر ينظر ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق، ج6، ص. 915 عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر، بيروت لبنان 1986 ، ص. 295

2- ابن قنفذ: المصدر السابق، ص. 349، روبرار برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي، من القرن إلى نهاية القرن 15، مج2، ترجمة حمادي الساحلي دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1988 ، ص. 192.4

3 - روبرار برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص. 3191

حفص عمر الأول 683-683هـ/1284-1284م وعهد أبو زكرياء يحيى الثالث 683-694هـ/1284-1295م¹ ونتيجة لانقسام البيت الحفصي وصراع الأمراء الحفصيين على السلطة، ضعفت قبضة الدول على أطراف المملكة وسمحت الفرصة للأسر العربية القوية المستقرة بالزاب وبلاد الجريد للاستقلال ومن هذه الأسر التي تمردت على الدولة الحفصية نجد عرب رياح بزعامة الدواودة الدين تحالفوا مع عرب بني مزني الذين الحفصية نجد عرب رياح بزعامة الدواودة الدين تحالفوا مع عرب بني مزني الذين توسعوا في إمارتهم، فأضافوا إلى إمارة الزاب من شمال بلاد الحضنة المكونة من عدة مدن هي مدينة مقرة ونقاوس والحضنة.²

في سنة 709هـ/1309م تبعت الحضنة ومقرة حكم بني مزني في عهد المنصور المزني حيث بلغ حكمهم أوجه مع الولاء للدولة الحفصية، الذي يضعف عندما يغيرون هذا الإخلاص تارة الزيانين وتارة المرينيين.³

احتفظت الحضنة في عهد الحفصيين بمكانة مرموقة بين المدن الحفصية، بل أن موقعها ذاته قد جعل منها مدة من الزمن ضحية

1- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص. 55

2- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص. 138

3- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص131-132، وينظر أعمال ملتقى دولة بني مزني، في مدينة بسكرة، ديسمبر 2008م، منها محمد قويسم ، عوامل سقوط دولة بني مزني.

التناحر بين بني حفص وبني عبد الواد إلى أن استرجعها السلطان الحفصي أبو يحيى أبو بكر الثاني المتوكل (718-747هـ/1318-1346م) من أيدي القبائل المتمردة المتحالفة مع العدو في سنة 733هـ/1332م.¹

ففي سنة 1347 تحالفت قبائل الدواودة الرياحيين مع الأمير المريني أبو الحسن علي بن عثمان (732/749)(1331-1348) و اعترفوا له بالولاء في الوقت الذي كان أمير بجاية أبو عبد الله يحسبهم إلى جانبه، فكان ذلك عاملا هاما في تجهيز حملة عسكرية تنقل بها إلى الحضنة سنة 1354م من أجل استخلاص الضرائب . وتجدر الإشارة ان التحالف المريني مع الدواودة المحيطين بمدينة الحضنة ظهر منذ وصول المرينيين إلى منطقة الحضنة عندما اقتطع الأمير أبو تاشفين ملك تلمسان آنذاك إلى مشيخة الدواودة و أميرها سليمان ويحيى بن سباع و عثمان بن سباع الذين كانوا موالين ابني عبد الواد من قبل و منحت لهم أراضي الحضنة و جبل متنان و وونوغة و جبل عياض منذ سنة 1331م.²

وفي إطار الصراع بين الحفصيين والمرينيين والزيايين في سنة 752هـ/1351م يوم الأحد الخامس والعشرين من المحرم دخل ملك المغرب تلمسان حيث رفض طلب السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز

1 - بن الشماخ ، المصدر السابق، ص. 89

2- ابن خلدون، المرجع السابق، ج 6، ص. 467

طرد المعقل المستجيرين به ،وواصل ملك المغرب زحفه حيث نزل قرب الحضنة وبقي ثلاثة أيام لإيلاف أولاد يحي من رياح فأحسن إلى جميعهم بالكسي العديدة والمال الجزيل ثم رحل أخذا على مشارف وادي مسيف فبحائر الشيخ وخرج على ثنية غان فنزل ظاهر الدوسن من قرى الزاب أول شهر ربيع الأول¹.

وقد دخلت مدينة الحضنة نطاق سلطة بني مرين بعد انتصار محمد الحاجب المريني على أمير قسنطينة سنة 755هـ/1354م وقد سبق ذلك سيطرة الجيش المريني على مدينة الحضنة اثر حملة أبو عنان فارس المريني آخر شهر ربيع الثاني 753/في 14 جوان 1352 حيث وقعت معركة بين الزيانيين والمرينيين على وادي القصب، وتعتبر من المعارك الهامة والمشهورة والتي اعتقل فيها الأمير الزياني أبي سعيد وتم ذبحه في 11 جمادي الاول 1352/753م .

إلا أن الصراع الزياني المريني جعل المنطقة في تجاذب لعدة مرات، حيث أعاد الأمير أبو حمو الزياني الثاني إعادة بعث الدولة الزيانية

1- يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتقديم وتعليق: بوزياني الدراجي، ج 2 ، دار الأهل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص. ص. 446-445

من جديد في 1359/760 وبويع بالإمارة بتلمسان في 8 ربيع الأول 1359/760م.

استطاع أبو العباس أحمد الأول المتوكل الحفصي من بلوغ غايته باسترجاع إمارة قسنطينة في رمضان 761 هـ/1360م ، ولم تنجح المحاولات العديدة التي قام بها أبو عبد الله محمد المنصور أمير بجاية بمساعدة أولاد سباع لاسترجاعها، مما جعل أبو العباس الحفصي يستقر مؤقتا بالحضنة لمواجهة أبوعبد الله المتمرد الذي طلب مساعدة أبو حمو الزياني، وهذا لموقعها المفصلي جغرافيا وقبليا¹

في عام 772 هـ/1370م من شهر صفر اتجه أبو حمو ومن معه من الأوفياء نحو الجنوب دون أن يفقدوا الأمل في الانتصار على المرينيين حتى وصلوا إلى ناحية زاغر التي كان بقطنها أولاد يحيى بن علي بن سباع من الدواودة وتقع جنوب غرب الحضنة حيث استراحوا أياما قليلة، وعندما سمعوا بإقترب المرينيين حيث انظم يحيى بن خلدون إلى المرينيين في تلمسان، وكان لعبد الرحمن بن خلدون دور في دعم السلطان المريني عبد العزيز في إرسال الرسل إلى قبائل العرب بالمنطقة الشرقية من المغرب

1- يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص.29

الأوسط بالحضنة و الزاب حيث زار عبد الرحمن منطقة الحضنة وبسكرة ونجح في إقناع الدواودة بدعم المرينيين ضد أبي حمو الزياني¹.

في فترة السلطان الحفصي أبو فغارس عبد العزيز -عزوز- (المتوكل) الذي حكم ما بين (796-838هـ/1393-1434م) استعادت الدولة الحفصية سيطرتها على مناطق الدولة الجريد وطرابلس والزاب والحضنة حيث قضى على حكم بني مزني².

والقضية الهامة التي تجب الإشارة إليها هي غياب مدينة قلعة بني حماد عن الساحة بعدما كانت تضاهي القاهرة وقرطبة خلال القرن الخامس الهجري، لكن الخراب الذي رافق صراع الهلالين والزييريين في القرن السادس الهجري وتدمير الموحيدين النهائي للقلعة سنة 547هـ ثم بني غانية الذين استولوا على بجاية والقلعة سنة 581هـ، حيث لم تذكر القلعة إلا من خلال علمائها في بجاية وهروب العباس الحفصي إليها من قسنطينة خوفا من السلطان سنة 918هـ/1512م وهذا آخر ذكر لها في الكتب³.

1- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص. 35

2- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص. 188

3- إسماعيل العربي، عواصم بني زيري ملوك أشير القلعة بجاية غرناطة المهدية، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، 1984، ص. 45

الحضنة خلال العهد التركي

كان دخول الأتراك إلى بلاد الجزائر في مطلع القرن 16، في فترة حرجة كان فيها مسلموا الجزائر يعانون من الانقسام السياسي، بحيث تواجدت عدة ممالك، فتلمسان كانت لأبي حمو الزياني الذي لم يستقر له ملك، وتنس عليها إمارة أبو عبد الله، ومدينة الجزائر تحت سلطة سليم التومي¹. وبجاية في قبضة الحفصين، والخطر الأسباني بدأ يهدد المدن الساحلية بعد أن تمكنوا من طرد مسلمي الأندلس 1492 واعتمدوا سياسته إعادة الغزو أو الاسترجاع Reconquista².

وفي هذه الأجواء المفعممة بالفوضى والتشتت كانت مدن الداخل في شبه استقلال، بعيدة عن أي تأثير سياسي، وزالت أهمية الكثير منها كما هو حال مدينة المسيلة التي أثرت فيها كثيرا صراعات الممالك المغربية بحكم موقعها الحدودي، وطماسها لنفوذ الإمارات الحفصية والزيانية. وتاريخ انتصاب الأتراك في منطقة الحضنة خضع للعوامل ذاتها التي عرفت الجزائر من محاولات الانتصاب إلى الاسترجاع، إلى مجابهة

1- كورين شوفا ليه، الثلاثون سنة الأولى للقيام دولة مدينة الجزائر، (1510-1541). ترجمة:

جمال حمادنة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص. 19

2- عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول، المجلة

التاريخية المغربية، تونس، عدد 6، جويلية 1976، ص. 116

المشيخات المحلية الطامعة، إلى الخطر الخارجي وضرورة التصدي له. وإذا كان الغموض يلف حول فترة استقرار الأتراك بالمنطقة نهائيا وبصفة سمحت ب بروز فئة اجتماعية مميزة بها من حيث الجنس والعدد ألا وهي فئة الكراغلة التي أصبحت تمثل 2/1 نصف سكان مدينة الحضنة وحدها، وكانت تسكن في حي يسمى باسمهم أي الكراغلة في حين كان البعض من الانكشاريين الجنود يسكنون منطقة بشيلقا. والمحاولات الأولى لمجيء الأتراك إلى منطقة الحضنة تعود إلى الرابطة التي جمعت الأتراك بأحد شخصيات المنطقة الذي هاجر من المعاضيد ليكون إمارة بني عباس لأولاد مقران بمجانة ألا وهو أحمد بن عبد الرحمان المقراني بداية القرن السادس عشر حيث امتد نفوذه من وادي الساحل إلى الحضنة¹.

ففي فترة دخول الأخوة بربروس بلاد الجزائر تعاون الأمير أحمد بن عبد الرحمان المقراني معهما ضد ابن القاضي أمير إمارة كوكو وساهم معهما في توطيد سلطة الأتراك بالحضنة التي أبدى سكانها مقاومة شديدة لحملة خير الدين سنة 1528².

1- Gouvion (Marthe et Edmond) Kitab Ayane el Maghariba , imprimerie orientale Fontaine frères Alger ,1920, pp .65 ,66

2- De Grammont (Henri Delmas); Histoire D'Alger sous la domination turque , 1515, 1830-Edition , Bouchéne ,2002, p. 50

وشهدت منطقة الحضنة عامة ثورات عديدة كانت ورائها
مشيخة أهم العروش لأولاد ماضي أولاد دراج .

حكم للأتراك إلا بمساعدة أعيان ورؤساء مشيخة أولاد ماضي ومن
بينهم عائلة بوضياف بوراس، ومشيخة أولاد مكران بمجانة.

فبعد أن استطاع حسن أغا سنة 1541 من بسط نفوذه على
منطقة الحضنة¹، والتوسع إلى جنوب الأوراس حيث كون حامية عسكرية
بمدينة بسكرة كنقطة انطلاق للقضاء على الثورات وتحصيل الضرائب في
الحضنة الشرقية، ثارت الحضنة الغربية بحيط الحضنة سنة 1550م وهي
السنة التي يمكن اعتبارها بداية تواجد الأتراك بالحضنة، ولعل هذا
التواجد هو الذي دفع عبد العزيز بن عبد الرحمن المقراني سنة 1552
إلى مهاجمة الحامية التركية المتواجدة بالمسيلة. وعندما حاول القائدان
التركيان سنان رايس، ورمضان رايس التوغل في منطقة الحضنة لكسر
شوكة أولاد مكران الذين مدوا سلطانهم على أقاليم واسعة من الحضنة
إلا أن القائدان التركيان منيا بهزيمة وخسارة فادحة في وادي اللحم
بالقرب من مدينة الحضنة سنة 1554. ولم يتمكنوا من الوصول إلى مدينة
المسيلة إلى بعدد قليل من الفرسان، وكان لانهازم الأتراك بالحضنة نتيجة

1 - سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص. 229

هامة على المقرانيين، بحيث اشترط عبد العزيز المقراني الإمارة على الحضنة مع حق جباية الضرائب وحقوق العبور حتى على الأتراك وبذلك أصبحت بعض عروش الحضنة مثل أولاد ماضي وأولاد سيدي سليمان وأولاد السعادي تدفع الضريبة لعبد العزيز بدل الحامية التركية المتواجدة بالمسيلة. وربما هذه الحادثة لها دلالة على استئناس القائدان بأهل المدينة وهم قلة وتجاوب أهلها مع قدومهم. ولعل الأتراك اهتموا إلى حكم البلاد بأهلها البلاد من خلال محاولة حسن باشا إيجاد أصدقاء له بالداخل عندما منح مدينة المسيلة إلى أمير بني عباس من أولاد مقران بعد أن تبينت له قوة المشيخة وامتدادها بالحضنة على إثر هزيمة الجيش التركي أمام المقرانيين الذين قاربت قوتهم 18 ألف فارس ومقاتل، رغم تحالف إمارة، كوكو مع الأتراك¹ ومما دعم اتجاه الأتراك إلى صرف النظر عن المجابهة والاتجاه إلى المصالحة وكسب الأعيان وشيوخ الزوايا والأعراس هو تزايد المشاكل الخارجية المتمثلة في تهديدات الأسبان والمسيحيين وعملية فتح وهران المتكررة. ولعل موقع مدينة الحضنة

1 – Feraud (Ch), les Mokrani seigneur de la Medjana in R.S.A.C 1871 , p.233

الحدودي بين بابليك التيطري الذي ظهرت إدارته منذ 947هـ/1540م¹. وبابليك الشرق جعل الصراع ينتقل إلى ولاية الأتراك في عدة مرات و بين المقرانيين أنفسهم على مدينة الحضنة .

وفي الفترة التي أعقبت انتصاب الحامية التركية بمدينة المسيلة منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر استقرت الأوضاع نسبيا للأتراك وسكان الحضنة رغم بعض الإشارات إلى انتفاضة أهل الحضنة ومجانة ضد الأتراك سنة 1590، و لم يقع ما يدعو إلى التنافر بل بدأ الاندماج العائلي والانصهار الذي بدأ جليا في مدينة الحضنة، التي ظهرت بها فئة اجتماعية جديدة مميزة وممتازة كانت نتاج زواج أفراد الجيش الإنكشاري من عائلات أهالي مدينة الحضنة هي فئة الكراغلة والتي استقرت في موضعين أحدهما بموقع الحامية ببشيلقا والتي قدم لنا وصفا لها الكاتب مالتسان ويبدو من كلامه أن الأتراك كانوا على عدد هام ببشيلقا مع عائلاتهم وكانوا يشتغلون إلى جانب القيادة العسكرية بالزراعة وخدمة البساتين المسقية بقنوات الري من وادي القصب، والموضع الثاني كان بالحي الذي يحمل اسمهم أي الكراغلة بالمسيلة .

1 - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم: محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص. 30؛ كذلك سعيدوني ، المرجع السابق ، ص. ص. 338-348

يرتبط ظهور فئة الكراغلة بالجزائر عموماً بالتواجد العثماني، إذ أن بعض الأتراك قد اختاروا التقرب من السكان المحليين فعقدوا مصاهرات مع بعض العائلات الحضرية ذات الثروة والنفوذ الديني، فنتج عن ذلك عنصر سكاني جديد هو العنصر الكرغلي، وأصل المصطلح هو الكلمة التركية "كول أوغلو" التي تعني ابن العبد والعبد هنا كان يطلق على الجندي الإنكشاري بمعنى الولاء للسلطان العثماني وليس العبودية بمعناها الاجتماعي المعروف.

وقد تواجد الكراغلة في عدد من مدن بايليك الشرق مثل قسنطينة التي أصبح لعائلاتهما معالم مثل دار باشتارزي ودار بن البجاوي وديار كوتشوك علي. وقد احتلت مدينة الحضنة مكانة مميزة في العهد العثماني وكانت تمثل مفتاح الاتصالات بين الصحراء ومدينة الجزائر وبين قسنطينة عبر طريق البيان، لذلك قام الأتراك بوضع حامية تركية أو نوبة عسكرية في المدينة، وتظاهر العديد من أفراد هذه النوبة مع عائلات منها واختاروا الإقامة في حي خاص في البداية سمي بحي الكراغلة أو كما كان يسمى برأس الحارة لكونه يمتد شمال حارة اليهود ويشكل رأساً لها. كما تواجدت عائلات كرغلية في حي الشتاوة وحي الجعافرة وقدرت المصادر التاريخية عدد سكان مدينة الحضنة أواخر العهد العثماني ما بين 2000 و3000 ساكن نصفهم كراغلة.

ويلاحظ من خلال توزيع الألقاب التركية بمدينة الحضنة أن هناك تزواج كبير بين عائلات حي الكراغلة مع الحي المقابل أي الشتاوة لذلك تضاعف عدد الكراغلة إلى ما يقارب نصف سكان الحضنة وأصبح التميز بينهما واضح مع بقية السكان الذين يطلق عليهم بأهل الحضنة والمجمعين بحي العرقوب وخربة تليس .

كانت مدينة الحضنة ضمن نطاق قيادة المقرانيين باسم الأتراك، وكان الصراع داخل عائلة آل مقران قد ألقى بحمله على عروش منطقة الحضنة وهما أولاد ماضي وأولاد دراج من خلال التجاء العزيز بلقندوز المقراني إلى أولاد ماضي وصراعه مع أخوه بورنان والحاج بن بوزيد. وكان باي قسنطينة قد عين العزيز بن القندوز المقراني خليفة على منطقة الحضنة سنة 1740 وعرفت قيادته بقيادة أولاد ماضي بينما استوطن عبد الله خال أولاد مقران بالحضنة حيث تكون عرش أولاد عبد الله الذي يمتد إلى سور الغزلان بينما استوطن بورنان المقراني منطقة ونوغة. ومنشأ الصراع شخصي بين بورنان وأحد أعيان أولاد ماضي الذي كان عاملاً بمجانة عند المقرانيين ومن أثار ذلك مقتل بورنان ودفنه بالمسيلة قرب ضريح سيدي بوجملين¹. وقد كان لهذه الحادثة الأثر الكبير في تحالف أولاد مقران و إعلانهم الحرب على أولاد ماضي، وتحولت الحرب إلى مجابهة

1- Feraud , (Chl), les Mokrani, p. 263

بين عروش الحضنة ككل بعد أن انظم عرش أولاد دراج إلى جانب أولاد ماضي في موقعة العوج في وادي الشلال جنوب الحضنة، بحيث تركت المعركة 200 قتيل من حشم أولاد مقران و 9 من أفراد العائلة وعدد كبير من الجرحى والخسائر وسبي الأطفال والنساء وكان ذلك سنة 1799م¹.

هذا الصراع بين العروش والأهالي كانت تغذية نقمة الأتراك ورغبتهم في غرس الأحقاد والدسائس بين السكان والعائلات النافذة، للتمكن من السيطرة كما فعلت ذلك بواسطة قبائل المخزن المختلفة، والتي انتشرت في الحدود الشمالية والجنوبية لمحيط الحضنة كما هو حال قبائل هاشم بالعش بأولاد خلوف². والتي كانت تلعب الدور الهام في استتباب الأمن وجباية الضرائب بصرف النظر عن الأملاك والامتيازات التي تحصل عليها.

مسألة الصفوف خلال العهد العثماني بالحضنة³:

لقد كانت سياسة الأتراك في جباية الضرائب واعتمادهم على القبائل سبب في انقسامات عديدة بين عروش منطقة الحضنة مثل الانقسام الذي كان يميز مدينة الحضنة بين ما كان يطلق من أسماء على

1- IBID, p. 263

2 - سعيدوني، المرجع السابق، ص. 109

3- كمال بيرم: مسألة الصفوف أواخر العهد العثماني بالشرق الجزائري، المجلة التاريخية المغاربية عدد 161 تونس 2016.

أهل الترك وأهل الحضنة، وكان التمييز واضح في مسألة دفع الضرائب للأتراك واعفاء الكراغلة منها، وأن أهل الحضنة كانوا مغرمين من قبل الكراغلة خلال فترة الأتراك و أقل حضا في مسائل توزيع المياه والأراضي. كما دفعت مسألة الضرائب بعض القبائل بمنطقة الحضنة إلى تفاديها بالتحالف مع السلطة التركية المحلية، وكان ذلك سببا في ظهور ما عرف بالصفوف مثل الانقسام الذي حصل بأكبر عرش بالحضنة وهو عرش أولاد ماضي الذي انقسم إلى صفين :

(1) صف أولاد ماضي وأولاد منصور وماضي وأولاد يحيى بن خالد المواليين للأتراك.

(2) صف الجواد من عائلة بوراس بوضياف¹ من فرقة أولاد عبد الحق المتحاربين ضد أولاد مقران وكانوا أشد أعداء الإخوة بربروس². وهذا لما جعل الحروب متتالية بين أولاد ماضي والأتراك حيث كثيرا ما يتحالف مع أولاد ماضي عرش اولاد دراج كما كان الانقسام بين أهل ونوغة إلى صفين

1- نلمس هذا العداء الصريح لصف بوضياف اتجاه الأتراك في رسالة كتبها أحمد بن الصغير بوضياف الى قائد الجيش الفرنسي سنة 1834 يبين فيها الظلم و الجور الذي اتصف به الأتراك ضد قبائل اولاد ماضي وهذا ما دفع هذه القبائل الى الثورة عدة مرات ضد الأتراك بالحضنة منذ القرن الثامن عشر .انظر كمال بيرم: الاحتلال الفرنسي وتطور القيادة بالحضنة دار الاكاديمية الجزائر 2013.

2 – Gouvion (Met E) ; op-cit, P. 69 et despois, le Hodna, P.123

مستمر إلى ما بعد فترة الأتراك وخلال انتفاضة المقراني 1871 وانقسمت منطقة ونوغة إلى صفين :

1- صف كحل وذنو: وهم الموالون للأتراك وأصبحوا يعرفون بالكحلة ويتكون هذا الصف من عروش بني وقاف، فضالة حرارزة أولاد نشحيش أولاد ظريف، أولاد ضعن والعراف، أولاد جلال، أولاد على بن منصور.

2- صف الأبيض وذنو: وهم المعادون للأتراك حيث استمرت مقاومتهم إلى غاية سيطرة الاغا عمر (1824) بحملته العسكرية المكونة من 1500 تركي -850 فارس عربي¹.

ويتكون صف الأبيض وذنو من فرقة السلطنة، الخرابشة بني يلمان، أولاد مسلم بني يطاس الكسانة القصر السباحة² وعرفوا بالبيضة. كما ساهمت الأوضاع الصعبة لعرش العريب بمنطقة الحضنة على أن يلتفوا بالأتراك تفاديا لدفع الضرائب ويتحولوا إلى قبائل مخزن فيما بعد وهذا بعد ارتحالهم من المناطق الواقعة غرب وادي اللحم نحو منطقة المدية وسوق حمزة والشلف³.

1- Robin :Notes sur les Yahia Agha ,inRAF,N°: 18, 1874,p 92.

2- ibid p,92.

3- Guin:Notes historique sur les Adaoura,in RAF,N°:17 1873,p 105.

وقد شهدت مدينة المسيلة نموذج لتسلط الأتراك وسوء معاملتهم للأهالي ولبعضهم البعض عندما أقدم تشاكر باي 1815 على الانتقام من قبائل المنطقة بعد أن رفضوا تقديم الضرائب وكيف قام بقتل باي قسنطينة نعمان باي الذي جاء بنفسه لتحصيل الضرائب ومعاقبة الرافضين تقديمها ودفع الأمر بشاكر باي إلى قتل نعمان باي وإعلان نفسه بايا على قسنطينة من المسيلة، والباي "شاكر" ورغم مدته القصيرة في الحكم إلا أنه عرف بالبطش وسفك الدماء والإستحواذ على ثروات الناس لذا قال عنه العنزي: "شاكر باي رجل بطش تغلب عليه صلابة العجم يسفك الدماء بالباطل، ويأخذ أرزاق الناس بالغزو لا يبالى بمن هو طابع أو عاصي وفي زمنه إشتهر الترك بالظلم..."⁽¹⁾. كما أنه ينتقد الباي مح

إن إهتمام الأتراك بالمناطق الداخلية بعد نقص موارد القرصنة أثار ضدهم تمرد السكان الناس، وكانت أعنف هذه الثورات، الثورات الدينية،⁽²⁾ التي جاءت كرد فعل على السياسة الجبائية التعسفية التي أنهكت الأهالي خاصة بعد تضاؤل دور العلماء في التوفيق بين متطلبات الحكام المالية، وبين السكان المتأثرين بنفوذهم الروحي.⁽³⁾

1 - العنزي، فريدة مؤنسة، ص83.

2 - GHALEM, Op.cit, p27.

3- سعيدوني ، النظام المالي، ص60.

خاصة وأن العثمانيين لم يبذلوا جهداً لربط علاقات متينة مع الأهالي فالذي ربطهم بالرعية كان الجانب المالي، لهذا ركزوا طيلة وجودهم بمنطقة الحضنة على تطوير الجهاز الجبائي، وتخصيص مصادره للمحافظة على الأمن والاستقرار وضمان مصالحهم وإمтиازاتهم، لكن سياستهم ألبت ضدهم السكان وبالتالي فإن توجه أنظار الحكام نحو الداخل من أجل إيجاد مصادر دخل بديلة كان له نتائج وخيمة، لأن تحولهم لم يكن يعتمد على سياسة مدروسة تعمل على عدم الإضرار بكل الأطراف⁽¹⁾.

ولم يكن للأتراك بإقليم الحضنة تواجد بشري كبير باستثناء مدينة المسيلة، وبقيت سلطة الأتراك حاضرة بصفة غير مباشرة من خلال جماعات المخزن بأولاد دراج وهاشم بمنطقة العش². شمال الحضنة. وكان البايات يتدخلون بحملاتهم في حال الفوضى أو رفض الضرائب، وهي حالات متكررة.

ومعروف أنه منذ 1600 ربطت الأتراك بواسطة المقرانيين علاقة مع عرش أولاد ماضي منذ تولي الشيخ سيدي ناصر بن سيدي أحمد المقراني مشيخة الحضنة والذي كانت تقوم بحراسته فرقة من قوم أولاد

1- الغالي، الحياة السياسية، ص 165.

2- سعيديوني : المرجع السابق ص 333.

ماضي متكونة من 18 فارس. وكان خضوع سيدي ناصر للأتراك شكليا فقط.

ومن أبناء سيدي ناصر سيدي بتقة (وكانت أمه زنجية ويدعى بأبو عتيقة) الذي ربطته علاقة مصاهرة مع أولاد ماضي بحيث تزوج من ابنة شيخ أولاد ماضي وهذا ما سمح للمقرانيين بتوسيع نفوذهم إلى مناطق واسعة من الحضنة وأولاد نايل، وقد استمرت علاقة الأتراك وأولاد ماضي طيبة إلى غاية حادثة إهانة أحد فرسان أولاد ماضي من طرف سيدي بتقة،

والحادثة تتعلق بشخصية صهر سيدي بتقة وهو من أولاد ماضي، والذي كان يرافق سيدي بتقة في تنقلاته ويتصرف في كثير من الحالات بعنف ونفوذ قوي على المقرانيين، وحسب رواية شارل فيرو أنه وقع في أحد الأيام وفي اجتماع لأعيان مجانة للتباحث حول شؤون الإمارة تدخل الماضي كعادته وأخذ الكلمة، مما أغاض سيدي بتقة الذي وجد الفرصة لتقليص تزايد نفوذ الماضي ووجه له كلام عنيف وأمره بالصمت مع كلام مس شرف أخته وقال له "عندما يتكلم الرجال يجب عليك الصمت".

كانت هذه الحادثة سببا في احتقان عرش أولاد ماضي على المقرانيين وخاصة سيدي بتقة الذي كان يراوح منطقة الحضنة كثيرا. وهذا ما دفع أولاد ماضي إلى الانتقام منه عندما تنقل إلى الحضنة للصيد مع قومه من الحشم -وعادة ما كان يتنقل بمجموعة صغيرة بحكم الأمن السائد مع أولاد ماضي -وخلال عملية الصيد التي قادت إلى مكان بونزوة فوجئ بإحاطة رجال أولاد ماضي لخيمته وأقام رجال أولاد ماضي خيمة بقربه مع وليمة الضيفة لفرقة سيدي بتقة الذي لم يعلم ما كان يحضره له صهره الماضوي، وقد تنبه أحد فرسان سيدي بتقة للمكيدة التي يحضرها لهم أولاد ماضي وقام بإنشاد أغنية العصفور بما تحمله من معنى المكيدة، وتفتن سيدي بتقة لذلك وتم الاتفاق مع حرسه على الفرار بترك الخيم والخروج من سياج خيم أولاد ماضي، وبطلوع الفجر وصل سيدي بتقة إلى سد الجير، إلا أن قوات أولاد ماضي وفرسانها استطاعت اللحاق بهم، إلا أن سيدي بتقة تمكن من الفرار والدخول إلى مجانة.

ومنذ ذلك التاريخ أصبح صف أولاد ماضي الأجواد الصف المعادي للمقرانيين والأتراك إلى غاية بداية الاحتلال، خاصة بعدما قام سيدي بتقة بجمع الفرسان من قبيلة الحشم وداهم أولاد ماضي وقتل منهم الكثير بموقع محفر الطير. وتوفي سيدي بتقة بعد ذلك خلال سنة 1680 وترك

أربعة أولاد بوزيد الذي خلفه في الرياسة بمجانة وعبد الله والعزيز ومحمد المدعو القندوز (أي صغير العائلة) وهذا الأخير هو الذي قضى أطول أيام حياته بمنطقة الحضنة التي كانت تحت قيادته وكان متحالف مع قبيلة أولاد فاضل المنحدرين من قلعة بني حماد.

كما حاول بورنان ابن الحاج بوزيد المقراني السيطرة على منطقة الحضنة بكسر شوكة أولاد ماضي الذين ثاروا عدة مرات على والده، وأزاحهم إلى جنوب الحضنة بحيث تركوا أراضيهم الخصبة لثلاث سنوات متتالية بين 1734-1736 عقب انتفاضة 1733.

فكانت ثورة أولاد ماضي ضد الأتراك وضد أولاد مقران 1733¹ مظهر لذلك الصراع، كما أن عودة المصالحة بين أولاد مقران والأتراك من جهة بعد زواج الحاج بن بوزيد بابنة علي بن صالح باي قسنطينة 1710م-1713م الذي امتاز بسمعة وطيبة جعلته يعتزل الحكم بعد عودته من الحج ويستقر بأولاد خلوف شمال الحضنة في زاوية سيدي أحمد بن علي إلى غاية وفاته.

وتعود انتفاضة أولاد ماضي إلى بداية القرن الثامن عشر أيام الصراع الذي نشأ بين المقرانيين والأتراك بسبب قضية الحاجة زوينة أرملة

1- Despois,(j):le Hodna,P,123,et Nacib,(y) op-cit,P164.

سيدي بوزيد المقراني، حيث قام العزيز بن القندوز بتكوين حزب قوي مع أولاد ماضي وثار ضد أخوه بوزيد على أمل أن يساعده الأتراك في جعل إقليم أولاد ماضي والحضنة تحت سيطرته نهائياً¹ لأن العداء كان كبير بين أولاد ماضي المتحالفين مع العزيز بن القندوز وبين أولاد مقران خاصة بورنان المقراني، وبداية العداء كان أثر القتال الذي وقع بين بورنان وحرصه مع أولاد ماضي والذي انتهى بمقتل سبعة أشخاص من عرش أولاد ماضي وفرار بورنان مع إخوته إلى منطقة ونوغة، وخلال هذه الفترة كانت محاولات الأتراك في الوصول إلى الحضنة سببا في تقدمهم نحو الجنوب وبناء البرج الذي عرف فيما بعد بـ برج بوغيريرج بحامية قدرها 300 انكشاري. وسيطروا على إقليم ونوغة. وعين على قيادة أولاد ماضي العزيز بن القندوز .

وبعد المصالحة التي تمت بين المقرانيين و الأتراك إثر زواج الحاج بوزيد المقراني بتركية إبنة علي بن صالح باي قسنطينة 1710-1713².

الحادثة الثانية التي أدت الى انتفاضة عرش أولاد ماضي ضد المقرانيين سنة 1799 تعود إلى المواجهة الكلامية التي وقعت بين بورنان

1 – Feraud ,(Chl):lesMokrani,p 263.

2- عرف عن علي بن صالح ورعه وتقواه و قد ادي فريضة الحج و انتقل بعد ذلك الى منطقة الرابطة قرب البرج و استقر بها الى جانب زاوية سيدي احمد بن علي الى غاية وفاته.

المقراني والعزيز بن القندوز خلال رحلة صيد في الحضنة والتي أدت إلى مقتل بورنان قرب الواد الأبيض وتم نقله إلى المسيلة حيث دفن إلى جوار قبر سيدي بوجملين. وترك بورنان خمسة أطفال أحمد وعلي وعبد الله وبوزيد والونوغي وقام برعايتهم عمهم سي الحاج بن بوزيد الذي توفي بين 1780 و1790.

وبقيت الحضنة مستعصية على الأتراك إلى غاية حكم الباي عصمان سنة 1763 حيث استطاع اخضاعها وكون منطقة دعم لسلطانه بالموضع الذي أصبح يحمل اسمه وهو حوش عصمان ومنه كانت تنطلق قوافل جباية الضرائب .

ولعل هذه الحادثة هي التي جعلت الأخوة المقرانيين يتناسون أحقادهم ويتحدون ضد أولاد ماضي في مواجهة سنة 1799 قرب وادي الشلال بعد أن هاجمت فرقة من أولاد دراج المتحالفين مع أولاد ماضي جماعة حشم المقراني في موقع العوج بوادي الشلال وقد تركت هذه المواجهة الكبيرة مقتل 200 من حشم المقراني وتسعة أفراد من عائلة المقرانيين وعدد كبير من الجرحى وسبي عدد من الأطفال والنساء لدى أولاد ماضي وأولاد دراج .

كما استمر الصراع بين المقرانيين وأهل الحضنة بداية القرن التاسع عشر حيث ثار أولاد ماضي في 1800 ضد بن القندوز المقراني مستغلين الصراع الدائر بين أفراد العائلة المقرانية، ووقعت معارك كبيرة بمواقع مختلفة قرب وادي الشلال وتحالف حينها عرش أولاد دراج إلى جانب أولاد ماضي، وكانت هزائم المقرانيين عامل مشجع لأولاد ماضي الذين هاجموا المقرانيين المتجمعين بموقع العوج قرب وادي الشلال ووصفت المعارك بالعنيفة جدا وقتل تسعة من أفراد عائلة المقرانيين الذين تركوهم مع ما يزيد عن 200 فارس من قبائل الحشم وكان عدد الجرحى أكثر من ذلك بكثير. ورغم العدد الكبير لقتلى عرش أولاد ماضي ولأولاد دراج إلا أنهما استطاعا مطاردة المقرانيين وسبي عدد من نساءهم وأطفالهم. وتم نقل جثث المقرانيين إلى مقبرة سيدي علي الطيار بتازروت ووجد جثة العزيز بن القندوز بدون رأس.

لقد كان الصراع بين المقرانيين وأولاد ماضي من بين أهم العوامل التي أضعفت مكانة العائلة المقرانية التي انحسر وجودها بمجانة وركنت إلى السلم وأصبحت الإمارة موزعة بين ثلاث قيادات جديدة لكل من أولاد القندوز أحمد وبن محمد وأولاد بورنان محمد بن المسعود وأولاد الحاج وعبد السلام وعبد الله.

ولم تعد مجانية موضع احداث الى ان ثار فيها اولاد ماضي وناس
الحضنة ضد الاتراك بداية القرن التاسع عشر عندما تحالفت قبائل
الحضنة الى جانب ثورة ابن الاحرش الدرقاوي سنة 1803-1804.
ثورة ابن لحرش¹ و الحضنة 1803:

1- الشريف بن الاحرش هو عبد الله الدرقاوي من ناحية وادي الزهور بين القل وجيجل
اتصل بالشريف الدرقاوي ناحية وهران وقام بثورته ايام مصطفى باشا وأحمد باشا بين سنوات
1805-1898 للمزيد انظر صالح العنصري: مجاعات قسنطينة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
1974، ص. ص. 26-35.

الدرقاوية من الناحية المذهبية:

يعود تأسيس الطريقة الدرقاوية إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي المولود في مراكش عام
1145هـ/1733م، وكان ينتمي إلى قبيلة بني زروال شمال مدينة فاس، تعلم التصوف على يد
الشيخ علي بن عبد الرحمان الجمال الإدريسي الفاسي شيخ الطريقة الشاذلية(1)، وقد أسس
الشيخ محمد العربي زاويته في "بوبريج" بفاس، ثم إنتشرت في شمال المغرب الأقصى و غرب
الجزائر(1).

وتعد الدرقاوية من أشهر الطرق التي أشهرت العداء ضد العثمانيين أواخر عهدهم بالجزائر،
حيث إرتكزت تعاليمها على القوة و الإبتعاد عن السلطة(1)، التي كانت معادية لها، فهم يمتقون
كل واحد يمارس سلطة سياسية على غيره، لهذا كانوا مجانيين للسلطة، ويتميز أتباعها باللبية
الطويلة و لبس الخرقه و العقد وحمل العصا و يلقب كل واحد من أتباعها "بيودريالة"*(1).
بلغ عدد أتباعها عام 1796م في الجزائر حوالي 9567 منخرط موزعين على 10 زوايا و من
أشهر الطرق المنحدرة منها، نذكر الطريقة العلوية للشيخ أحمد بن مصطفى المتوفي بمستغانم
عام 1934م و الطريقة الهبرية للشيخ محمد الهبري المتوفي بمغنية أوائل القرن 20م إلى جانب
طرق فرعية أخرى كالكتانية بالمغرب الأقصى(1).

وتعد الثورة الدرقاوية من أكبر وأخطر الثورات التي شهدتها العثمانيون منذ بداية تواجدهم
بالجزائر، حيث كانت هذه الطريقة تتلقى الدعم من المغرب الذي لعب دورا أثناء ثورتها التي
تزعمها الشيخ محمد بن علي الإدريسي مرابط (عين الحوت) بتلمسان سنة 1736م التي .../...

تزامنت ثورة ابن الاحرش مع فترة صعبة عاشها المجتمع الجزائري من حيث الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وكغيرها من المناطق فقد أصاب الحضنة ومدينة المسيلة وضع صعب بحيث قل الغذاء وانتشر العوز في كل شيء وكثرت الأمراض والأوبئة الفتاكة وقلت النقود بين الناس وارتفعت أسعار الحبوب وبيع الصاع الواحد من البر بخمسة عشر ريالة ودام القحط سنة كاملة 1804.

لذلك لقيت ثورة ابن الاحرش صدى في مناطق عديدة ومنها الحضنة بحيث انضمت اليها قبائل عديدة مثل أولاد خلوف و عرش أولاد ماضي العدو التقليدي للأتراك، كما انظم عرش أولاد دراج إلى جانب ثورة ابن الحرش حيث أقام زعيم العرش بن بركات علاقة متينة مع بلحشر، واستطاع تجنيد عروش منطقته خصوصا المعاضيد وأولاد خلوف وجبل عياض وأولاد براهيم وأولاد تبان ضد الأتراك منذ سنة 1803، حيث التجأ بلحشر في تحركاته من قسنطينة إلى الحضنة بعد متابعة قوات الأتراك وقبائل المخزن له فالتجأ إلى أولاد خلوف بعد متابعة أولاد مقران له حيث هزمت قوات بن الاحرش في معارك وقعت ناحية مقررة عندما كان

.../... إستمرت إلى غاية عام 1759م، حتى أصبحت تلمسان شبه مستقلة عن السلطة البايك وقد إنتهج ضدها الباي محمد الكبير سياسة تعسفية، حيث دخل بجيشه التراب المغربي كتهديد للمغاربة، لكن عقد السلم بينه و بين مولاي يزيد عام 1789م

محتميا بعرش أولاد عامر بسطيف ثم بقي ينتقل في محاولة يائسة لجمع أتباعه بالرابطة شمال أولاد خلوف¹. ومنذ 1804 لم تعد السلطة التركية بالحضنة قادرة على بسط قوتها دون قبائل المخزن والمقرانيين الموزعين في قيادات الحضنة.

خلال سنة 1815 ثارت قبائل بوسعادة وأولاد ماضي ضد سياسة الأتراك في جباية الضرائب واتسع نطاقها وهدد أمن الأتراك بقوة مما دفع باي قسنطينة نعمان إلى تجهيز حملة عسكرية قوية قادها بنفسه إلى الحضنة حيث حاول في 1815 استرجاع الاستقرار بمنطقة أولاد ماضي بمساعدة شاكر باي الآتي من العاصمة ومبعوث من طرف الأغا عمر². واستطاعت هذه الحملة السيطرة على الحضنة ولو مؤقتا وعند عودة القوتين من المعارك بالقرب من مدينة الحضنة دبرت عملية اغتيال نعمان باي بمدينة الحضنة من طرف شاكر باي حيث اعتقل وقتل ودفن بمسجد بوجملين بالحضنة، وكانت عملية الاغتيال امتداد للحقد القديم بين نعمان باي والأغا عمر، وقد تم تنصيب شاكر باي على قسنطينة بمدينة الحضنة حيث ألبسه الأغا عمر القفطان في احتفال دام ثلاثة أيام بالمدينة

1- Feraud,(CH):Les Mokranis,....p 274.

2- Vayssettes,(E):Histoire des Derniers Beys de Constantine,Med:tchakeur,in RAF ,N°5,1861,p 94.

ليتجه بعد ذلك شاكر نحو قسنطينة ليستقبل بايا جديدا عليها. وعند انتقاله من مدينة الحضنة توقف شاكر باي في منطقة بئر سريات ثم في حمام قصر الطير واليوم الثالث استقر قليلا في سطيف قبل الوصول إلى قسنطينة قد كان حينها على رأس السلطة التركية بمدينة الحضنة خلال هذه الفترة القائد قارة مصطفى الذي استطاع الوصول إلى كرسي البايات بعد شاكر باي وإن كانت فترة حكمه من الفترات القصيرة جدا إذا لم يدم سوى شهر واحد جانفي 1818¹.

وكانت العداوة كبيرة بين شاكر باي وقايد الحضنة قارة مصطفى الذي تعرض للملاحقة ومحاولة القتل قبل أن يحصل على دعم داي الجزائر في توليه منصبه بقسنطينة² التي لم يكن لأهلها الرغبة في شاكر باي الذي عرف بكرهه للعرب وانتقامه للسكان بعد الاستقبال الفاتر لهم عند قدومه من الحضنة لتولى السلطة بقسنطينة.

ومن مظاهر عداة تشاكر باي للعرب محاولة الانتقام من عرش أولاد دراج بالحضنة الذي كان قد احتضن ثورة بلحشر من قبل وتمرد على الأتراك وقبائل المخزن التابعة لسلطتهم والتي كانت إحداها بمنطقة

1- Voysette ,(E): Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517-1837, Edition bouchéne ,2002,p. 35.

2- Voysette ,Eugène: Histoire de Constantine,p.p. 109-110.

سلمان، وقام تشاكر باي بتجهيز حملة عسكرية لمعاقبة عرش أولاد دراج سنة 1817 بمساعدة قائد الزمالة سي أحمد بن الشريف وحاولوا الهجوم على موقع خيم أولاد دراج بالمتكاوك (بسلمان) وأقام تشاكر باي بمنطقة ذراع الشعير بين تاغة وزانة ورغم القوة التركية التي قدمت من قسنطينة بمساعدة فرق الصباحية من المخازن والمقرانيين إلا أنها منيت بهزيمة نكراء بعد أن تعرضت لمباغطة فرقة أولاد دراج التي ألحقت الهزيمة بقوات شاكر باي، واعتقلت عدد كبير من رجال المخزن وأخ الأغا وفرض أهل أولاد دراج على الباي شاكر، الانسحاب بقوته. وبلهجة تهديد انتقل شاكر باي إلى موقع ذراع القبور ومنه انحدر نحو قسنطينة وهو في غضب شديد¹. كما قام في نفس 1817 السنة بمحاولة الانتقام من عرش أولاد ماضي وحليفهم من أولاد مقران بوعزيز بن القندوز وكانت النكسة كبيرة لشاكر باي الذي ترك خيمه، وأمتعته التي أصبحت بين أيدي أولاد ماضي وهي الهزيمة الثانية التي تلحقها به منطقة الحضنة وقبائلها والتي أدت إلى إزاحته من الحكم. كما كان لشاكر باي مشاكل مع قائد الحضنة قارة مصطفى، عندما وصلت أخبار إلى تشاكر باي عن رغبة قارة في الوصول إلى منصبه أي بايا على قسنطينة، مما دفع بشاكر باي إلى ملاحقة قارة مصطفى الذي فر إلى شيخ مدينة جيجل مول الشفقة، ثم انتقل

1- Voyssette ,(E): op-cit ,P108-et Feraud,(Ch):Les Mokrani....p201.

قارة مصطفى إلى الجزائر عبر البحر قبل وصول قوات شاكر باي الى جيجل ،وتحصل قارة مصطفى الدعم من داي الجزائر لتولى منصب باي قسنطينة مكان تشاركر باي الذي تحصن بدار الباي بقوته المحلية ،في ظل عداوة اهل قسنطينة له.

كانت الانهزامات المتتالية لشاكر باي في محيط منطقة الحضنة تدل على قوة الترابط بين عروش المنطقة خصوصا أولاد ماضي و أولاد دراج والتي جعلت من الأتراك يفشلون في الحصول على دعم المشايخ أو في تكوين قبائل مخزنية نافذة بالمنطقة التي حل محلها نفوذ العائلات الكبيرة مثل بوراس بوضياف التي احتكرت قيادة المنطقة الواسعة للحضنة شمال الصحراء، أو بما عرف بقيادة الحضنة والصحاري¹، التي سوف تعتمد عليها السلطة الفرنسية لبسط إدارتها ونظم حكمها بها.

وقبل سقوط قسنطينة في 1837 حاول احمد باي توحيد حلفاءه بمنطقة الحضنة حيث انتقل رفقة قوة عسكرية واقام بالقرب من الحضنة سنة 1833 بمساعدة عبد الله بن بوعزيز وعدد من مرافقيه،وخلال هذه الفترة تمركزت بمنطقة السلامة قبائل العريب

1-ACMM.B,257,lettre da caid Boudiaf Med 1/1/1945-

تحت قيادة فرحات بن طاجين الى جانب بعض حلفاء عبد الله بن
بوعزيزالذي قدمهم الى احمد باي الذي بدوره استقبلهم أحسن استقبال
واشترط عليهم الاشتراك في القتال ضد الفرنسيين وترك بعد هذه الحادثة
احمد باي منطقة الحضنة بعد ان عين اغا جديد للسير معه.

ومن بين البايات الذين زاروا منطقة الحضنة نجد:

زيارة باي قسنطينة احمد القلي للحضنة (بوسعادة والمسيلة)

.1178

زيارة باي قسنطينة عصمان باي للسيطرة على عرش أولاد ماضي

.1218

مجئ جلال باي المدية لتهدة المنطقة بعد الصراع الذي وقع بين
أولاد ماضي من جهة وأولاد سلامة والعداورة من جهة ثانية سنة 1222
وحدثت معركة كبيرة انهزم فيها الباي رغم استنجاده بقايدج فرقة عمر
الذيري قرب بوسعادة.

وقبيل الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة وفي ظل محاولات الحاج
احمد باي استرجاع قسنطينة ،كانت امارة مجانة مقسمة إلى صفين
متعادين :

الصف الأول متكون من بن عبد الله مع بن عبد السلام المقراني
اللذان تحالفا مع اولاد يلس وع اولاد موسلي ومع اولاد بوضياف ومع
أولاد عبد النور و التلاغمة وريغا الظهارة.

الصف الثاني بزعامة أحمد بن محمد المقراني ويضم أولاد ماضي
وبعض فرق ونوغة والعلاونة و ريغا القبالة.

قبل احتلال مدينة قسنطينة من قبل الاحتلال الفرنسي كان
فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز شيخ العرب وكان تحت امارته قبائل
اولاد سحنون بالحضنة والقبائل الشرقية .

لكن أعيان العائلات النافذة كانوا قد تحركوا إلى فرنسا منذ بداية
الاحتلال طمعا في قيادات جديدة من أمثال المقرانيين وبن يلس وبن
سعيد وبوضياف واخرين ، ولم تكن الظروف حينها تسمح لهم بموقف
محدد من الدخول الفرنسي، انطلاقا من الأوضاع التي عاشوها في ظل
الوجود العثماني .

بعثت شخصيات عديدة رسائل الى قيادة الجيش الفرنسي منذ
1834 ، تتودد فيها مكانة جديدة وموقعا متميزا في القيادة التي استاثر
بها الأتراك من قبل و حرمونهم منها وقتا طويلا.

التقسيمات الادارية التي وجدت ضمنها منطقة الحضنة قبيل الاحتلال الفرنسي كانت تفضي الى واقع لم يكن يشكل الوحدة السياسية التي من شأنها رد الاحتلال ، بقدر ما عملت الانقسامات القديمة والصفوف المختلفة على تهيئة الوضع لتوسع سريع للاحتلال بها .

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن الدراسة التاريخية لمنطقة الحضنة والحضنة تخضع لظروف خاصة تلخصت في علاقة الإنسان المحلي ببيئته الخاصة وبروابطه الاجتماعية فقد ظلت منطقة الحضنة تشكل المحور الهام لأحداث المناطق الداخلية للجزائر الشرقية ومركز الثقل .للتطورات التي عرفتھا عبر فترات التاريخ الطويل.

ولعل تلاشي السلطة المركزية منذ انتقال إمارة بني حمدون من مدينة المسيلة إلى أشير ثم تأسيس القلعة كعاصمة لدولة بني حماد جعل المنطقة في شبه عزلة، مما عزز استقلالية أهلها كما اضعف الصلات، التجارية بينها وبقية الجهات الأخرى في القرون الموالية التي جعلت من الرحالة والجغرافيون العرب يبروزن جوانب الانهيار الحضاري والتخلف الاجتماعي بعد أن كانت قطب الإشعاع الفكري في عهد إمارة بني حمدون وملوك القلعة.

كما تعزز انعزال المنطقة في عهد إمارات ما بعد الموحدين، رغم محاولاتهم المتكررة في احتوائها وبقيت كذلك ممتنعة عن السلطة التركية التي حاولت بدورها شن حملات متكررة من بايلك قسنطينة أو التيطري أو العاصمة، وباءت بالفشل مما دفع بايات قسنطينة إلى انتهاج سياسة المهادنة معتمدين على خلق أحلاف محلية تستند إلى نفوذ العائلات الإقطاعية ورجال الطرق، كما أن فكرة الأحلاف العشائرية المعتمدة على فكرة الصف¹ تحولت إلى وسيلة تعاضد العشائر أو العروش ضد أي اعتداء خارجي في وقت لم يكن فيه للسلطة المركزية مصلحة من إقرار النظام بقدر كسب وتحصيل الضرائب وتغذية الصراعات المقسمة لعروش المنطقة من أجل بسط النفوذ والسلطة.

1- Gouviion(M,E):op-cit ,pp,65.69

الفصل الثلثي

اثر السياسة الاستيطانية

على الحضنة سياسيا

تقديم

بدأ الاحتلال الشامل مع بداية عام 1835 إذ شهد فيه الاستيطان أوج ازدهاره مع فالي وبيجو و راندون كذلك تعتبر هذه السنة بداية ظهور قوة المستوطنين في فرض وجودهم على الساحة السياسية في الجزائر، وفي باريس على حد سواء، وتوطيد مكانتهم في الجزائر خاصة على حساب العسكريين.

أفتتح المارشال الكلوزيل عهد الاحتلال الشامل مخاطبا المعمرين بمناسبة تعيينه واليا عاما في قائلا "لكم أن تؤسسوا من المزارع ما تشاءون، ولكم أن تستولوا عليها في المناطق التي نحتلها وكونوا على يقين بأننا سنحميكم بكل ما نملك من قوة وبالصبر والمثابرة سوف يعيش هنا شعب جديد، وسوف يكبر ويزيد بأسرع مما كبر وزاد الشعب الذي عبر المحيط الأطلسي واستقر في أمريكا من بضعة قرون."

أقيمت أول مستوطنة في مدينة بوفاريك منذ 1836، وزعت على القادمين إليها 563 قطعة أرضية كما وزعت 173 قطعة أخرى بلغت مساحة الواحدة منها 4 هكتارا، في الأحواش المجاورة. وانتقلت الإدارة الاستعمارية إلى إجراء آخر لتحريك وتيرة التوسع الاستيطاني ، وذلك

بتشجيع الاستيطان الحر من خلال بيع أراضي الدومين التي تكونت من أراضي البايليك والوقف المصادرة . بهذا الأسلوب حصل بعض المهاجرين على أكثر من 4500 هكتارا خلال السنة فقط.

وقد شهد الاستيطان تطورا كبيرا ، بمجيء الجنرال بيجو الذي صرح أمام النواب " يجب أن يقيم المستوطنون في كل مكان توجد فيه المياه الصالحة والأراضي الخصبة دون الاستفسار عن أصحابها " ومن هنا أخذ يشجع العسكريين الذين أنهموا خدمتهم على الاستقرار في الجزائر ، وأنشأ المستوطنات كي يعملوا فيها بصفة جماعية ، كما أنشأ المزارع حول المعسكرات يستغلها الجنود. وكان أهم شيء نجح فيه الجنرال بيجو هو استخدام الجيش في بناء المستوطنات وفي استصلاح الأراضي وغرس الأشجار في انتظار وصول المستوطنين. وقد اشتدت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر في عهده ، ففي سنة 1843 وحدها وصل إلى الموانئ الجزائرية 14 ألف و137 مهاجرا ، منهم أكثر من 12.006 من الفرنسيين والباقي من الاجانب. وبلغ عدد المستوطنات سنة 1844 فقط 28 مستوطنة في الشمال والساحل. وفي سنة 1845 وصل إلى الجزائر حوالي 466 ألف مهاجرا ، الشيء الذي كان وراء توسع الاستيطان نحو الغرب والشرق. لقد كان الدعم المعنوي لحركة الاستيطان ظاهرا في خطابات كل الحكام الذين تداولوا السلطة والحكم على الجزائر، سواء العسكريون منهم أو المدنيون،

ومن هذا المنطلق فإن تشجيع الأوروبيين على التوجه إلى الجزائر وتعميرها كان ضروريا للسلطة المحتلة، لذا راحت توفر لهم كل الشروط الضرورية للاستيطان على حساب أصحاب الأرض، ومن هذه الشروط توفير السكن وضمان رواتب تفوق رواتبهم في باريس، وهذا ما يسمح لهم من التفوق عدديا على أصحاب الأرض، كذلك ضمان الحماية العسكرية لهم ، كذلك بدأت حركة الاستيطان تشهد توسعا أكثر، حيث شمل كل الأوروبيين فقامت فرنسا بعملية تسهيل تهجيرهم من أوطانهم إلى الجزائر على متن سفنها، ومنحهم فرص النجاح في الأراضي الجديدة.

وقد وصل عدد هؤلاء الأوروبيين في عهد بيجو إلى 100.000 ألف مهاجر أي بزيادة 42 في المائة عما كان عليه سنة 1839، جنسيات مختلفة وما بين 1848 و1850. تم إنشاء 42 قرية خاصة بالمستوطنين طبقا للقوانين الخاصة بعملية الاستيطان منها قرية مارنغو. لتفعيل هذا الجانب جاء دور الشركات التي تأسست لهذا الغرض حيث أوكلت لها مهمة إنشاء القرى والمستوطنات ومن أبرزها الشركة الجزائرية التي تأسست عام 1868 وتحصلت على 100 ألف هكتار من الأراضي، وقد قامت هذه الشركة بتقديم تسهيلات للمستوطنين في الحصول على قطع من الأراضي مقابل دفع فرنك واحد لكل هكتار ولمدة 500 سنة. وتدعم الاستيطان بإصدار سلسلة من القوانين والقرارات خولت للمعمرين

الاستيلاء بطرق مختلفة على أجود الأراضي وأخصبها. بداية بقانون 1845 الذي صادر أملاك القبائل التي أعلنت عصيانها ضد الفرنسيين.

مراحل الاستيطان الفرنسي بالحضنة

الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة 1838-1860

لا يكاد قارئ تاريخ الحضنة يجد مصطلح الحضنة إلا نهاية الحكم العثماني في إطار القيادات التي منحت للعائلات النافذة، مثل قيادة خليفة مجانة للشيخ المقراني و عائلته، و قيادة شيخ العرب لبن قانة و من بعده فرحات بن سعيد¹ بداية الاحتلال، و قد امتدت سلطة فرحات بن سعيد سنة 1838 إلى مناطق من الحضنة الشرقية و لو بصفة اسمية، و قد استمر مصطلح الحضنة مرادفا للأجزاء الشمالية لشط الحضنة الواقعة غرب وادي بريكة .

1-امتازت شخصية فرحات بن سعيد بكونها غريبة الأطوار و التصرفات و كبيرة الطموح، وكان لا يبالى بالوسائل للوصول الى الاهداف، وكان على تناقض كبير مع خصمه ابن قانة منذ ان كان شيخ العرب ايام ابراهيم باي قسنطينة. انظر عن فرحات بن سعيد :مقال مذكرات الحاج احمد باي قسنطينة اخر بايات قسنطينة نشر و تعليق ايمري في المجلة الافريقية 1949 وكذلك :ابو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، 1982ص96.

و رغم أن إقليم الحضنة أدرج رسميا و ليس واقعيا ضمن إدارة و سلطة فرنسا بموجب قرار 30 سبتمبر 1838 إلا انه لم يخضع لها فعليا إلا نهاية سنة 1840 ، كما أن التقارير الإدارية و العسكرية التي استعملت مصطلح الحضنة كانت تعني بها القيادات التي خضعت لسلطة المقرانيين ، مثل قيادة الحضنة التي ضمت سنة 1838 مجموعة من المشيخات امتدت جنوب دائرة برج بوعريريج العسكري او ضمن دائرة بوسعادة العسكرية التي استحدثت سنة 1849 اثر مقاومة الزعاطشة.

امتدت سلطة المقرانيين على إقليم الحضنة باسم السلطة التركية وتولت على رأس هذه المشيخات شخصيات من العائلة المقرانية في كل منقيادة أولاد دراج الشراقة التي اعتبرت منطقة التماس مع إقليم الحضنة الشرقية ، و كذا قيادة أولاد دراج الغرابة و قيادة المعاضيد و بوسعادة ، وربطت هذه المناطق تحت سلطة المقرانيين علاقات تاريخية تباينة حسب الظروف ، ومن جهة أخرى كانت منطقة الزاب على تماس مستمر بالحضنة الشرقية و كثيرا ما تتداخل قياداتها في الحضنة الشرقية.

لقد قدم فرحات بن سعيد بن بوعكاز الذي كان يشرف على قيادة مفتوحة على منطقة الحضنة خاصة الشرقية منها قبل ان يقدم ولاءه للجيش الفرنسي منذ 1831 وفي نفس الانسياق استسلم بوعزيز

بن قانة الذي يعين فيما بعد شيخ العرب مرغما دون أن ينسى حقه
لفرحات بن سعيد و قدم الاثنان خدمات جليلة للجيش الفرنسي كما
أشارت إليه التقارير العسكرية الفرنسية، ومن جهة ثانية تذكر بعض
الكتابات التاريخية أنه في مارس 1831 تقدمت شخصيات من عائلات
نافذة بالجزائر ولائها للجنرال BERTHEZENE من بينهم عبد
السلام المقراني و بن قانة وابن يلس و بوضياف وبوراس¹. ورغم ان الامور
لم تكن تسمح لهذه الشخصيات معاكسة المقاومات الشعبية خاصة
مقاومة الأمير عبدج القادر بمنطقة الحضنة الا اننا لمسنا من خلال
الرسائل التي وجهتها هذه الشخصيات الى القائد الفرنسي منذ 1831
كانت تحمل في طياتها امور كثيرة منها ما تعلق بالعلاقات التركية مع
الاهالي خاصة شيوخ واعيان القبائل المحاربة، والتي يبدو فيها قهر وظلم
الأتراك وجبايتهم المفرطة للضرائب واضحا جعل هؤلاء ينتظرون دورا
آخر مع الوافد الجديد.

ومنطقة الحضنة ارتكزت عائلة المقراني التي كانت تشرف على
اراضي الحضنة الواسعة على عدة مشيخات مثل مشيخة اولاد نجاع
بعـرش أولاد دراج، و مشيخة أولاد ماضي ذات التأثير الكبير و السلطة

1 Bourdieu,(Pierre):Sociologie de l'Algérie, Presse ,Universitaire de
France, Paris,1980,P74.

على إقليم وبلاد الحضنة¹. كما أن العلاقات الاجتماعية التي سادت الفترة السابقة للاحتلال والتي تجلي من خلالها التمايز الكبير بين مشايخ وأعيان المنطقة وبين بقية السكان، أدت في كثير من الحالات إلى الانقسام والتطاحن، و ظهور مسالة الصفوف .

واتجهت فئة أصحاب النفوذ والامتيازات إلى الإسراع في تقديم الولاء والخضوع للسيطرة الفرنسية قبل وصولها إلى منطقة الحضنة، طمعا في لعب دور جديد ومكانة ترقى إلى تحقيق طموحاتهم، ومن ثم فإن عملية احتلال فرنسا لمنطقة ا لحضنة بكاملها والسهولة التي تمت بها لم يكن مصدرها قوة فرنسا الحربية فحسب، بل تضافرت جهود الأقلية المحلية النافذة وذات السلطة القديمة على الأهالي في تنفيذها. فقد أثارت بداية مقاومة الأمير عبد القادر ومحاولة توحيد الصفوف عداء العناصر التي حاولت الاحتفاظ بامتيازاتها ولو بالتحالف مع ضباط الجيش الفرنسي². ولعل ما يفسر هذا الاتجاه هو الوفد العالي المستوى الذي انتقل في فيفري 1831 لإعلان الولاء للجنرال بيرتران Berthezène

1- Bourdieu,p:op-cit,pp 173-176.

2 - استقبال المارشال بوجو لبوضياف أحمد بن لصغير بن بوراس و إعطاءه كمية من الأسلحة والذخيرة لتكوين ما عرف بجيش بوضياف (رسالة بوضياف محمد إلى متصرف الحضنة بتاريخ 1 جانفي 1945 يعرف فيها خدمات عائلته لفرنسا - Archive outré mer, - (aix,chefs indigenes:,dossier famille Boudiaf).

¹ وضمت عبد السلام المقراني -الصالح بن يلس -فرحات بن سعيد وبوعكاز بوضياف بن بوراس² من الحضنة. كما ساهم جانب الانقسامات القديمة بين العروش بدوره في تمهيد طريق الجيش الفرنسي بحيث أدي الصراع القديم بين عائلة المقراني بمجاعة وبين عبد الله بوعزيز. شيخ³ أولاد ماضي في انقسام الحضنة إلى صفين⁴ في نفس الوقف انقسم عرش أولاد

1 - Gauvion, (M,E); op-cit, p 70.

1 - تتحدر أصول عائلة بوضياف إلى الدواودة الرياحيين نسبة لداود بن مرداس بدأت التواجد منذ القرن 13 وامتدت بين بوسعادة وبسكرة والحضنة حيث كونت عرش أولاد ماضي الكبير، واستمر نفوذ عرش أولاد ماضي خصوصا في فترة الدويلات -الحفصية والزبانية وتنتمي عائلة بوضياف إلى فرقة أولاد عبد الحق = الذي عينه السلطان مولاي عثمان المريني قائد على منطقة السعيدة بالحضنة وكون مع فرق بربرية وعربية مثل أولاد بوعبان -أولاد نخلة ، أولاد سعيدي المراشدة وأولاد معنوق عرش أولاد ماضي .(لمزيد من المعلومات انظر كمال بيرم :دور العائلات النافذة بالشرق الجزائري، عائلة بوضياف نموذجا، المجلة التاريخية المغربية السنة 2013.

-1

3- تتحدر عائلة بوعزيز إلى سيدي عثمان الدراجي الذي بني له مسجدا بالحضنة منذ القرن 18 والذي بقيت تزوره عائلات عرش أولاد دراج بالحضنة وعبد الله بن بوعزيز ولد في 1770 م وتوفي 1840 م ، كان ابنه إبراهيم المولود 1825 م أغا الحضنة تحت قيادة الشيخ الحاج عبد القادر شيخ أولاد على بن فاضل ثم قايد على أولاد عيسي ثم قايد على السوامع ، وهو الذي ترغم ثورة أولاد ماضي بالحضنة 1864 م ثم نفيه إلى كورسيكا بعد الثورة. (Guin,noteshistorique,in revue africaine,1873,pp,100,110).

4- مسألة الصفوف في الحضنة تعود الى فترة الأتراك عندما انقسمت عروشها على اثر الصراع القائم بين أولاد مكران باسم السلطة التركية وبين أولاد ماضي الذي يضم تحت جناحه عدة فرق مثل أولاد سيدي حملة و تكزنت منذ ثورة اولاد ماضي على الأتراك سنة 1773 و

ماضي بالحضنة إلى صفين. منذ الفترة التركية ، وخلال الصراع الذي دار بين أفراد العائلة المقرانية، صف واد الشلال ، وصف أولاد ماضي ، كما شهدت المنطقة الغربية للمسيلة انقساماً في عرش ونوغة إلى قسمين : صف موالي للأتراك " الأكحل وذنو " والصف المعادي له " الأبيض وذنو"¹.

مقاومة اهل الحضنة للاحتلال الفرنسي

- مقاومة الأمير عبد القادر بالحضنة

تعتبر سنة 1837 بداية تنظيم مقاومة الأمير عبد القادر بمنطقة الحضنة التي أصبحت منذ ذلك التاريخ ضمن إحدى الولايات الثلاث التي مثلت إقليم الشرق الجزائري وهي :

1-ولاية برج حمزة تحت قيادة احمد الطيب بن سالم و كانت

استمرت الى 1774 عندما استطاع بورنان المقراني إخضاع أولاد ما ضي و أولاد منصور اوماضي وكونا صف وادي الشلال مع أولاد يحي و علي بن خالد بينما بقيت عائلة بوراس بوضياف في صراع مع المقرانيين وكونوا صف أولاد عبد الحق المتحالفين مع صف بوعكاز في الزيبان للمزيد انظر كمال بيرم: دور العائلات، المرجع السابق.

1 CAOM:8H7,organisation du caida de ouanougha,-

Robin,(N):expédition du général Blangini en Kabylie,in RA,1885,p,P92

استمرت كلمة الابيض و الاكل كمرادفات لصفوف من السكان و القيادات الى فترة 1871 عندما سمي فريق المقرانيين بالكله وصف -بوضياف بالبيضاء الموالية لفرنسا(مراسلات عن احداث ثورة المقراني بمنطقة بني يلان وملوزة، ومخطوطات خاصة لاشعار حول الثورة

تظم حوض الصومام و جبال جرجرة ومنطقة البيان.

2- ولاية مجانة تحت قيادة محمد بن عبد السلام المقراني و ضمت منطقة مجانة و سطيف و الحضنة و الحضنة¹ و منطقة البرج و التي كانت تظم قيادة وادي القصب التي تصل حدودها إلى جبال ونوغة .

3- و لاية الزيبان و الصحراء الشرقية تحت قيادة كل من فرحات بن سعيد ثم لحسن بن عزوز، و تمتد من حدود الحضنة الشرقية إلى بسكرة و الواحات الشرقية

و في هذه الأثناء حاول الأمير عبد القادر الاتصال بفرحات بن سعيد لمد نفوذه بالحضنة و الزيبان ، إلا أن بن سعيد كان قد وافق على مراسلات فالي VALLEY و اقترب أكثر بالفرنسيين الذين عينوه قائدا لإقليم الزيبان ببسكرة في 17 جانفي 1838 مما دفع الأمير عبد القادر إلى تعيين لحسن بن عزوز مكانه سنة 1838 إعجابا بشخصيته و بانتمائه للزاوية الرحمانية لبرج بن عزوز² .

1- يحي بوعزيز:مظاهر .المقاومة و روادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن الأصالة ع 79 الجزائر 1980 ،ص89.

1- ابو القاسم سعد الله،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)الطبعة الثالثة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982،صص 95.96..

الظروف التي سادت خلال هذه الفترة بمنطقة الشرق الجزائري لم تكن لتساعد للحسن بن عزوز كثيرا من الوقت، حيث كانت عملية ولاء بن قانة للفرنسيين الذين عينوه شيخ العرب سنة 1839 بداية تقهقر مكانة بن عزوز العسكرية اثر الهزائم التي لحقت بقواته بالحضنة أمام¹ بن قانة في مارس 1840 أي ثلاثة أشهر قبل وصول الجيش الفرنسي للحضنة .

و في الجهة الغربية للحضنة ظهرت مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي مبكرة، حيث اتخذ الأمير من جبال ونوغة قاعدة انطلاق في تسيير المقاومة بالحضنة. و بعد عقد معاهدة التافنة 30 ماي 1837، بدأت البيعة الشعبية تتوالى عليه بمختلف مناطق الحضنة²، وعمد الأمير في البداية إلى تولية الحاج محمد بن زعموم³ بقيادة المقاومة في المنطقة، في الوقف الذي حاول الأمير إيجاد حلفاء له بالحضنة ومجانة اللتان تخضعان الى قيادة كل من فرحات بن سعيد في الشرق و المقراني في الغرب ، وقام باجتماع مع أجمد المقراني ومحمد بن عبد السلام

2- ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1834-1837 دار هومة الجزائر، 2005، ص35.

2 -Robin,(N):notes historiques sur agha yahia, in revue africaine,n°18,1874,p 332.

3 -Robin,(N) :Ibid, p 333.

المقراني، ومال الأمير في الأخير إلى تعيين محمد بن عبد السلام العايب كخليفة له بمجانة. وربما هذا الاختيار من جانب الأمير مرده الصداقة القديمة التي كانت بين أحمد المقراني وأحمد باي قسنطينة، كما كان ذلك دافع لأحمد المقراني إلى إعلان الولاء لفرنسا التي بادرت إلى تعيينه خليفة على مجانة في 30 ديسمبر 1837¹.

ورغم أن أحمد باي قد التجأ إلى الحضنة بعد سقوط قسنطينة 1837 إلا أنه لم يحاول استغلال قدوم الأمير عبد القادر إلى الحضنة 1838 وربما مرد ذلك أنه كان يحارب ليس ليמד سلطانه بل من أجل سلطة محلية، لذلك لم يتفق أحمد باي مع الأمير الذي كان يرى فيه دعيا متطاولا على السلطة مستعملا الدين كوسيلة للوصول إلى الحكم، ومما زاد من شك أحمد باي في الأمير أن هذا الأخير قد وقع اتفاقيات مع الفرنسيين مثل معاهدة دي ميشال 1834 و معاهدة التافنة 1837². و أعلن من جانبه بوضياف بن بوراس الذي يتمتع بنفوذ قوي بالحضنة³

1 -Peyronnet,(R):L'ivre d'or des officiers des affaires Indigenes ,1830,1930,Imp. , PGianchain Alger, 1931, p 29.: CAOM:,8h7,note historiques et géographique sur m'sila ,bousaada, bordj bouareridj

2-ابو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ص146.

3-ستكون لنا دراسة خاصة بعائلة بوضياف في الفصل الثاني من الرسالة و دورها التاريخي في ظل الاحتلال الفرنسي

ولائه للأمير عبد القادر،-وان كان لوقت قصير -وقام الأمير بتعيينه أغا على88 الحـضنة. و كلف الأمير كل من بوضياف و خليفته بالحضنة البركاني. بمهمة إلى الزيبان مع تعزيزهما بوحدات من الجيش .

لم تستقر القيادة التي عينها الأمير على الحضنة فترة طويلة بحيث حصل الخلاف بعد رحيل الأمير نحو عين ماضي 1838 بحيث قام البركاني بعزل بوضياف و تعيين حامد بن عمر' سنة 1838و لعل هذا التغيير كان السبب في إطلاق سراح العدو القديم لبوضياف الشيخ عبد الله بن بوعزيز ويكون هذا الحدث عاملا هاما في انشقاق عرش أولاد ماضي في الحضنة إلى صفيـن صف بوضياف* و صف بوعزيز. و قد سهلت مثل هذه الانقسامات و الخلافات من مهمة القوات الفرنسية التي وجدت سندا لها من جهات متعددة من الأعيان.¹

كما تجدد الصراع بين خليفتي الأمير في الحضنة "بوضياف" و حامد بن عمر و كتب كل واحد إلى الأمير طالبا عزل الآخر .لذلك أرسل الأمير أخاه الحاج مصطفى رفقة الحاج بلخروي الى الحضنة لتسوية

* اطلق على صف بوضياف بصف واد الحضنة وصف بوعزيز بصف واد الشلال الذي يبعد عن مدينة الحضنة). م CAOM:8h7;historique de cercle de bousaada ب20كم الى الجنوب وهو منطقة عرش اولاد ماضي).

1 –CAOM:8h7, notice historique et géographique sur bousaada, bordj bouareridj,m'sila,

الوضع و قاما بعزل حامد بن عمر و قاما بتعيين لحسن بن عزوز سنة 1838 الذي شغل منصب خليفة الزيبان وهو من مقدمى الطريقة الرحمانية. وكان للصراع القائم بين أبناء المقراني على خلافة مجانية، أثره على منطقة الحضنة، التي احتضنت أحمد المقراني وحاربت إلى جانبه ضد عبد السلام بفضل دور مشيخة أولاد ماضي و مشيخة أولاد نجاع .. كما كان دور عبد السلام المقراني في مواصلة الحرب ضد فرنسا وحليفها أخوه أحمد في تغيير الأمير عبد القادر لموقفه ويعيد عبد السلام المقراني على خلافة مجانية .بعد أن قامت فرنسا بإصدار قرار 22 أفريل 1837 م القاضي بتعويض أغا لعرب¹ و إلحاق مهامه الخاصة بشؤون الأهالي لقيادة الجيش لمدة عامين وفق سياسية بوجو Budjeaux اللامركزية) بتأسيس المكاتب العربية بقرار 1 فيفري 1844²).

في جانفي 1840 تم تعويض فرحات بن سعيد ببوعزيز بن قانة كخليفة على الصحارى وكانت من ضمن مقاطعاتها الحضنة الشرقية ،إلا أن بن قانة لم يستطع إخضاعها للسلطة الفرنسية مما جعل هذه الأخيرة تستحدث قيادة الحضنة سنة 1844.ووضعت على رأسها سي محمد بن

1- CAOM: op-cit..

2 -La phalange :Journal de la science social, découverte, volume 5 janvier juin 1842,3ém série, p 4.:Revue africaine, volume 28,journal des travaux de la société historique ,p327.

سي محمد الحاج وهو شخصية دينية معروفة.

احتلال الحضنة 1841

لقد بدأت أولى طلعات الجيش الفرنسي بمنطقة الحضنة منذ بداية 1840 بحيث أشار الجنرال دي نيقري De Négrier في عدة تقارير مؤرخة في 10 و 14 مارس 1840¹ أن احد ضباط الأمير عبد القادر قد قام بعدة هجومات على مركز الحضنة الحضنة التي كانت محل تجاذب بين عائلة بن قانة و لحسن بن عزوز عامل الأمير عليها ،وقد كانت الحملة الأساسية التي أدخلت الحضنة تحت الاحتلال الفرنسي و التي قادها الجنرال دي نيقري Denegrier تهدف من بين أهدافها في إقليم الحضنة ،أن تكون تحت قيادة احمد المقراني ومحطة لتوسيع دائرة الاحتلال نحو الجنوب ،لذلك قام الجنرال سيلاق Silegue بإعطاء الأوامر للجيش الفرنسي بالتوجه نحو الحضنة بداية الربيع من عام 1840 من اجل تدعيم السكان ، فكانت الحملة الأولى قد توجهت الحملة الفرنسية

1-كمال بيرم: الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية، دار ميم للنشر الجزائر، 2012، صص 35-55.

الاولى من مدينة سطيف يوم 5 فيفري نحو مدينة الحضنة و أدت إلى تراجع عامل الأمير القايد بن عمار نحو الجبال و قام الجنرال سيلاق Silague بتعيين قايد جديد على المدينة مدعما ب 2000 وحدة ذخيرة و 50 بندقية ، كما نصب عروش كل من المطارفة و السوامع وأولاد دراج حول المدينة .

أما الحملة الفرنسية الثانية انطلقت في 18 فبفري من ذات السنة السابقة الذكر وخلالها حاول القايد بن عمار مداومة القوة الفرنسية الا انه فشل في ذلك ، وتم تدعيم مدينة الحضنة من قبل الجيش الفرنسي ب 50 بندقية و ألف وحدة ذخيرة كما أمر الجنرال دي نيقري de Negrier بتكوين وحدة حراسة على مدينة الحضنة من 200 رجل تم تقسيمها إلى كتيبتين بقيادة أربعة شواش .

تعتبر معركة مرجة الزرقة التي وقعت غرب سطيف في 29 ماي 1840، بقيادة الجنرال دنيقري¹ Denegrier ، الذي أرسى المحلة

1- الجنرال فران سواد نيقري François de negrier من مواليد 1788 ابن الضابط شوقا لي في عهد لويس 16 تطوع في الجيش منذ 1805 كان أحد الضباط الذين تسلموا ترقيات الإمبراطور نابليون بوناپرت في حربه ضد روسيا 1812 --- وحصل على رتبة ضابط نيشان شرقي legion d'honneur بعد معركة واترلو أصبح كولونيل منذ 22 أوت 1830 في الفرقة 54، عين على رأس القوة التي توجهت قسنطينة 1838 إلى 1841 حيث امتاز بالانضباط والالتزام بالقانون لقبه لأهالي السلطان العادل توفي 1842 - أصبحت له مستعمرة باسمه في

العسكرية بالحروش بعد احتلال مدينة قسنطينة من اجل ضمان طرق المواصلات وتهيئة الظروف لإقامة مستوطنات للمعمرين¹. المعركة الهامة التي أتاححت لقوات الاحتلال بالتوغل في منطقة الحضنة، وقد انطلقت الحملة العسكرية الكبرى نحو الحضنة بقيادة الجنرال دي نيكري من مدينة قسنطينة نحو الحضنة في 29 ماي 1840 ودعمت في طريقها بقوم احمد المقراني بنواحي برج بوعرييج، كان هدف الحملة إخضاع كل المناطق التي كانت تحت سلطة المقرانيين قبل الاحتلال و إقامة مواقع متقدمة للتوسع نحو الجنوب الجزائري و استغلال الخلافات بين القيادات التقليدية للتحكم في إقليم الحضنة الواسع و الهام بحكم مجاله الجغرافي الذي يمثل مجال احتكاك القبائل الصحراوية و التلية . ومدينة الحضنة التي كانت تمثل مركز الحضنة كان الحاج مصطفى موكل من قبل الأمير عبد القادر بتنظيم المقاومة بمنطقة الحضنة ، حيث عمل على جمع الأعيان والناس خلال مدة إقامته بالمدينة التي دامت سنة بين 1839-1840، إلى جانب عامل الأمير بالمدينة لحسن بن عزوز الذي حاول من

وهران منذ تأسيسها 1849 لمزيد من المعلومات أنظر : " Livre d'or des officiers Indigenes. Peryronnet".

1- صالح فركوس: المكاتب العربية / أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر (1844-1871) جامعة منتوري قسنطينة ج1، ص 121.

جانبه صد هجومات الجيش الفرنسي بمناطق جبال المعاضيد وعياض، إلا أن تقدم الجيش الفرنسي نحو الحضنة قد دفع الحاج مصطفى إلى نقل معسكره إلى منطقة الديس¹ التي تبعد عن مدينة بوسعادة بعشر كيلومترات إلى الشمال. وفي هذه الفترة تمركزت قوات بلخروي و بوضياف بقرية الشلال التي تتوسط طريق بوسعادة الحضنة . مما سهل تقدم القوات الفرنسية نحو الحضنة ثم بوسعادة كما سهلت الخلافات و الدسائس التي حلت بين قياداتها (خاصة بين بوضياف و حامد بن عمر) و انقسام أهلها بين هذه القيادات مسالة تقدم الاحتلال الفرنسي للحضنة الغربية، فقد اتهم بلخروي لحسن بن عزوز بالتواطؤ مع الفرنسيين ثم قام بالتحالف مع عدوه حامد بن عمر ضد لحسن بن عزوز ، كما أن بوضياف فر بقوته إلى وادي الشعير. قامت فرنسا بتأسيس دائرة سطيف في 1 أكتوبر 1840 لتكون قاعدة انطلاق ومركزا إداري وعسكري لتوسيع دائرة الاحتلال نحو المناطق الجنوبية². من جهة أخرى حاول الجنرال نيقري DE NEGRIER عزل جيش الأمير عبد القادر عن منطقة

1- اتخذت تسمية قرية اولاد سيدي ابراهيم اسم الديس بعدما وصلت قوات الجيش الفرنسي سنة 1842 اثر ملاحقة قوات الحاج مصطفى التي كانت مرابطة بها و اسم الديس يعني رقم العشرة دلالة عن بعدها بعشرة كيلومترات عن بوسعادة للمزيد انظر كمال بيرم: الاحتلال وتطور القيادة: المرجع السابق.

2- Rinn: Histoire de l'insurrection de 1871, Alger, 1891, p p, 19-25.

الحضنة من خلال دعمه للحليف الجديد ابن قانة الذي كان في صراع مع جيش خليفة الأمير بالمنطقة فرحات بن سعيد¹.

ولم تكن لخليفة الأمير بالحضنة لحسن بن عزوز كفاءة كبيرة في إدارة الحرب مع النقص في السلاح الذي لم يزد عن مدفعين ومائة جندي تم وضعهم تحت إمارته منذ تنصيبه من قبل البركاني عامل الأمير بمنطقة بوسعادة سنة 1838². غير أن الشيء الذي يثير الغرابة في عملية الاحتلال، هو سهولة دخول الفرنسيين وموقف المشيخات الذي يبدو أنه مال تحت تأثير دور بوضياف بن بوراس وإبنه الصخري و أحمد المقراني إلى قبول الأمر الواقع. في حين التجأ لحسن بن عزوز إلى أعالي جبال المعاضيد إلى أن تم القبض عليه من قبل السكان وتسليمه إلى أحمد المقراني ليسلمه بدوره إلى فرنسا³. وهذا التصرف من الأهالي اتجاه أحد منظمي مقاومة الأمير عبد القادر كان يخفي عاملين ، إحداهما كان عزل الأمير للحسن بن

1 -Ministre de la Guerre:Tableaux de la situation des Etablissement Français dans l'Algérie, 1841 ,Paris, décembre 1842 ,p 04.et Pélissier :Annales algériennes de Pélissier , TOME II,Page 488.

2 -Féraud (Ch):Histoire des villes de la province de Constantine,Sétif,BBA,M'sila,Bousaada,in recueil de notice de la société archéologique de département de Constantine ,1872, pp.229-300.

3 -Féraud (Ch):les Beni Djelleb,Sultans de Tougourt, note historique sur la province de Constantine ,in RAf N°: 28p,322.

عزوز وتقلص مكانته أمام الأهالي ، والثاني وهو المهم والذي يتجلى في هذا التحول نحو مساعدتهم للأعيان النافدين ، من المقراني وآل بوضياف ومن خلالهما السيد الجديد على حساب زعماء المقاومة ، ولا يمكن للباحث في مثل هذه الظروف التي أصابت أقاليم الجزائر المختلفة أن يحيد عن ما تركته الكتابات التاريخية المتعلقة بخلفيات الاحتلال . كما يتجلى مظهر السلبية لدى المشايخ وأصحاب الزوايا المحلية التي لم تستطع أن توضح تأثيرها الديني على الجماعة المحلية و قد نعزو ذلك إلى التخلف الفكري الذي لم يساهم في استغلال القيم الدينية لدفع الحماس الشعبي الديني لمقاومة المحتل و الذي تأخر في بعض الأحيان، كما حصل لمقاومة الشيخ المرابط ابن شبيبة ببوسعادة 1849¹..

حاول حامد بن عمر بعد عودته من حملة الزيبان استرجاع مدينة الحضنة و جمع الأنصار من قبائل الحضنة غير انه لم يفلح و اتجه بعدها الى ونوغة مقر زمالة الأمير قبل انتقاله الى عين ماضي و كانت هذه المحاولة الفاشلة من حامد بن عمر سببا في ضعف موقف قبائل الحضنة التي مالت الى الأمر الواقع و انضمت الى خليفة مجانة احمد بن محمد المقراني.

1 –CAOM:8h7,occupation de bousa ada rapport de 19/11/1849

لقد كانت حملة الجنرال دي نيقري De negrier على مدينة الحضنة عاملا هاما في دعم فرنسا لسلطة المقراني في اقليم الحضنة وتعيينه على قيادة الحضنة خصوصا بعد قدوم الجنرال بيدوا Bedeau¹ ، إليها سنة 1845. فبعد أن تمكنت القوة الفرنسية دخول المدينة في 11 جوان 1841 عملت فرنسا على استحداث مركز أو برج عسكري بالمدينة في الجهة اليمنى لوادي القصب، مدعما بحراسة قوم المقراني بوضياف بن بوراس، الذي وكلت إليه قيادة المدينة ومنطقتها باعتباره أحد أعضاء الوفد الأهلي لسنة 1831². وكان له ولعائلته دورا بارز في إحلال الأمن والاستقرار لفرنسا بمنطقة الحضنة ومدينة الحضنة خاصة ومناطق أخرى كبسكرة و اللوطاية والأوراس والعلمة والبيبان .

لم يستقر الوضع طويلا للفرنسيين بمنطقة الحضنة الغربية، فقد إنتفض السكان في جهات عديدة منها بين سنوات 1843 -1845 خصوصا بمنطقة جبال المعاضيد وأولاد ماضي، حيث استدعت هذه الانتفاضات المحلية استنجد فرنسا بقواتها المتواجدة بقسنطينة بقيادة الجنرال لوبا

1 -Rinn: op-cit pp19.25.

كذلك يحي بوعزيز : ثورة 1871 ودور عائلتي المقراني والحداد- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر -1978 ، ص: 53.

2 -A C M M' : ,boite 136.Dossier N°/1 (Rapport, caïd, Boudiaf Mmed 1/1/1945)

سور levasseur والجنرال بيدو Bedeaux الذي استطاع دخول مدينة الحضنة في جوان 1845. في حين تلقت الفرقة الفرنسية المرباطة بمدينة الحضنة بقيادة الكولونيل إيراد Eyrd الأوامر الصارمة بعدم الاستسلام للمقاومة الشعبية ونصحتهم بعدم الخروج إلى بساتين الأهالي المحيطة بالمدينة، أو جني ثمارها. والجدير بالذكر أن عدد الأوروبيين المتواجدين بمدينة الحضنة في هذه السنة لم يزد عن 9 أفراد. وفي الوقت تراجعت فيه مقاومة جيش الأمير عبد القادر بقيادة الحاج مصطفى عن منطقة الحضنة بينما كانت المناطق الشرقية في حالة مقاومة تحت راية أحمد باي قسنطينة الذي كان في تنقل بمنطقة الحضنة و والأوراس بحثا عن دعم الأهالي خصوصا بعد سقوط مدينة قسنطينة 1837، وقد انتقل أحمد باي إلى أناس عرش أولاد دراج الذين طلبوا منه الدعم ضد تصرفات خليفة الأمير عبد القادر بالمنطقة محمد الصغير بن أحمد بلحاج في أوت 1840¹. ومن المعلوم أن أول عرش احتفى به أحمد باي بعد سقوط قسنطينة هو عرش أولاد دراج ثم يليه عرش أولاد سلطان، غير أن الظروف المستجدة بالزيان بعد تحول الناس عن ابن قانة الذي تمادي في استخلاص الضرائب من السكان جعل أحمد باي يعتصم بجبال أولاد

1- محمد الصالح العننري: تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991 ج1، ص 159.

سلطان مدة من الزمن¹ بعد أن قضي مدة 4 أشهر بمنطقة أولاد دراج.

رغم قلة الجيش الفرنسي بالحضنة إلا أن المقاومة الشعبية لم يسمح ضعف التنسيق فيما بينها مع تباين الاطماع الشخصية في قلب ميزان المقاومة لها، وكانت سنة 1847 سنة تحول بالنسبة لمقاومة الاحتلال بحيث قدمت زمالة الأمير في وادي القصب التي كانت تحت قيادة بلقاسم أوقاسي طاعتها لفرنسا في 10 أفريل 1847 ، كما فشلت قوات الثائر بومعزة في نفس الشهر 13 أفريل في التصدي للجنرال سانت أرنو² SAINT ARNAUD.

وفي خضم هذه التطورات لم تستطع قيادة الأمير بإقليم ونوغة شمال غرب الحضنة بقيادة خليفة الأمير عبد القادر . سي أحمد بن عمار الصمود و قدم ولائه لفرنسا سنة 1847³ وهذا ما دفع فرنسا إلى تنصيب زمالة من الحرس على وادي القصب في موقع المجاز على بعد 30 كم شمال الحضنة حيث قام القبطان بيشو Capitaine Pechot مع الأغا بلقاسم أوقاس المتعاون الجديد مع فرنسا بتنصيبها في جوان 1851

1 -Pellissier :Annales Algérienne,volume 1,imp. Auselin et Gautier Laguione; Alger,1836 p488.

2- إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ص 305.

3 -Robin ,(N) :Notes historiques,p115.

وتنظيمها إلى منطقتين بعد قرار 18 جويلية 1851¹. و تكونت قيادتين هما:

في الشرق قيادة وادي القصب تحت إمارة على محمد الحسين قائد الزمالة.

في الغرب قيادة تحت إمارة محمد أمزيان بن إسماعيل.

وقد ضمت قيادة وادي القصب عدة مناطق ألحقت فيما بعد إلى قيادات الحضنة الغرب وهي ملوزة -بني يلان -الخرابشة - الدريعات - لقمان².

تمكنت فرنسا خلال هذه الفترة بسط سيطرتها على اجزاء واسعة من الحضنة خاصة بعد القضاء على ثورة الزعاطشة 1849 بالزيبان و مقاومة ابن شبيرة ببوسعادة و كانت عملية استرجاعها عاملا اساسيا في تكوين مركز بوسعادة 1849 حيث ألحقت منطقة الحضنة الجنوبية والشرقية إليه وتم إخضاع جميع قياد المنطقة مباشرة إلى حاكم المركز الفرنسي الجديد³. بينما ألحقت مدينة الحضنة لمحيط البرج التابع لدائرة

1 -Robin , (N) :notes historiques , pp296,298.

2 -A.C.M.M:B136.D1 (rapport préfet de Constantine 27/08/1889).

3 -El Moubacher: 61 du 15/03/1850.

سطيف منذ 28 جوان 1856¹. من الجانب الآخر شهدت فرنسا سقوط عرش لويس فيليب بعد ثورة 1848 مما سمح بارتفاع الهجرة نحو الجزائر ، بحث ارتفع عدد المهاجرين من 11507 أوري سنة 1846 إلى 24672 أوري سنة 1850 إلى 33939 سنة 1856 وكان ذلك في إطار عملية تشجيع الاستيطان وتغليب العنصر الأوري بالجزائر. غير أن ذلك لم يتم بالشكل الذي تمنته قيادة فرنسا بالحضنة بسبب ظروف الأمن والانتفاضات الشعبية .

-توسع المقاومات الشعبية بالحضنة بين 1840-1850

الكتابات الأجنبية التي تناولت تاريخ الحملة العسكرية على الحضنة تركز على موقف السكان من الاحتلال لمنطقة الحضنة الغربية ومدنها الأساسية بوسعادة و الحضنة (قضية الضيافة) غير أن المقاومات الشعبية التي بدأت منذ حلول الاحتلال لها دلالات عديدة يمكن إدراجها في ذلك البعد الوطني المتأصل لسكان المنطقة قبل أن يتحدد مفهوم الوطن بالحدود الحالية .

1 -Marc caillou ,(G);le département de Sétif et ses environs,imp. Baconier, Alger, 1960,P23.

يمكن اعتبار سنة 1840 هي بداية توسع دائرة الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة ومحيط بوسعادة، بحيث نجحت حملة الجنرال دي نيقرى في إخضاع الحضنة وجعلها ضمن إدارة محيط برج بوعريج العسكري بعد فشل قائد المقاومة لحسن بن عزوز في حمايتها وكان ذلك في 11 جوان 1841.

أما منطقة بوسعادة فأولى محاولات الوصول إليها يجعلها الضابط البارون أوكابتان baron Aucapitaine بداية 1843 على اثر تراجع قوات الحاج مصطفى بن محي الدين ورفيقه الحاج الخروبي الى منطقة الدير (قرية أولاد سيدي إبراهيم) لترقب قدوم الفرنسيين هناك

كانت فرنسا تريد من مدينة بوسعادة أن تتحول الى مركزا عسكريا، ومرتكزا لبسط سياستها التوسعية نحو الجنوب الجزائري لذلك تكررت محاولات احتلالها من طرف مجموعة من القادة العسكريين مثل¹

1- كمال ببيرم: الاحتلال الفرنسي والمقاومات، المرجع السابق، صص 71-88.

-حملة دي مونتييل 1846 التي كانت في إطار متابعة جيش الأمير عبد القادر بونوغة والتي عسكر خلالها الجيش الفرنسي في حاسي الذيبان (عرش أولاد فرج)

- محاولة الجنرال هيربيون اختراق المدينة بقوة عسكرية 1847¹

سياسة الاستيطان الفرنسي وتطورها باقليم الحضنة

-انتفاضة المقراني 1871 وظهور حركة الاستيطان بالحضنة

تعتبر ثورة المقراني والحداد الشعبية سنة 1871، أعنف ثورة وأكثرها اتساعا وشمولية وتأثيرا بعد مقاومة الأمير عبد القادر المنظمة ، ورغم ارتباطها بعائلة المقراني إلا أن أحداثها تعدتها لتشمل معظم السكان الجزائريين في الجزائر الوسطي والشرقية الذين نالهم من التعسف الاستعماري ما نال المقرانيين ، كما ترتب على هذه الثورة نتائج جد متأخرة في الزمن وانعكست على الفرد والجماعة معا، كما ترتب عن

1-وقد تنتقلت قوة دي مونتييل في المنطقة وجابت عروش اولاد عامر و عين الريش و وادي الشعير وأولاد فرج وعين الكحلة ثم عادت الى مدينة سطيف مارة ببوسعادة (أرشيف اكس نفس المرجع);1850- 1849 occupation de Bousaada CAOM:8H7-

فشلها آثار اجتماعية واقتصادية جسيمة¹.

ورغم تعدد الآراء حول أسباب الثورة فإنها مثلت ذلك الهيجان الشعبي والإحساس الوطني عن مدى التذمر من المحتل الجديد والطموح والرغبة الجامحة في استرجاع الجزائريين لاستقلالهم والأمل في طرد السيد الجديد وهذا ما يفسره مشاركة ثلث السكان في حمل السلاح والالتجاء للجبال².

إن العلاقة بين المقرانيين وأهل الحضنة قديمة في الزمن وقوية في الصلة³، وقد مرت بأحداث كثيرة كانت من بين عوامل انقسام العائلة وانتقال بعض أفرادها إلى عرش أولاد ماضي بالحضنة الذي ظل العرش النافذ والمؤثر على إقليم الحضنة. كيف كان موقف سكان المنطقة من ثورة المقراني ؟ كيف تطورت الأحداث بها ثم إلى أي مدى كانت انعكاسات الثورة سلبية على المنطقة اجتماعيا واقتصاديا ؟. هل مثلت

1- بيرم كمال :مدخل الى تاريخ المسيلة، دار الاوطان 201،حمد توفيق المدني : كتاب الجزائر طبعة دار المعارف القاهرة -1963 ص 61 .

2--1870 Histoire de L'Algérie ,contemporaine du (Ch,R) :Ageron, 1969,P.U.F Paris 1969,P40.

3- - لا تدل كلمة المنافقين عن المنافقين أو الخونة إنما تدل على المحاربين أو الثائرين ضد فرنسا إلى جانب المقراني والذين صودرت أملاكهم وشتتوا بعد الثورة .مقابلات مع مشايخ من عرش السوامع الذين شاركوا بقوة في الثورة و يتذكرون بعض تفاصيلها،مثل اخوانهم الذين فروا الى مدن الشمال القسنطيني و مناطق اخرى من الجزائر عقب الثورة.

ثورة المقراني في المنطقة مظهرها الولاء لشخص المقراني وشيخ الرحمانيين الحداد أم هي ثورة دينية جهادية بعيدة عن كل حسابات شخصية .

إن المتتبع لأحداث ثورة المقراني لمنطقة الحضنة يصطدم بذلك الانقسام حول المشاركة في الثورة والذي والذين لم ينافقوا مع المقراني أو الذين وقفوا إلى جانب فرنسا¹، وأدى إلى بروز ما أصبح يعرف في المنطقة بجماعة المنافقين والذين لم ينافقوا مع المقراني أو الذين وقفوا إلى جانب فرنسا

-انتشار الثورة ودور السكان بالحضنة :

انقسم سكان منطقة الحضنة حول نداء المقراني للجهاد ضد فرنسا، فقد أعلنت عدة عروش الحرب إلى جانب المقرانيين مثل أولاد ماضي - أولاد معتوق² - أولاد منصور ماضي - أولاد دراج - أولاد عبد الله - أولاد سيدي هجرس - أولاد ضاعن بني يلما - ونوغة ومشيخة أولاد نجاع بقيادة جنان بن الدري³ وعرفوا بالمنافقون⁴ في حين وقفت جماعة

ببرم كمال :مدخل الى تاريخ المسيلة، دار الاوطان 2012

2- -باستثناء رئيس المشيخة الطيب دحدوح الذي فر إلى فرنسا مع عائلته وتقلد منصب قايد أولاد سيدي إبراهيم بعد نهاية الثورة (الأرشيف الاستعماري لبلدية الحضنة المختلطة).

3 -Gaid ,(M):op-cit,p153et ,BOGA;1910,p1207

4 A.C.M..M:B, 149, D1, séquestre de M'sila ,rapport caïd Sakhri Boudiaf ,13/11/1890)

محدودة إلى جانب فرنسا ورفضت النداء مثل صف بوضياف بن بوراس الذي عين قايد الحضنة من طرف فرنسا منذ 3 سبتمبر 1841¹. وصنف وادي الشلال مع أولاد يحي وأولاد علي بن خالد وأولاد سحنون في الحضنة الشرقية². ولعل هذا الانحياز من جهة صف بوضياف بوراس إلى جانب الإدارة الفرنسية مرجعه العداء القديم بين المقرانيين وصف بوضياف الذي أراد الحفاظ على امتيازات عائلته التي بسطت نفوذها إلى خارج حدود منطقة الحضنة في الأوراس والصحراء والهضاب العليا، من خلال خدمتها لفرنسا منذ بداية الاحتلال كما جاء في رسالة القايد بوضياف بن هني إلى القائد روستان Roustain في 21 مارس 1871³ وكذا في تقارير القياد من عائلة بوضياف.

وعند اندلاع الثورة في الأشهر الأولى لسنة 1871 كلف المقراني السعيد بن بوداود على قيادة منطقة الحضنة وبوسعادة وكانت مجابهته الأولى مع القائد الصخري بوضياف في ماي 1871 بمنطقة سيدي هجرس الذين ناصرُوا كثيرا المقرانيين في الوقت نفسه كلف بومزراق على قيادة منطقة ونوغة شمال غرب الحضنة، حيث كان الانقسام موجود بين صفي

1-Gaid, (M) :op-cit ,p51.

2 Maguelonne,(J):op-cit ,p243

3 -El Moubacher:N°: 746 du 13/04/1871.

البيضة المناصرين للمقراني (بني يلمان) وصف الكحلة تحت قيادة
بوضياف (ملوزة) .

استطاع بومزراق والسعيد بوداود استرجاع مدينة الحضنة بعد
انسحاب الجنرال سيريز Ceres نحو اومال "سور الغزلان" في 24 أوت
التي احتلها منذ 10 ماي¹ وقاما بتحريض وتعبئة السكان على الثورة كما
قاما بمعاقبة من وقفوا إلى جانب فرنسا، واستمرت مدينة الحضنة تحت
سيطرة المقرانيين إلى حين قدوم قوة الجنرال سوسي Saucier من
سطيف في 10 أكتوبر، والتي تدعمت فيما بعد بقوة الجنرال دولاكروا
Delacroix التي وصلت المدينة في 29 أكتوبر وفي هذه الفترة استطاعت
فرنسا إخماد الثورة بمحيط الحضنة²، الذي شهدت معظم أراضيها
مواجهات عنيفة مثل جبال ونوغة وجبال المعاضيد وكيانه وأولاد خلوف
وبلاد السوامع وغيرها³.

لقد لقي نداء المقراني استجابة واسعة لدى مشايخ مدينة الحضنة
وكبار الاعيان بالمنطقة وتحولت الاستجابة إلى جهاد مقدس أعلنه شيخ

1 -ROBBIN,Nil joseph:L'insurrection dans la grande Kabylie,imp.,
Hcharles-lavauzelle, 1901, pp448,489.

2 -De Galland :excursion à Boussaâda et M'sila paris,1899;p83.

بيرم كمال :مدخل الى تاريخ المسيلة، دار الاوطان 201

1- يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص 301، 3

زاوية سيدي بوجملين بالمدينة محمد بن الطيب بن بوجملين وأيده في ذلك قائد المدينة أحمد بن الباهي وأبنه محمد، وشيخ المدينة المدني بن يحي وكذا أحمد الصغير بن يلس القائد السابق لبني سليمان، كما ساهم لباشا عادل سي السعيد بن شلاي في تجميع الناس بأولاد ماضي¹ إلى جانب المقرانيين في الوقت الذي عملت فيه عائلة لكحل بن خرفا الله على تحريك السكان بمنطقة المطارفة والحضنة قبل اندلاعها بالمنطقة، وشهدت مدينة الحضنة عملية فرار جماعي للمعمرين الأوربيين من المدينة إلى بوسعادة حيث يوجد المركز العسكري بعد أن قمت تفجيرات منازلهم².

وفي الجانب الحربي حقق خليفة المقراني بالحضنة والحضنة السعيد بن بوداود انتصار كبير على خليفة فرنسا بالمنطقة الصخري بن بوضياف بمنطقة السعيدة عرش أولاد ماضي، ودفع هذا الانتصار القائد على بن تونسي من أولاد على بن داود، وكذا العمري بلعمري من أولاد سيدي هجرس، إلى الانضمام إلى قوة السعيد بن بوداود ضد صف بوضياف وفرنسا وقوتها بقيادة الجنرال سيريز Cerez، ومن بعده مويل

1 -BOGA: 1872, pp408,409.

2 BOGA, op.cit, p407 et,ACMM;B,149,D1(lettre 13/11/1890)

Muel الذي أمر بقبلة الثوار والمشاتي التي وقفت بجانبهم.¹

كما امتدت الثورة جنوب الحضنة بعرض أولاد سيدي حملة في جوان 1871 بعد أن اشتد الخناق على المقرانيين بمدينة الحضنة منذ قدوم الجنرال سيريز Cerez في 10 أوت 1871 إلى 14 أوت² ولم يستقر الوضع طويلا للقوات الفرنسية بمدينة الحضنة التي ظلت طيلة صيف 1871 في أخذ ورد بين الثوار وجيش الاحتلال. وشهدت المناطق المحيطة بها عدة معارك، مثل كاف العقاب في 5 أوت³، ونتيجة تشتت القوة الفرنسية عبر هذه المناطق استطاع السعيد بن بوداود وشقيقه الحاج بوزيد من تحقيق انتصارات تمكن على إثرها استرجاع مدينة الحضنة من الفرنسيين، ودخلها في 14 أوت، 1871، وكان ذلك بعد جهود بومرزاق في توحيد صفوف سكان الجبال في الدريعات وونوغة والخرابشة بداية شهر أوت في الوقت نفسه كان زعيم أولاد نجاع جنان بن الدري يعمل على مهاجمة الاوربين الموجودين بمركز الحضنة. ولم تستطع قوة الجيش الفرنسي بالحضنة من استرجاع مدينة الحضنة إلا في شهر أكتوبر 1871

1 -Gaid ,(M):op-cit,p151.

2 -ADC(archive département de Constantine):monographie manuscrite par L'administrateur de la commune mixte de M'sila Robert Baudoin (R,B) 1937.

3- بيرم كمال :مدخل الى تاريخ المسيلة، دار الاوطان ،2012 يحيى بوعزيز : المرجع السابق : ص 301 .

بفضل قوة فرقة الجنرال دولاكروا وقوة الجنرال سوزي Saussier¹ وكان من بين عوامل استرجاع الفرنسيين لسيطرتهم على المنطقة، مساعدة بعض أهالي أولاد سلامة والخرابشة حيث كان ينشط بومزراق الذي كانت تصرفاته تبدو قاسية اتجاههم².

ادت الحملات العسكرية الفرنسية العنيفة ضد المقرانيين الى الى تفهقر المقاومة ودفع بعائلة المقراني الى اللجوء باعالي جبال المعاضيد التي تكونت منها عائلة المقراني (هي موطن نشأة جد المقرانيين) و التي كانت كذلك مكان نهاية إمارتها ونفوذها ، فقد دفعت عملية محاصرة فرنسا وأعوانها لعائلة المقراني بمنطقة الحضنة إلى إلتجاء أفراد العائلة بأملآكهم وقومهم وماشيتهم إلى جبال المعاضيد بمعية السعيد بن بوداود وتم التحضير لمغادرة المنطقة نحو الجنوب الجزائري.

غير أن القوة الفرنسية بفضل ترصد المتعاونين للمقرانيين استطاعت إلحاق هزيمة كبيرة بالمقرانيين في موقعة قبر السلوقي بسفوح جبل المعاضيد، أو عياض في 8 أكتوبر 1871 وهي آخر ملحمة للمقرانيين قبل نهاية نفوذهم وتشتت أفراد العائلة نحو الجنوب الشرقي الزاغر في ظل متابعات أعوان فرنسا من آل بوضياف وباشاغا أولاد النايل وغيرهم .

1 -ADC.: monographie,1937 .

2- يحي بوعزيز : المرجع السابق ،ص ص301-302.

إلى أن يتم القبض على بومزراق في 1872/01/20 ليتم إصدار حكم الإعدام في حقه يوم 7 مارس 1873¹.

إن الأحداث المتسارعة والمتناقضة أحيانا بمحيط الحضنة خلال ثورة المقراني تجعلنا نعتقد في أهمية التقسيمات الاجتماعية، والتي وجدت وامتدت إلى فترة الاحتلال والتي أثرت على التوازنات العسكرية في معارك المقرانيين مع الفرنسيين، كما أن نفوذ المشايخ والأعيان الممتد إلى النظام التركي² كان له شأن في إخضاع الأهالي الذين أرغمهم الضعف والقهر والبؤس على الخضوع والولاء السريع لهؤلاء الأعيان. ولو استطاعت هذه الفئة توظيف الأهالي في رد الاحتلال وتماسك القبائل ما كانت المنطقة تتأثر في بنيتها الاجتماعية ونمط معيشتها وعلاقاتها بعد 1871 وهذا ما سنراه في انعكاسات هذه الانتفاضة و تأثيراتها السلبية على المنطقة .

ترك لنا شاعر ثورة المقراني الطاهر بن تريعة أبيات شعرية بها

1 -A.MAITROT (Dela Motte):Le siège de Bordj Boureridj en 1871 in RSAC1926, P8.

2 -يظهر ذلك في الصفوف التي قسمت إقليم الحضنة منذ القرن الثامن عشر حيث وجد الصف الموالي للأتراك و الصف الآخر المتكون من عرش أولاد ماضي و عرش أولاد دراج إضافة إلى عرش بني يلمان بونوغمو الذين كونوا خلال انتفاضة المقراني صف الكحلة(الأرشف الاستعماري لبلدية الحضنة المختلطة)

وصف هام لأحداث و تداعيات الثورة بمنطقة الحضنة وونوغة¹ نرصد
منها مايلي:

محمد راجل مذكور بطل مخير * ابن المقراني بيه العامة تسعد
حاكم بلدة بوجملين سرو حاضر * اهل النية من بحرو كلها تورد
الظالم يدحيه يغرقو ما يظهر * مرحب تعالى دراجتو يصعد
ثم يقدم الشاعر رثاءه لمدينة الحضنة بعد أن افتقدت المقراني و
اصبحت تحت نفوذ بوضياف وفي نفس الوقت يترجى عودة انتصار
المقرانيين حيث يقول:
ثم شرنا على الحضنة رد الثار * الجمرة جات للعدو تحت النار
اطلب واحرس قريب يأتيك البشار * تلبس تاج الملك والمولى ناصر
كما ترك الطاهر بن تريعة قصائد ترثي نفي الشيخ بومزراق حيث يقول:
شايع في ذي الوساطه ماليه اطعام * راعي البيضة زين مطبوع
الباسو

تتحدث بخصايلو دشرة وخيام * من بكري معروف حامي

واستطاع ان يجمع قصائد شاعر المقراني الطاهر بن تريعة - بحث قام به الأستاذ الحاج بن
تريعة حول دور ونوغة وعرش بني يلماح خلال ثورة المقراني الذي يقدم جوانب تاريخية هامة
حول الوضع الذي ساد المنطقة أيام الانتفاضة 1871. 1

في بيتو شيخات خرجو غير حمام * احمر وازرق نيل قاهر غطاسو
وين عقد اولاد مقران القيام * بومزراق المير طول تحباسو
مات الجود راقد تحت امنام * اهلكنا كل سوق عاد ايمكاسو.

كانت منطقة الحضنة كغيرها من مناطق الجزائر عرضة لعمليات انتقام و قهر ومصادرة للأموال والأراضي، إلا أنها انفردت عن باقي المناطق في مسالة لا نكاد نجد عنها كتابات تذكر و لها علاقة وطيدة بالمقرانيين و بالانتفاضة، و يتعلق الأمر بمسالة المهجرين من المقرانيين وقبائل الحشم إلى منطقة الحضنة من جهة و مسالة الهجرة القهرية التي مست قبائل الحضنة اثر انتهاء أحداث الانتفاضة و التي سيأتي الحديث عنها.ومن الآثار الأولى التي مست أهالي الحضنة عمليات المصادرات الجماعية للأموال والأراضي.

تأثيرات ثورة المقراني 1871 في حركة الاستيطان بالحضنة

لقد جاءت هذه الثورة كرد فعل على السياسة الجهنمية المتبعة من طرف السلطات الفرنسية لِتَرْفُضَ هذه السيطرة بجميع أشكالها.⁽²⁾ و إن كانت ثورة 1871 م تعرف بثورة المقراني فذلك لأنه تزعمها حقبة من الزمن، و لكن أصلها في الواقع كان شعبيا بحثا، و كان فضل المقراني أن انظم إليها و قادها و ضحى في سبيلها بأمواله و منصبه (إذ كان باش آغا).⁽³⁾

تضافرت العديد من الأسباب التي ساهمت بشكل أو بآخر في تفجير هذه الثورة يمكن تلخيصها فيما يلي:

- سياسة التهجير الواسعة التي كانت تقوم بها فرنسا في الجزائر، و صاحبته مصادرة أملاك الجزائريين من أرض و عقارات لتمليكها لهؤلاء المهجرين من فرنسا و أوروبا و هذا ما أدى إلى تفجير الشعب الجزائري، مما زاده بؤسا و حرمانا و قد مس عائلة المقراني نفسها.

- لقد كانت السلطات الإستعمارية في هذه الحقبة تقوم بتحطيم نفوذ الأسر و العائلات الجزائرية الكبيرة ذات السمعة و المكانة و النفوذ

أين 1

(2) أحمد حسين سليمان، المرجع السابق ، ص 107.

(3) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 308.

في البلاد بعد أن نالت منها غرضها.⁽⁴⁾

- لقد أدت الظروف الإقتصادية و ال

إجتماعية المزرية إلى القيام بالثورة، و ما مجاعة 1868 م التي راح ضحيتها أكثر من 500.000 نسمة، و مما زاد الطين بلة اتساع النشاط التبشيري في هذه الحقبة خاصة في منطقة القبائل حيث استغلت الكنيسة هذه المجاعة و وضعت الإنجيل في يد و المساعدات في اليد الأخرى. - انتزاع فرنسا خمسة آلاف هكتار من أراضي المقراني "أولاد قندوز" في منطقة البرج لتوطين المعمرين المهاجرين،⁽¹⁾ و خوفهم من أن يزداد جشعهم و يزدادوا في النهب و السلب،⁽²⁾ خاصة بعد التهديد بانتزاع الأراضي و توزيعها على الفرنسيين القادمين من الألزاس و اللورين.

5 - مخلفات ثورة لالا فاطمة نسومر و بوبغلة حيث سلطوا الظلم على الجزائريين و أثقلوهم بالضرائب و منح أراضيهم للمستوطنين.

6 - الشغف بإسترجاع السيادة الوطنية و رفض سياسة الضغط و التفرقة و الإستغلال الإستعماري و عدم تقبل الوضع.

(4) مزيان وشن ، **مجانة عاصمة إمارة المقرانيين**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2005 م، ص 107 ، 108.

1- علي بطاش ، **لمحة من تاريخ منطقة القبائل - حياة الشيخ و ثورة 1871 م-**، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2007 م، ص 132.

2- مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 62.

7 - اتساع حركة الهجرة الأوربية إلى الجزائر للإستييطان و الإستيلاء على أراضي الفلاحين و طرد مالكيها إلى المناطق المنعزلة الجرداء.⁽³⁾

و لعل من الأسباب القريبة التي فجرت هذه الثورة هو معاودة هجوم الجراد سنة 1869م الذي أضر بمنطقة حكم المقراني (مجانة) حيث أتلقت محاصيل الفلاحين فإضطر المقراني إلى الإقتراض من سماسرة اليهود لمساعدة الفلاحين على توفير حبوب البذر، لكن الذين أعطوا القروض استعجلوا في استعادة مالهم و خاصة من طرف المقراني.

فالدائنون كانوا عاجزين عن الدفع، إلى جانب سياسة السلطة الفرنسية و بسبب ازدياد الأوضاع تدهورا في كل مرة، فطلب الشيخ المقراني من السلطات الفرنسية أن تقبل استقالته من منصبه بصفة باش آغا لأنه لم يعد يرغب في العمل مع السلطات الفرنسية.⁽⁴⁾

لكن طلبه قوبل بالرفض في 09 مارس 1871م، و طلب منه تقديم الإستقالة مرة أخرى، مع التعهد بأن يظل مسؤولا عما يحدث في منطقته، إلا أن يرد له الجواب بالقبول أو الرفض فأعتبر هذا التصرف بمثابة تحد له و إهانة بالغة، فأقدم على الثورة و حمل السلاح، و في يوم 16 مارس 1871م قام بمحاصرة مدينة برج بوعرييج، إلا أن القوات

3- علي بطاش ، المرجع السابق، ص31.

4- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 308.

الفرنسية تمكنت من فك الحصار عنها بعد 10 أيام و في 08 أفريل 1871م إنظم إلى المقراني الشيخ الحداد فإلتف الشعب حول هذه الثورة أكثر من ذي قبل.⁽¹⁾

رغم أن المقراني سقط شهيدا بإحدى المعارك في ماي 1871م، إلا أن الثورة استمرت بقيادة أخيه بومرزاق.

و في جوان 1871م أعتقل الشيخ الحداد و وضع بقلعة بارال في بجاية، مما أثر على معنويات بومرزاق،⁽²⁾ لكنه بقي يقاوم لمدة 06 أشهر أخرى إلى أن ألقى عليه القبض تائها في الصحراء حيث أرسل إلى السجن في كاليدونيا الجديدة، و بالتالي قمعت ثورة 1871م.⁽³⁾

و في تقرير بعثه الحاكم العام الأميرال دو غايدون De Gouedon إلى رئيس الجمهورية بتاريخ 14 أكتوبر 1872م أعطى فيه المعلومات حول نتائج هذه الثورة: "خلال بضعة أيام سلبت كل منطقة القبائل و جزء معتبر من قسنطينة و الجزائر و عدة قرى دمرت و عدة إستثمارات فرنسية ضربت و أكثر من 150 مستوطن مزارع قتل و

1- عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي، المرجع السابق، ص 146 ، 147.

2- شايب الغزواني قدارة، المرجع السابق، ص 36.

3- عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي، المرجع السابق ، ص 147، 148.

في ربيع 1871م قمعت هذه الثورة ...⁽⁴⁾.

لقد طبق الفرنسيون إجراءات قاسية ضد المقراني و عائلته، بل المناصرون لهم في الثورة سواء كان من قريب أو بعيد، و قد اتسمت هذه الإجراءات بالحق و الضغينة و ضربت فرنسا بشدة و بدون شفقة الذين شاركوا في المقاومة و أرغمتهم على دفع التعويضات الحرب و صادرت أملاكهم و كانت كما يلي:

- سبعون فرنكا (70) على الذين يلفتون انتباه المسؤولين الفرنسيين و يلاحظ عليهم نشاط معاد لفرنسا.

2 - مائتان و عشرون فرنكا (220) على من أظهر عداوة صريحة لفرنسا.⁽¹⁾

3 - إصدار أحكام بالإعدام على ستة آلاف من الثائرين ثم خفف الحكم عن معظمه و تم نفيهم إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة و من بين هؤلاء بومرزاق و أسرة الشيخ الحداد.⁽²⁾ 4 - إحالة الموقوفين الذين شاركوا في الثورة على المحاكم الخاصة المدنية منها و العسكرية.⁽³⁾

4- Pouyanne Maurice, op.cit., p 91.

1- مزيان وشن، المرجع السابق، ص 150، 151.

2 -صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 128.

3- مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 73.

لكن أخطر إجراء اتخذته السلطات الفرنسية عقب هذه المقاومة هي تلك المصادرات التي قامت بها سواء كانت المصادرة بصورة فردية أو جماعية.

1- ثورة الشيخ بوعمامة 1881 - 1904 م:

ينتمي قائد هذه الثورة إلى عائلة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني، و لذلك تعتبر هذه الثورة الثانية لأولاد سيدي الشيخ، إنطلقت في 1881 م و استمرت مدة 23 سنة كانت أحيانا تقوى و أخرى تقهر، و اشتهر الشيخ بوعمامة ببسالته و شجاعته و قدرته على مواجهة هؤلاء الغزاة الطغاة.⁽⁴⁾

و قد حاول الملازم الثاني "واينبر نيار weinbernnier" في أبريل 1881م القضاء على الثورة و لكنه فشل، و إمتدت الثورة إلى ناحية وهران في شمال البلاد و استطاعت أن ترسل إلى الهقار -الصحراء- بعثة عسكرية فرنسية متواجدة هناك لاكتشاف ما يحدث في الصحراء، كما استطاع بوعمامة أن يقضي على ثلاث مئة فرنسي.

لكن فيما بعد تم محاصرة بوعمامة في الصحراء بسبب التفوق الفرنسي في السلاح خاصة المدفعية، و ازداد النفوذ الفرنسي في المغرب و

4- عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي، المرجع السابق ، ص 191.

قد توفي بوعمامة يوم 07 أكتوبر 1908م و بهذا انتهت هذه الثورة.⁽¹⁾

لعل أهم سبب قامت من أجله هذه الثورة هو انتشار المجاعة في أوساط الأهالي و هذا بسبب النظام الاستعماري المطبق في الجزائر و الذي أراد من خلاله أن يحط و يذل الإنسان العربي، و هو في موطنه حيث حرمه من جميع ممتلكاته و هو في وطنه خاصة الأراضي و التي تعتبر مصدر رزقه بالدرجة الأولى لا لشيء سوى أنه أراد أن يخضعه للهيمنة الاستعمارية، و بالتالي السيطرة على مختلف أرجاء البلاد.⁽²⁾

1- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ص 191.

2- إبراهيم مياشي، المرجع السابق، ص 163.

أثر المقاومات الشعبية في حركة المصادرة و الإستيطان بعد 1871

1 - المصادرات الجماعية بعد 1871 م:

لقد كان برنامج السلطات الفرنسية منذ سنة 1870م يهدف إلى قمع و مصادرة أراضي الجزائريين، خاصة بعد الثورات العارمة التي حدثت في سنتي 1870- 1871م و يتضح لنا ذلك من خلال تصريح رئيس الجمهورية الفرنسية الثالثة: " يمكن للعرب أن يقوموا بثورات لكن سيتم إحتواءهم و إبتلاعهم".⁽¹⁾

و حدث ما حدث فعلا فنجد أنها صادرت أراضي كل الذين شاركوا في ثورة 1871 م أو شككت في نواياهم حيث صادرت في سنة 1872 م 2640.000 هكتار لصالح المعمرين،⁽²⁾ كما صادرت الأملاك و الأراضي بصورة جماعية لأكثر من 330 قبيلة و دوار و تشمل 5948 رئيس عائلة و عزلوا من وظائفهم بتهمة المشاركة في الثورة، و بلغ مجموع مساحة الأراضي المصادرة 611130 هكتار بالإضافة إلى مصادرة أملاك و أراضي بصورة فردية لعدد 3601 رئيس عائلة فبلغ مجموع المساحة

1- حسنية حماميد، المستوطنون الأوربيون و الثورة الجزائرية (1954 - 1962 م)، ط 1،

منشورات الحبر، الجزائر، 2007م، ص 30.

2- مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 73.

المصادرة 54461 هكتار،⁽³⁾ و تم احتجاز الإدارة الإستعمارية لـ 446.000

هكتار من أراضي القبائل الذين قاوموا مع المقراني سنة 1871 م.⁽⁴⁾

و من الطبيعي أن هذه المصادرات مست عائلات كبيرة من المنطقة و العروش و مناطق شاسعة من الشرق الجزائري، و هذا كله من جرّاء القرار الصادر عن "إكسيس لامبير" "Uxis Lampire" الذي أصدره في 25 مارس 1871 م: " لقد أجرينا الثقاف أيضا على أنواع أملاك الأعراش و العرب الذين خرجوا عن الطاعة مع المقراني و من سيخرج، و وضعنا عليها الحيازة سواء كانت شخصية أو مشاعة".⁽⁵⁾

و نذكر على سبيل المثال فقط الأعراش و العائلات الكبيرة و المناطق التي مستها المصادرات بشكل واسع:

- 1- عرش أولاد خلوف وفروعه المختلفة.
- 2- عرش أولاد المقدم وبطونه العديدة.
- 3- عرش بني مليكش وأسرهم الكثيرة بالجعافرة .
- 4- عرش مزيتة وقبا ثلهم المنتشرة بجبال البيان.

3- مزيان وشن ، المرجع السابق، ص 15.

4- سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المرجع السابق، ص 227.

5- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، الإتحاد العربي للطبع و النشر و التوزيع، مصر، د.ت، ص 56.

5- عرش لحشم والعائلات المنتمية له.⁽¹⁾

ولتوضيح ذلك يمكن أن نأخذ عرش لحشم كنموذج لهذه العروش فقد أجرينا مقابلة مع المجاهد "زيداني فرحات" الذي أوضح لنا المصادر التي مست عائلته بعد ثورة المقراني عام 1871م، فقد ذكر أن الحشم يتكون من 04 فروع:

* حشم سيدي مبارك.

* حشم مجانة.

* حشم أولاد سيدي شنيّتي (العناصر).

* حشم آقبو تازمالت وصدوق ومنصورة.

وقد صودرت جميع أراضيهم وعوضوا في منطقة أخرى وبالضبط منطقة الحضنة بالمسيلة، وقدر إجمالي الأراضي التي منحت لهم ب 6580 هكتار، وهذا ما وجدناه في الوثيقة الخاصة بالحشم .

لكن لم تكن كل هذه الأراضي صالحة للزراعة عدا 1000 هكتار والباقي كانت أراضي رملية غير صالحة للزراعة على حد قوله.⁽²⁾

بينما مست المصادر مناطق عديدة وواسعة عبر مناطق مختلفة من

1- مزيان وشن، المرجع السابق، ص 152.

الشرق الجزائري ويمكن أن نذكر أمثلة على سبيل المثال لا الحصر المناطق التالية :

- منطقة الحضنة وأحوازها.
- منطقة برج بوعريريج وضواحيها.
- منطقة قemor وبليمور.
- منطقة عين تاعزوت وخليل.
- منطقة بني عيـدل "سيدي ادير".
- منطقة بني عباس.
- منطقة بئر قاصـد علي وخليل.
- منطقة زمورة " شويحة وأولاد ثاير"
- منطقة الغدير.
- منطقة وادي الساحل " بجاية".
- منطقة محفـرة " أولاد عجـيل".
- منطقة العناصر " عود تنويرة عين البيضاء".
- منطقة عين السلطان " كركر وعصبة والموجة".

- منطقة تافشيست إقليم الجعافرة.

- منطقة أولاد خليفة.

- منطقة أولاد خلوف بلاد العرب.

- منطقة لاشبور " اليشير".

- منطقة بومرقد برج بوعريريج.

- منطقة جعافرة الصرة .

- منطقة تفرق أحريق

- منطقة ثاوريت البويرة.

- منطقة رأس الوادي.

- منطقة سمطة بوحزمة ثنية النصر.

- منطقة أولاد سيدي أعمر منصور⁽¹⁾.

وكان في طليعة هذه المصادرات مصادرة أملاك المقراني والحداد، عبر قرار أصدرته السلطات الفرنسية فنجد في الفصل الأول من القرار" قد أجرينا الثقافة على جميع ممتلكات الحاج محمد باش آغا المذكور ووضعا يد الحيازة عليها سواء كانت منقولة أو غير منقولة مما يثبت

1- مزيان وشن، المرجع السابق، ص 154.

وجوده في أوطان ولاية الجزائر"،⁽¹⁾ وعموما يبلغ عدد المساحات المصادرة من عائلة المقراني وحدها: 228.298.955 هكتار موزعة كآتي:

1- فرع أولاد الحاج المقراني 48217082 هكتار.

2- فرع أولاد عبد الله 47215.852 هكتار.

3- فرع أولاد بلقندوز 40606049 هكتار.

4- فرع عبد الرحمان 3787525 هكتار.

5- فرع أولاد بورنان 19067067 هكتار.⁽²⁾

وبعد أن أنهت السلطات الاستعمارية مصادرة أملاك المقراني وأفراد عائلته فحولت وجهة نظرها إلى عائلة الحداد، واستعملت نفس الأسلوب في المصادرة الجماعية لكل أملاكها العقارية وغير العقارية، ولا يخفى عنا أن عائلة الحداد لم تكن في مستوى ثراء وغنى مع عائلة المقراني، لأن غناها الوحيد هو هدايا الإخوان الرحمانين، وبعض الأوقاف التي كان يحسبها الأغنياء للزوايا ومشايخها، وبالتالي اعتبرت عائلة الحداد فقيرة لا تختلف عن بقية الأهالي، ومع ذلك استعملت السلطات

1- بسام العسلي، ثورة المقراني وثورة 1871م الجزائرية، ط1، دار النفائس، بيروت،

1406هـ/1986م، ص 189.

2- المرجع نفسه، ص 196.

الفرنسية أسلوب القسوة وصادرت أملاكها وأملاك أتباعها في محاولة لتدمير سلطتها الروحية والخطيرة على الفرنسيين. ووقعت المصادرة بالضبط في 01 أوت 1871 م بعد القرار الذي أصدره حاكم قسنطينة دولا كروا ومما جاء فيه: " لقد وضعنا الحراسة - الثفاف - بصورة مؤقتة على جميع الأملاك المنقولة وغير المنقولة المنسوبة للشيخ الحداد مقدم طريقة سيدي محمد بن عبد الرحمان القاطن بدشرة " صدوق " في عرش " بني عيدل " من دائرة بجاية وكذلك المنسوبة لولديه سي عزيز الشيخ الحداد قائد عمومته سابقا، وسي محمد بن الشيخ الحداد قاضي بن عيدل وريغة سابقا " ⁽¹⁾.

وهكذا كان القرار بمثابة العمل على إحصاء الأملاك ثم مصادرتها حيث بلغ مجموع الأراضي التي صودرت من الشيخ الحداد 502.5205 هكتار. ⁽²⁾

وعموما حاولت فرنسا بكل وسائلها الحصول على هذه الأراضي الجزائرية خاصة في سنة 1871 م، فنجد أنها وضعت جزء من أملاك القبائل الثائرة تحت الحراسة إلى أن تدفع الغرامات لكن وضع الأملاك تحت الحراسة

1- يحيى بوعزيز، ثورة 1871م - دور عائلتي المقراني والحداد -، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت، ص 39.

2- بسام العسلي، المرجع السابق، ص 199.

كان تمهيدا ومقدمة من أجل مصادرتها.

وتختلف حالة القبائل عن الحالات التي طبقت فيها المصادرة لأن أهل المنطقة تركوها لكن هذه القبائل سارعت لتسليم وجمع الغرامات بالرغم من أنها كانت باهظة حيث بلغت 26.5 مليون فرنك، لا شيء سوى أنهم كانوا يريدون تجنب هذه المصادرة. لكن للأسف الشديد، خاب ظنهم وأملهم لأن السلطات قررت الاستيلاء على 500 ألف هكتار دون تمييز وجعلتها ملكا دوليا للمستوطنين الجدد.⁽³⁾

2 - تزايد حركة الإستيطان بعد 1871 م : لقد استولت السلطات الإستعمارية على العديد من الهكتارات و التي قدرت بـ: 725240 هكتار من الأراضي الخصبة خاصة بعد الثورات لكن في حقيقة الأمر و لم تكن هذه الثورات إلا ذريعة لكي تستحوذ على تلك الأراضي و إلا كيف سنفسر مطالبة المستوطنين لمنطقة واد العثمانية - الواقعة بضواحي قسنطينة - بمصادرة أراضي التلازمة، الضرورية حسب زعمهم لتطور القرية، رغم أن القبيلة وقفت إلى جانب فرنسا إذن فللسلطات الإستعمارية أهداف أخرى يمكن حصرها في نقطتين أساسيتين هما:

- تجريد العرب من رابطتهم مع الأرض و محاولة كسر قوتهم لكي لا

(3) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 129.

يصدر عنها أي خطر.

- أما السبب الرئيسي فهو محاولة توفير أكبر عدد من الأراضي لفائدة المستوطنين و هذا ما أكده لنا دي غايدون De gueydon في برقية موجهة إلى القطاع العسكري في قسنطينة فكتب يقول : " إن الهدف الذي أريد الوصول إليه للغاية أريد أن تؤدي مصادرة في عمالة قسنطينة إلى الحصول ثلاثمائة (300000) هكتار من أجود الأراضي لوضعها تحت تصرف المستوطنين دون أن يشمل ذلك الأراضي الناتجة عن مصادرة أملاك الأفراد".⁽¹⁾

و هذا ما تم فعلا لأن المصادرة اشتدت مع تدفق المستوطنين الجدد خاصة ما بين سنتي 1870 - 1871م من شرق فرنسا، و لحل هذه المشكلة لاحظنا أنها لجأت إلى الحلول التعسفية و الغير قانونية للإستيلاء على هذه الأراضي و منحها للنازحين من الألزاس و اللورين (Alsace - Lorraine) الذين رفضوا البقاء تحت الوجود الألماني،⁽²⁾ و هكذا تمكن المهاجرون من الحصول على آلاف الهكتارات،⁽³⁾ و تم توزيعهم على أربعمئة و عشرين قرية منها عشرة قرى في القطاع

1- رمضان بورغدة، المرجع السابق، ص 361 ، 362.

2- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط 2 ، دار المعارف للنشر، الجزائر، 1382 هـ / 1963 م، ص 62.

3-Mahfoud Kddache et Djilali Sari , op.cit., p 145.

القسنطيني و ثمانية في القطاع الأوسط و ستة في غرب البلاد.⁽⁴⁾

و هكذا أرادت فرنسا تطوير حركة الإستيطان الأوروبي فهجرت 4000 عائلة خلال عشر سنوات، و تنازلت الإدارة الإستعمارية مجانا للمستوطنين عن 347286 هكتار قيمتها 43 مليون فرنك ما بين 1871- 1882، وأنشأت الإدارة أكثر من 197 قرية إستطانية كان يسكنها عام 1882م ثلاثون ألف نسمة أختير منهم نحو نصفهم، و لكن بشرط الإقامة الجبرية.⁽⁵⁾

وبين سنتي 1881 -1889م تم تسليم 176 ألف هكتار للإستيطان الأوروبي و وزعت على 3206 حصة أغلبها مجاني.

وفي موضع آخر أرادت الإدارة الإستعمارية بناء 175 قرية إستطانية على مساحة قدرها 360 ألف هكتار منها 300 ألف هكتار وعزمت على انتزاعها من الأهالي.⁽¹⁾

وقد ساهمت هذه الثورات الشعبية على مضاعفة أعداد الكولون بثلاث مرات في بعض القرى كما هو الحال في قرية بالسترو بالأخضرية، وآلت إلى إنشاء قرى استيطانية جديدة مثل قرية باليكاو

(4) عبد الرحمن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصرة - الفترة الأولى 1920-، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ص 50.
(5) شارل روبيير أجيريون، المرجع السابق، ص 86.
(1) يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري، المرجع السابق، ص 34.

(تغنيف) في معسكر، وقد منحت لفرنسا الاستيلاء على المزيد من الأراضي،⁽²⁾ وساهمت بشكل أو بآخر في تنفيذ الخطة الفرنسية وساعدت كثيرا في مصادرة عدة ملايين من الأفدنة،⁽³⁾ والجدول الذي بين أيدينا يوضح التطور السريع في مساحات قطاع المعمرين.⁽⁴⁾

السنة	المساحة بالهكتار
1850	115.000
1870	767.000
1880	1245.000
1890	1635.000
1900	1682.000

(2) عدة بن داهة، المرجع السابق، ج2، ص 414.

(3) جوان جليسي، ثورة الجزائر، ترجمة: عبد الرحمن صدفي أبو طالب، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، 1966، ص 32.

(4) عدة بن داهة، المرجع السابق، ج2، ص 12. و أنظر كذلك: (إبراهيم مياسي، الإستيطان الفرنسي في الجزائر، مجلة المصادر، ع 5، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2001، ص 125).

وما نستقرئه من الجدول أعلاه الزيادة في مساحة الأراضي للمعمرين من جراء الاستيلاء و المصادرة، و هذا ما يلخصه لنا الكاتب مارسال إيقريطو Mercel Egretaud : "إن سرقة الأراضي كانت باستمرار سهلة التنفيذ فهي تبدأ بالاستيلاء على الأراضي و إقرار الأمر الواقع ثم يتدخل لتبرير و تغطية ذلك النهب بطبقة من الطلاء السميك الذي يضمن حقوق الملاك الجدد".⁽¹⁾

و هذا ما حدث مثلاً في المنطقة الوهرانية فبعد سنة 1881 بدأ التعمير الرسمي يأخذ حيزاً واسعاً على الشكل التالي:

السنة	اسم المركز	المساحة	عدد المعمرين
1898	ديكارت	5337 هكتار	550
	بوخنيفس	450 هكتار	53
	مطار	584 هكتار	72
	بودانس	1 403 هكتار	142

(1) إبراهيم مياشي، المرجع نفسه، ص 125.

96	680 هكتار	طابلا	1899
46	584 هكتار	بوسوية	
232	2312 هكتار	دو باسل	1900
48	1403 هكتار	بوتا	
80	3 هكتار	جنان	
72	692 هكتار	بوزرق	
	4788 هكتار	دو لينبي جيريفيل	

إذن وصل التعمير خلال الثلاث سنوات (1898 - 1899

- 1900) إلى 18236 هكتار و عدد السكان الذين إستقروا بهذه المناطق

1391 شخصا. و هكذا عملت السلطات الفرنسية على تكثيف التعمير

كلما سمحت لها الفرصة بذلك.

الاساليب الممهدة للاستيطان الفرنسي بالحصنة

ادت ثورة المقراني التي شارك فيها جل عروش الحصنة الى تغيير فرنسا لسياستها الادجارية للمنطقة، فمدينة الحصنة التي ظلا منذ بداية احتلالها سنة 1841 تحت ادارة دائرة البرج العسكرية و رغم انها حافظت على حدودها الا انها الحقت بدائرة بوسعادة العسكرية بعد 1871 و كونت السلطة العسكرية الاستعمارية تنظيم اداري جديد لمنطقة الحصنة وسعت من خلاله حدود دائرة بوسعادة لتظم أجزاء كبيرة من منطقة الحصنة و عروشها الواقعة شمال شط الحصنة ، كما اقدمت إدارة الاحتلال على تكوين سبعة مقاطعات ادارية بمنطقة الحصنة تحت وصاية مكتب بوسعادة العسكري وهي:

1-قيادة الحصنة(وكانت تظم قبل انتفاضة المقراني 1871 قيادة الحصنة القديمة باستثناء عرش الحوامد و عرش السوامع).

2-قيادة الحصنة و كانت تمثل بشكل كبير مدينة الحصنة الحضرية و ما عرف بالحصنة الدوار.

3-قيادة بوسعادة وقد اضيف اليها اقليم الشرفة بالهامل و المراقبة بينما تحولت مدينة بوسعادة فيما بعد الى بلدية مختلطة)

4-قيادة التامسة :وهي عبارة عن القيادة القديمة لاولاد عامر.

5-قيادة سليم :وهي كذلك عبارة عن القيادة القديمة لاولاد فرج.

6-قيادة واد الشعير :اضيف اليها عرش الحوامد.

7-قيادة عين الريش: و كانت تسمى سشابقا بقيادة اولاد عيسى.

ومن جانب اخر أقدمت السلطة الاستعمارية على تجزئة هذه القيادات السبعة الى 21 فرقة أخذت اسم مجلس الجماعة او رئاسة الجماعة كما تكون المكتب العربي لبوسعادة بعد احداث انتفاضة المقراني 1871 من:

1-ضابط المكتب العربي برتبة نقيب (كان النقيب بانPEN من اشهر الضباط الذين تناولوا على المكلاطب العربية لبوسعادة منذ تأسيسها سنة 1850.وهو صاحب كتاب رسائل عائلية).

2-نائب الضابط وهو فرنسي و يكون مرسوم .

3- نائب الضابط الثاني و يكون عادة متربص.

4-مترجم من الدرجة الثانية.

5-عريف(CAPORAL CAPISTE°)

6-خوجة من الأعيان الذين يقدمون المعلومات وهم عبارة عن

كتاب الإدارة الاستعمارية.

7-شاوش من الاهالي كحارس للادارة.

8- سبعة خيالة من الاهالي .

9- ثمانية صبايحية دائمين.

وقد اشارت التقارير العسكرية لسنة 1871 انه بالرغم من العدد القليل للضباط العسكريين بالدائرة العسكرية لبوسعادة ورغم اتساع مساحتها، و رغم التقارير و الشكاوى التي تصل الوكيل القضائي ،فان تعداد المكتب لبوسعادة كان كافيا.

اعقبت انتفاضة المقراني وضعيات جد صعبة على سكان الحضنة، نظرا للدور الذي لعبوه خلالها ، ولان اراضي الحضنة شهدت اهم محطات الانتفاضة ونهايتها، لذلك سنتوقف عند اهم مظاهر القمع و القهر التي لحقت بالمنطقة و التداعيات الهامة لما بعد احداث الانتفاضة ،التي كانت نموذجا فريدا للحقد الاستعماري العنصري و يمكن تتبعها كالتالي:

1-مصادرة الاملاك و الاراضي:

تنوعت عملية المصادرة إلى نوعين :

(أ)مصادرة شخصية لأملاك الأفراد الذين شاركوا في الثورة إلى جانب

المقرانيين أو وقفوا معهم.

ب) ومصادرة جماعية لسكان العروش و الدواوير الذين أرغموا على دفع أراضيهم الجيدة لسلطة الاحتلال من جهة ودفع ضريبة حرية جماعية بصفة إلزامية تصل إلى حالة رهن الأملاك والأثاث تعرضت الحضنة ككل إلى عمليات مصادرة واسعة شملت معظم العروش والأفراد، امتازت بطابعها القهري الجماعي الذي لم يستثني حتى الأشخاص والجماعات التي وقفت محايدة من الانتفاضة. وفرضت فرنسا غرامات مالية تم تسديدها حسب كل دوار و قبيلة . فمنذ 1874 صدر في حق مدينة الحضنة قرار مصادرة للأملاك والأراضي التي قدرت مساحتها 1200 هكتار وغرامة مالية قدرت ب 38980 فرنك¹ بعد أن كانت في البداية 41934 فرنك² وهي غرامات يسددها أهل المدينة مقابل عملية استرجاع أملاكهم المحجوزة . وحتى الأشخاص العاجزين عن دفعها تتكفل الجماعة عنهم بتسديدها ، مع عدم استثناء حتى الأشخاص الذين وقفوا إلى جانب فرنسا بسبب وجود أراضيهم ضمن محيط الأراضي المصادرة جماعيا. على أنه تم تعويضهم بأراضي رديئة خارج

1 -ACMM:B,224,D2(sequestre de M'sila).

2 -ACMM:B,241,D1(sequestre de Ouled Derradj).

المنطقة¹.

وبدأ أهالي الحضنة تسديد الضريبة ابتداء من جويلية 1874² حسب قرار 26 ماي 1872. واعتبرت مدينة الحضنة حسب القائد العسكري ملحققة الحضنة، بكامل أهاليها مع المنتفضين إلى جانب المقراني ، وهي أعمال في نظر فرنسا عدائية لها ، لذلك تم تطبيق المادة 10 من قرار 1845 والذي أدى إلى تعرض عدد كبير من السكان والأعيان إلى المصادرة الفردية والجماعية للأموال والتي شملت على الخصوص³:

1-أحمد بن الباهي قائد الحضنة السابق وهو فارس برتبة الوسام الشرفي

1. محمد بن أحمد الباهي : إبن القائد السابق .

2. المدني بن يحي : شيخ مدينة الحضنة .

3. سي محمد بن الطيب بن بوجملين : شيخ زاوية سيدي

بوجملين بمدينة الحضنة الذي أعلن الجهاد المقدس ضد

فرنسا بداية الثورة .

1 -BOGA: 1905, p98; BOGA: 1872,pp 408-409.

2 -ACMM:B,241,D1(convention relative au biens séquestrés ,tribus de M'sila juin 1876).

3- BOGA: 1872, p408.

إضافة إلى قائمة طويلة من أهالي المدينة تتضح من خلالها مدي دور أعيان ومشايخ المدينة في توحيد صفوف السكان إلى جانب المقرانيين ومدي الترابط الاجتماعي داخل المدينة الذي حال دون انقسام أهلها في بداية الثورة . والفئة القليلة التي فرت من المدينة عملت فرنسا على استغلالها في إخضاع السكان بجعلهم في مناصب القياد على مختلف دواوير المنطقة كما كان حال القائد صرموك محمد بن عبد الله الذي عين على المطارفة والذي اعفي من المصادرة إلا أن موقف السكان له كان الكراهية والرفض وهذا ما تجلي من خلال الشكاوى التي قدمها السكان إلى الإدارة الفرنسية بشأنه¹

كما استعملت فرنسا علاقتها القوية بعائلة بوضياف بن بوراس بتعيين عدد من أفرادها على مختلف القيادات² بحكم دور العائلة القديم منذ دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر في توطيد الأمن والاستقرار، ومن

1- ACMM:Bn165,D1(lettre Djemaa de META RFA a L'Administrateur de M'sila /9/02/1897.

2- ACMM:B, 165,D1(lettre1 caid Boudiaf Brahim 2/6/1907)

والرسالة تبرز دور أفراد العائلة (بوضياف) في خدمة فرنسا خصوصا بعد ثورة 1871 ^{مثال} القايد بوضياف محمد الذي عمل إلى جانب الحاكم ديماك (Dimaque) والكولونيل ادلر Adeler والضابط zakoum والجنرال سوسي saucier والجنرال لوكليرك leclerc بين سنوات 1894-1896 وكذلك دور القايد بوضياف براهيم الذي خدم بين 1865-1871 إلى إن ادركه العجز 1919.للمزيد انظر:كمال بيرم،الاحتلال وتطور القيادة المرجع السابق.

خلال ذلك استغلت هذه العائلة الوضع الجديد لتزيد في امتيازاتها ونفوذها على حساب الأهالي¹. لم تتوقف فرنسا عند حدود معاقبة المشاركين في الثورة ولا حتى المصادرة الجماعية بل تعدتها إلى عمليات احتلال مباشر للأراضي الخصبة للأهالي في ظروف أمنية صعبة استغلتها قوة الاحتلال لإنشاء نواة مركز الاستيطان الأوربي بالحضنة كما أن عملية المصادرة لم تكن تلقائية إذا عرفنا مدي التقارير والخبرات الفنية عن أراضي ومياه المنطقة التي قدمها كثير من الباحثين وشركات التنقيب عن المياه منذ 1858².

ودليل ذلك مصادرة الأراضي لواقعة غرب وادي القصب الحضنة المعروفة باسم سباع الغربي التي تحولت فيما بعد إلى أراضي المعمرين المسقية في حين عوض أصحابها بأراضي رديئة صودرت لغيرهم شرق الوادي بمنطقة سباع القبلي³. غير أن المصادرة لأراضي مدينة الحضنة تختلف عن المناطق الأخرى التي تتبع حدود البلدية فيما بعد على أساس طابع الملكية بها، بحيث تصنف أراضي أهل الحضنة بالملك بينما أراضي

1-ACMM;B,171, D5(lettre Djemaa Ouled Khelouf 23/11/1905)
(Selmane ,30/07/1902).

2 -Moniteur Algérien :05/06/1858

3- ACMM;B, 241,D1(convention entre le gouvernement d'Alger et le tribu de M'sila 31/05/1877)

البلدية المختلفة تصنف بأراضي عرش. وكانت لهذه العملية آثار اقتصادية واجتماعية على سكان المدينة ، بتقلص نشاطهم الزراعي وضعف مردوديته وانخفاض مستواهم المعيشي في الوقت الذي نما فيه القطاع الأوروبي الزراعي بعد قدوم واستيطان المعمرين، بعد انتهاء ثورة المقراني واستحواذهم على المجاري المائية المعدة للسقي وتحويلها إلى أراضيهم الفلاحية¹.

وبحكم عدم وجود أراضي العرش بمحيط الحضنة فإن السكان الذين تمت مصادرة أراضيهم نهائيا تحولوا إلى أجراء أو عمال بسطاء عند المعمرين في أراضيهم القديمة، وتأثرت كل عروش الحضنة لعمليات المصادرة والغرامات المفروضة عليهم، والتي لم يكن باستطاعة الأهالي تسديدها مما جعل سلطة الاحتلال توزعها على عدة سنوات . وكما كان حال مدينة الحضنة، حدث لدوار المطارفة التابع لعرش أولاد دراج حيث انتزعت منه الأراضي الخصبة التي يتم سقيها بساقية خباب الآتية من وادي القصب، بموجب اتفاقية المصادرة 1877/04/30².

وقد ادعت سلطة الاحتلال أن هذه الأراضي سوف تستعمل في إطار المصلحة العامة وقدرت المساحة التي صودرت بعرش أولاد دراج

1- ACMM: B, 127. (carte du Géometre du sequestre 3/12/1877)

2 ACMM:B, 136, D1 (Sequester de M'sila)

4000 هكتار وغرامة مالية 35000 فرنك¹.

وقد صدر قرار المصادرة لعرش أولاد دراج في 1874/10/01 و تمت اتفاقية مع الأهالي بتاريخ 11 أفريل 1877 فرضت عليهم مصادرة ما مساحته 4000 هكتار موزعة بين :

1-مجموعة بشيلقا : التي احتفظت بها الدولة الفرنسية على أمل منحها للمعمرين ثم أجرتها لأولاد دريس بعد أن تبين لها رداءة تربتها وهي بمساحة 2000 هكتار .

1- مجموعة واد سلمان : وهي تمثل ثلث الأراضي المزروعة لعرش أولاد دراج وكان أمل فرنسا على أن تكون محل إقامة مستوطنات للمعمرين غير أن الظروف المناخية للمنطقة ونوعية الأراضي لم تشجع فرنسا أو المعمرين على القدوم إليها، لأنها حسب رسالة الوالي لا تحقق رفاهية ومستقبل الأوربيين ، ومن ثم قررت الدولة فيما بعد تأجيرها للأهالي بغرامات مالية، وحسب رسالة الضابط دوران² Durand أنه يعجز على الأهالي دفع مبلغ الغرامات مرة واحدة

1- ACMM; B224, D2,(Séquestre de M'sila et Ouled Derradj).

2- ACMM:B, 224,D2, (Lettre du chef du Division de Sétif au chef d'annexe de M'sila 13/05/1877)

ويقترح تقسيمها إلى دفعتين على الأقل.

الفصل الثالث

اثر السياسة الاستيطانية الفرنسية على الحضنة اجتماعيا

الانعكاسات الكبيرة لثورة المقراني على الحضنة تمثلت في ذلك الفراغ البشري الذي تركته انتفاضة المقراني بالمنطقة بعد هجرة عدد كبير من سكان فرقة السوامع التي وقفت إلى جانب الثورة ، حيث بادرت بعد نهاية الأحداث إلى الفرار والذهاب في اتجاهات عديدة أهمها نحو تبسة الشمرة- العلمة، سيدي عيسي أولاد الحوت ومناطق أخرى لا زالت تاويهم إلى يومنا هذا .

و قد قدرت السلطات العسكرية عدد الخيم التي هجرت الحضنة عقب الانتفاضة خوفا من العقاب كالتالي:¹

فرقة السوامع وهي أهم فرقة تعرضت إلى التهجير و الهجرة الطوعية و بلغ عدد الخيم التي انتقلت منها نحو بسكرة و باتنة فقط ب 400 خيمة.*

فرقة المطارفة انتقلت منها 170 خيمة نحو أولاد خلوف و سور

الغزلان

فرقة أولاد عدي انتقلت منها 170 خيمة نحو باتنة.

1 -ACMM/B127, D1sequestre de M'sila, rapport sur les tribus qui ont quitter le hodna en 1871,et CAOM:65K7,statistiques et renseignement 1870.1880.

عرش أولاد ماضي اتجهت منه 200 خيمة نحو سور الغزلان
 منهم 133 خيمة من واد اشلال و 92 خيمة من اولاد معتوق.
 فرقة أولاد سيدي إبراهيم اتجهت منهم 50 خيمة نحو ونوغة.
 و يشير تقرير آخر أن فرقة السوامع قد هاجر منها أكثر من 470 خيمة¹
 ولعل هذه الهجرة الجماعية بما تركته من تفكك روابط العرش
 وانسجامه وانقسامه إلى جماعات متناثرة بعيدة عن موطنها الأصلي ،
 جعل فرنسا تعمق فيه الانقسام بحيث عمدت إلى تقسيم ما كان يعرف
 بقيادة السوامع الموحدة إلى فرق أربعة هي : أولاد عبد الله الذين تم
 ترحيلهم من منطقة بوحامادو إلى فيافي منطقة السويد "بياضة" الجرداء
 والتي تحمل اليوم اسم أولاد عبد الله ، وفرقة اللوذاني وفرقة الهجارس²
 وأولاد حديدان.

1 -CAOM: 65K8, statistique de population, état des souama qui ont
 quitter le hodna 1871.

* عثرنا خلال تصفحنا لوثائق الارشيف الفرنسي باكس قوائم اسمية لعرش السوامع الذين هجروا
 الحاضرة نحو جهات عديدة من الوطن فاقت بكثير الاعداد التي قدمها جيش الاحتلال وهي
 موزعة في علبة :

CAOM :7i14/tribu souamaa

2-- كلمة الهجارس هي فرقة من سوامع أولاد عبد الله ، ليس لها صلة بهجارس أولاد سيدي
 هجرس التابعة لمحيط أوامال سابقا (سيدي عيسى) جنوب غرب الحاضرة .انظر:كمال
 ببيرم،المقاومات الشعبية بالحاضرة بين 1838-1871 المرجع السابق.

كما أن الأثر البارز لسياسة فرنسا اتجاه دعم سكان أولاد دراج للمقراني هو تفكيك روابط العرش ككل خصوصا فرقة السوامع وقطع الأواصر التقليدية وخلق الصراعات الجديدة مع الجماعات والعروش المجاورة¹ في إطار عملية المصادرة والترحيل والتعويض في الأراضي مثلما حدث بين أولاد عبد الله وأولاد غنايم و السوامع وأولاد سيدي حملة². كما مست منطقة السعيدة أين يقطن عرش أولاد ماضي الذي كان أكثر العروش تماسكا وتلاحما من خلال الأحداث التاريخية التي مر بها، والتي أفرزت له شخصية قوية كانت تظهر في المنازعات الخارجية والعلاقات مع العروش الأخرى في مسائل التحالف أو الحرمة أو حدود الأرض والتسلح للحرب³. مسته نفس الآثار التي لحقت بعرش السوامع ، من عمليات المصادرة والحجز للأملاك والأراضي والغرامات الحربية التي اعتبرت امتدادا لموقف فرنسا القديم خلال انتفاضة العرش القوية سنة 1864. وكانت الأراضي المصادرة لهذا العرش موطن الجماعة الجديدة المهجرة من إقليم مجانة حشم المقراني ، كتعويض لها عن الأراضي الخصبة التي صودرت منها ومنحت لسكان الالزاس واللورين. ولم تنجوا

1 -ACMM : B90, D1, Rapport Caïd Mcif 12.01.1912)

2 -A.C.M.M:B, 224, D1 (Délibération de la commission municipale du 23/03/1888).

3 -Bourdieu,(P) op-cit,p 71..

من عملية المصادرة حتى العائلات والمشايخ التي وقفت إلى جانب فرنسا خلال الثورة مثل زعيم مشيخة أولاد معتوق الطيب دحدوح وعائلته¹، وإن حاولت فرنسا جعله على رأس قيادة منطقة أولاد سيدي إبراهيم بعد انتهاء الثورة بمحيط بوسعادة، بسبب وجود أراضيهم ضمن أراضي العرش المصادرة جماعيا. كما تباينت الغرامات الحربية والمساحات المصادرة حسب درجة الولاء للمقراني وطبيعة الأراضي.

فقد صودرت مساحة 4042 هكتار من منطقة أولاد عدي لقبالة مع غرامة مالية 41939 فرنك باعتبارها كانت موطن زعيم أولاد نجاع جنان بن الدري، حليف السعيد بن بوداود في مقاومته للجيش الفرنسي في الجهة الشرقية لمنطقة الحضنة أو الحضنة الشرقية. في الوقت الذي تقلصت فيه المساحة المصادرة لعرش الدريعات بسبب الطابع الجبلي الصخري بينما ارتفعت قيمة الغرامة المالية الخاصة بنفس العرش إلى 127285 فرنك من خلال قرار 16 جويلية 1872² وهذه الإجراءات مثلت الصفة الانتقامية للاستعمار الفرنسي من الأهالي، رغم حالة الفقر والبؤس التي كانوا عليها في هذه الفترة. وفي الوقت الذي كانت غالبية

1 - A.C.M.M:B, 224, D2 (rapport caïd Sakhri Boudiaf 13/11/1890).

2 - A.C.M.M:B, 224,D1 (séquestre de M'sila 1875-1888)

السكان تعاني من القهر والخوف والمصادرة ومن التشييت استغلت الأقلية التي تعاونت مع فرنسا الظروف في الاستحواذ على مزيد من الأراضي التي صودرت من أصحابها أو الذين فروا وتركوها واعتبرتها سلطة الاحتلال أراضي متروكة ومن أمثلة ذلك سيطرة القائد الصخري بوضياف على أراضي مدينة المسيلة واستغلها في الزراعة¹ كما استغل آل بن زغلاش شكور ابن الحاج أراضي المخزن بأولاد دراج ، كما ارتقي العديد من هؤلاء إلى مناصب القيادة في مختلف الدواوير خصوصاً عائلة بوضياف².

تأثير حركة الاستيطان في سياسة العسكريين الفرنسيين اتجاه الاهالي:

سياسة التفكيك الاجتماعي لتمهيد حركة الاستيطان

1 -A.C.M.M:B,241,D1 (carte du Géomètre du séquestre de M'sila 3/12/1877)

2 قامت فرنسا بتعيين بوضياف النذير قايد على الدريعات 1885 وبوضياف الصديق بن بوضياف على أولاد عدي لقبالة 1882 وبوضياف المختار على السعيدة 1891 وبوضياف الحاج بن احمد على مدينة الحضنة بعد إن كان قايد على المكارطة المعاضيد، وبوضياف محمد بن القرشي على بني يلان (A.C.M.M:B, 241,D1).

-تحولات القبيلة في ظل الاحتلال بمنطقة الحضنة

سبق عملية تقسيم عروش منطقة الحضنة إداريا أي بعد تكوين البلديات المختلطة بإقليمها ، قانون سينانوس كونسيلت 1863 الذي أحدث ما يمكن اعتباره عمليات جراحية في بنية المجتمع الجزائري عموما واعرش الحضنة خصوصا¹. ففكك روابط العرش الواحد وجزئه إلى وحدات صغيرة ،وعمل قانون إنشاء الملكية الخاصة على إبعاد علاقات التضامن والتكامل التي وجدت منذ قرون بين أفراد العرش الواحد، كما عمل الاحتلال على إبداع تسميات جديدة لعروش جديدة مرتبطة بالمنطقة الجغرافية أو الوحدة الإدارية ،أكثر من روابط الأصل أو الانتماء، كما عمل على إعادة ربط الجماعات إداريا بصفة تؤدي إلى مزيد من التباعد بينهما، و الى التنقل والحركة² البعيدة عن الموطن بسبب العلاقة المباشرة لسلطة الإدارة الاستعمارية على السكان، ولعل الأمثلة كثيرة التي

1 -Sebhi ,(s):op-cit,P105.

2- تشير رسالة جماعة الشلال إلى المتصرف الادري لبلدية الحضنة المختلطة الى قوة الاحتجاج والرفض للتقسيم الإداري الاستعماري الذي وضع الشلال تحت إدارة قايد مسيف البعيدة (70 كم) رغم قريهم من قيادة السعيدة 10 كلم lettre ,ACMMM,B,118 14/01/1918.

تبرز جوانب ومظاهر هذا التوجه الاستعماري بداية بعرش أولاد دراج الذي أعيد تقسيمه إلى عدة فرق منذ 1867.

وقسم عرش السوامع سنة 1890 إلى 4 فرق كبيرة هي اللوذاني، أولاد عبد الله ن الهجارس، أولاد حديدان بعد ان فصل عن العرش الكبير اولاد دراج الذي تكون فيه، وتكونت مجموعة فرق صغيرة عن فرقة السوامع و هي: العسالة، الدرابلية، الزراردة، الخلوفية، أولاد قمرة، لجعادرية، الزوارق، المرايش، أولاد رحال، أولاد عجاي¹. وبعد أن كانت أراضي العرش مشاعة بين سكان أولاد دراج بصفة عامة فقد حددت الإدارة الاستعمارية أراضي السوامع في بوحمادوا بعد أن قسمت فيما بين هذا العرش الأراضي التي يفصلها واد بوحمادوا عن الفرقات الأربعة الرئيسية². في حين فصلت منطقة بئر العانات التي يقطنها أولاد غنايم وكونت لها إدارة منفصلة وقسمتها إلى فرق صغيرة باسم أولاد غنايم وكرست بذلك سياسة التفرقة بين هذه الفرقة وفرقة سوامع بوحمادو باعتبار إن أولاد غنايم لم يحاربوا إلى جانب المقراني الذي وقفت بجانبه بقية عناصر السوامع خصوصا أولاد عبد الله.

1- ACMM:B,127,(Organisation des populations lindigenes 1916.

2- ACMMM;B188,D2.affaire indigene,tribu souama 1876

إن هذا لتقسيم الجديد للعرش استهدف المرحلة النهائية في تحطيم البنية الاجتماعية و إعاقه استمرار الإنسجام بين السكان، كما ان قانون وراني 1873 إستكمل بمنطقة الحضنة عملية التفكيك بتحويل ملكيات العروش الجماعية إلى ملكيات فردية وحطم بذلك المجتمع التقليدي، وافرز ظهور هيكل غير متوازن للملكيات، وتكوين فوارق عقارية ينجز عنها فوارق اجتماعية، ومن خلال ذلك بداية حرمان العالم الريفي من فط تربية المواشي بإقليم منطقة الحضنة السهبي كما أفرزت هذه التحولات واقع جديد بعيد كل البعد عن عقلية الإنسان المحلي المبنية على التآزر والتضامن والانسجام.

كما أدت عمليات إنشاء مركز الاستيطان الأوربي بالحضنة واحتوائه على النصيب الأكبر لمياه وادي القصب، إلى انهيار عمل التكامل الاجتماعي منذ 1870 بحيث امتلك المعمرون الأراضي الواسعة للسهول الشمالية وأصبحت لهم عقود سلمت لهم من قبل واري **warnier** نفسه¹، وبدأت بذلك قصة تقهقر الملكية العقارية للفلاح لمنطقة

1- ACMM,B;127,D,1.Colonisation, rapport de chef d'annexe de ms'ila
10.02.1876

الحضنة ، والذي تحول إلى إنتاج الزراعات المعاشية الضعيفة المردود بعد أن حوَصر بين ظاهرتي الاستعمار والانفجار السكاني¹.

والجديد في السياسة الاستعمارية بمنطقة منطقة الحضنة هو تلك الإجراءات القانونية التي أعاقَت تحرك الإنسان والحيوان في محيطه الطبيعي، بعد تحديد الملكيات، ومنع مرور المواشي أو رعيهم في الأراضي التي كانت فيما قبل ارضي عرش، وانتقلت إلى الدومين أو الكومينال أو الخواص، وهذه الإجراءات أدت إلى تحويل مستوى الإنسان بصفة عامة من إنسان ميسور إلى مزارع صغير، ومربي صغير للمواشي قرب المناطق الفيضة القليلة. وأدت العملية ككل إلى تفكير المجتمع الحضني بعروشه بعد نمو ظاهرة الاستقرار للبدو الغير مألوفة، فقد بدأت العمليات الأولى للاستقرار منذ إنتصاب الإدارة المدنية بالحضنة 1885 وارتفعت بين سنة 1911 حيث تم إحصاء 9192 مسكن مقابل 5797 خيمة ليرتفع عدد المساكن على حساب الخيم التي لم تعد تمثل سنة 1936 إلا 19.5 من % من المجموع². بعد ان كانت هي المسكن الاساسي لسكان ريف منطقة الحضنة قبل الاحتلال.

, 1- Sebhi (S):op-cit,p108.

بيرم كمال :مدخل الى تاريخ المسيلة، دار الاوطان 22012 -

Sebhi (S):op-cit:pp,105,111

وحاولت فرنسا من خلال هذه التقسيمات التي أفرزت إلى الوجود وحدات جديدة هي الدواوير المنبثقة عن العرش الواحد، أن تجعل منها واقع حتمي بعد عملية التهديم الاجتماعي التي جاء بها قانون ستانوس كونسيلت 1863 كما أن هدف هذا التقسيم هو القضاء التدريجي على الرابطة القوية التي كان يتمتع بها العرش و أفراده من خلال الفرق والعائلات.

فمنطقة الحضنة المشتهرة بتربية المواشي أكثر من الزراعة وبالتنقل والحركة أكثر من الاستقرار، كان الدوار بها نتاج كولونيالي لتجميع أفراد الفرق والعرش المجزء، لمنعها من مواصلة نشاطها الرعوي من جهة، وللسماح للمعمرين الجدد في التوسع في الأراضي الخصبة التي سوف يستقبل فيها أهل الدوار كعمال موسمين عندهم¹. إن هؤلاء العمال الذين تحولوا إلى أجراء لم تعد لهم أراضي بعد أن تحولت إلى الدومين أو أملاك الدولة الفرنسية وأدى هذا التحول إلى تفكير الأهالي الذين باعوا أملاكهم إلى المحتكرين الجدد خصوصا اليهود منهم².

إن الشيء اللافت للنظر في هذا التحول الاجتماعي والاقتصادي لسكان منطقة الحضنة هو ذلك التراجع الكبير لروح الجماعة وبروز

1 A.C.M.M;B275, (rapport ,administrateur,14/12/1886).

2 Sebhi ,(s):op-cit .p108

الروح الفردية خصوصا بعد انقسام العائلات، وتزايد اهتمام الرجل بأفراد عائلته عن أفراد العرش الذي كان ينتمي إليه ويحميه في ظل تحول السلطة إلى المحتل الجديد.

تفكيك القبيلة وبروز الدوار بمنطقة الحضنة

كانت سنة 1870 محطة تاريخية في ظهور الحركة الاستيطانية لمناطق التل الجزائرية و اقليم منطقة الحضنة ، ومن بعدها السفوح والسهوب ، وبدأت قصة جديدة للفلاح في ارض الحضنة حيث يحاصر بين الاستيطان من جهة وبين الزيادة البشرية فالأراضي المشاعة التي كانت تجوبها المواشي تقلصت كثيرا وأصبح من الصعب تنقلها والنتيجة انه خلال 40 سنة بعد 1870 أي 1910 تقلصت المواشي من 200 ألف رأس الى 100 ألف رأس¹ و يعتبر تطور الاقتصاد الزراعي باحداث المكننة الفرنسية على حساب تربية المواشي من عوامل تقلص المواشي وتحول الرعاة نحو خدمة الأرض بعد تقسيمها بين الأفراد وكانت لظاهرة استقرارالرحل

بيرم كمال : (P), Raynal , (J), Despois - 1 Géographie de l'Afrique du Nord;
:مدخل الى تاريخ المسيلة، المرجع السابق .

نتائج سريعة في عملية النمو السريع للمباني أو الأكواخ وتقلص عدد الخيام التقليدية¹

لقد تزايدت حركة بناء الأكواخ بين 1920-1952 على حساب الخيم في منطقة الحضنة حيث يقدم الجغرافي الفرنسي ديبوا في كتابه الحضنة ان الخيم تقريبا اختفت من منطقة الحضنة سنة 1952 بسبب التحول في نمط السكن²، وحتى في المناطق الرعوية تقلصت بشكل كبير الخيم لتحل محلها المباني الهشة الشبيهة بالأكواخ، ولم تعد الخيم تمثل إلا نسبة 40 بالمائة من مجموع المساكن الموجودة بمنطقة الحضنة في سنة 1911³ في الوقت الذي كانت فيه هي المسكن الأساسي عند بداية الاحتلال .

وقد تضاعفت عملية تكوين مباني الأكواخ على حساب الخيم عقب الحرب العالمية الثانية لتصل نسبة الخيم 19 بالمائة من مجموع المساكن 1939 أي قبل الحرب العالمية الثانية.

ومن جهة ثانية يظهر تحول آخر في إطار انتقال نمط حياة العشابة الرحل إلى عمال إجراء مرتبطين بالأرض، وكانت حركة الانتقال للبدو قبل الاحتلال تتم بالانتقال وراء الكلا بين سفوح الحضنة وأراضي التل في

1 -Gautier,(E.F): Le Passé de L'Afrique du nord , Paris, 1937,p,190.

2 -Archive Département de Constantine; rapport Administrateur ,1937.

3 Bulletin:officiel du gouvernement de l'Algérie ,1910,p1205.

وُنواحي الهضاب العليا السطايفية و السهول القسنطينية ، شتاء وصيفا
ومنذ بداية القرن العشرين بدأ التحول الهام في اختفاء الروابط و
العلاقات التي و جدت منذ مدة بين اهالي منطقة الحضنة و اهالي التل
بانتقال البدو الرحل في منطقة الحضنة الى عمال زراعيين¹ او اجراء
مستقرين، في إطار نشاطات ثانوية كما ان التوسع الذي حصل في زراعة
الحبوب على حساب تربية الماشية و الرعي في السفوح العليا للحضنة
الغربية أدى في البداية الى توفر فرص العمل لكن في المقابل أدى إلى
تقلص الثروة الحيوانية²

المتتبع لتاريخ أزمة البدو الرحل في منطقة الحضنة يلخصه في تدهور
نمط الإنتاج التقليدي من خلال سيطرة سوق الرأسمالية عليه و نستطيع
القول أن البدو الرحل تم القضاء عليهم بمرحلين زمنيّتين .

1-من جهة بعملية تحول وسائل الإنتاج من أيدي البدو الرحل مربي
المواشي إلى فائدة المستوطنين الأوربيين والتجار اليهود المتمركزين في
مراكز الاستيطان بالحضنة بوسعادة وسيدي عيسى .

1- A.D.C: monographie manuscrite sur M'sila ,1940.

2-Archive Département de Constantine; rapport Administrateur ,1937.

2-من جهة ثانية تأثير عملية التنمية والتطور الحاصل في قطاع وشروط
مراحل تربية المواشي في إطار السوق الجديدة (المرتبطة بالنقود
والمركبات وخصوصة وسائل الإنتاج)، الى سيطرة روح المادة على الروح
التضامنية المعنوية التقليدية وظهور الانفرادية وهذا يمثل عامل التهديم
الذاتي لعالم البدو الرحل.

سبقت عملية تكوين للإدارة المدنية بمنطقة الحضنة فترة احتلال قاربت
نصف قرن، ساهمت خلالها عناصر الاحتلال العسكرية في استخلاص
حقائق المنطقة الطبيعية والاجتماعية لتوظيفها في سياستها المستقبلية
التي تصب في تشجيع المعمرين للاستيطان كمعمرين، بامتلاك الأراضي
وتوفير اليد العاملة الأهلية، التي توقف نشاطها الرعوي بفعل سياسة
التفكيك والتقسيم الاجتماعي¹.

ومركز الاستيطان الفرنسي بالحضنة قد تم إنشاؤه منذ 1912²
بعد أن خصصت الإدارة مجموع 24 قطعة من 62-128 هكتار للبيع ثم
تجمعت القطع في 9 قطع للمعمرين التسعة.

1 -Addi,(L),(A):op-cit,P48.

2-رغم قرار تكوين مركز الاستيطان قد تم التفكير فيه منذ نهاية القرن التاسع عشر الا ان
تاخر قدوم الاوربيين قد اخرعملية تاسيسه الفعلي الى ما بعد قرار 1912 الذي يعتبر قرار
التاسيس الرسمي.انظر كمال بيرم:الاحتلال وتطور القيادة،مرجع سابق.

كان ارتباط التجارة بالريف المحيط بها كبيرا، من حيث التبادل الاقتصادي والمنافع أو العلاقات الاجتماعية والتي ظلت المدينة مركزا لها، وبقيت الموطن الوحيد للتظاهرات الدينية وأحداثها، والسوق الهام للمواشي والسلع، ومساجدها العتيقة قبلة المصلين أيام الجمعة. لكن هل استمر هذا الدور بعد تكوين البلدية المختلطة وهل حافظت المدينة على انسجامها؟ ووظيفتها الإقليمية في ظل المعطيات الجديدة كيف تعاملت السلطة المدنية الجديدة مع ماضي المدينة؟.

إن مركز الحضنة كمركز حضاري اسلامي بدأ يفقد أهميته بالنسبة للأهالي منذ الشروع في تطبيق قانون سناتوس كونسلت على عرش الحضنة 1886 حيث قسمت أراضي البلدة إلى أصناف ثلاثة¹، علما إن مدينة الحضنة معظم أراضيها أملاك خاصة متوارثة منذ قرون، وقد استهدفت السلطة الاستعمارية الأراضي الخصبة المسقية التي كانت بحوزة الأهالي، لذلك عمدت إلى مصادرتها وتعويض الأهالي بأراضي الدومين ذات النوعية الرديئة.

1- حدد قانون سناتوس كونسلت أراضي الدومين من 134 قطعة أو مجموعة من أراضي ويساتين ومنازل بمساحة 25198 هكتار أراضي كومينال من 3 مجموعات (مسالك) بمساحة 3755 هـ

-أراضي الملك مكونة من 31 مجموعة بمساحة 7144-أراضي عامة 138 هكتار
-أراضي خاصة بالمقابر والمساجد (33هـ) الرجوع BOGA1905,P102

نسق المعيشة عند مجتمع منطقة الحضنة و تطوره في ظل الاحتلال

ورث المجتمع التقليدي للحضنة الغربية نمط حياة اجتماعية وفق علاقات حددتها رابطة بالعرش و بالأرض و الماء و الماشية ، كما عرف نسق إنتاجي تقليدي مثل خصوصية الإنسان الحضني في لباسه و مسكنه و معيشته ، إلا ان المتغيرات الجديدة التي حلت بالإقليم بمجي الاحتلال أحدثت هزة عنيفة في البناء الاجتماعي و أسس الحياة من حيث تحول المجتمع البدوي الذي كان يعتمد على كثرة الحركة و التنقل المستمر للأفراد و المساكن الى حياة الاستقرار بعد تحول عوامل الإنتاج من الماشية و الرعي الى الزراعة المعاشية ذات المردود الضعيف جعل وتيرة الفقر تزداد و تقلص بزيادته الأنماط التقليدية لحياة العائلة و الفرد الحضني عامة.

ان تفكك القبيلة بمنطقة الحضنة منذ إجراءات المجلس المشيخي أدى بالضرورة الى تفكيك العائلات الصغيرة و وحدتها و بروز العائلة الصغيرة بملكيات صغيرة ووسائل إنتاج اصغر¹، و بقدر ما كان الأمل في تحسين ظروف الحياة من عملية التقسيم الحاصل للقبيلة إلا ان واقع المعيشة ساء كثيرا في اغلب دواوير منطقة الحضنة .

1 -sebhi,s:op-cit ,pp75-80

لقد أدت السياسات الاستعمارية المختلفة عبر مراحلها الى ازدياد حالة العوز و البؤس الاجتماعي الذي تعددت محطاته بين الأوبئة و الامرواض و المجاعات من جهة و بين ضغط الاحتلال و مصادراته لأرزاق الأهالي _ونلمس ذلك جليا من خلال التقارير المختلفة للمتصرفين و القياد ومن شكاوي الأهالي.

في رسالة هامة و خطيرة أمضاها أعيان مدينة الحضنة سنة 1911¹، وصف دقيق للحال الذي وصل إليه الأهالي جراء تحالف الإدارة مع القياد،

1 -ACMM:B,118,affaire indigene,lettre des notables et citoyens de m'sila a monsieur le prefet de setif 1911.

تأثير الاستيطان على الأوضاع الاجتماعية في ظل الاحتلال

الدارس لمنطقة منطقة الحضنة لا يمكن له التعرف على اوضاع المنطقة الا من خلال الدراسة الوافية لوثائق الارشيف المحلية و ذاكرة السكان، خاصة منها وثائق مراسلات الاهالي ،لان جانب كبير من وثائق الادارة المحلية لا تقدم لنا الحقيقة الكاملة ، بقدر ما توفر لنفسها البقاء على السلطة بتقارير ايجابية لحالة السكان ، وهذا ما لمسناه عند اغلب تقارير المتصرفين الاداريين ، باستثناء حالات الوباء و اكتساح الجراد و الجفاف التي تكاد تكون حالات عادية اكثر منها استثنائية.

لقد امتزجت الوضعيات الاجتماعية (الصحية و المعيشية و السكن) لتتحول الى وضعية متشابهة اصبحت الطابع المحلي لسكان منطقة الحضنة في ظل الاحتلال الفرنسي ،و كانت حاصل افرازات

السياسات الاستعمارية التي ارادت ان تكون مجتمع محلي خدوم تحت سيطرة المعمرين ،على قلتهم بالمنطقة.

و للوقوف عند وقع هذه السياسات نحاول تتبع حالاتها وفق التدرج التاريخي الذي عشته المنطقة ، انطلاقا من الوضع الصحي الذي تميزت به منطقة الحضنة كثيرا عن باقي مناطق الجزائر ، وترك بصمات قاسية في ذاكرة السكان.

تأثير حركة الاستيطان الاوربي على المجتمع الجزائري

تهجير و تفتيت قبائل حشم المقراني من التل الى الحضنة بعد انتفاضة

1871

ظلت الدراسات التاريخية المتعلقة بفترة ما بعد ثورة المقراني 1871 بمنطقة الحضنة يكتنفها الإهمال ويحيط بها النسيان مع أن ما حدث للسكان الجزائريين بصفة عامة و أهالي الحضنة ومجاعة خاصة كان اشد وطأة وصعوبة من أحداث سنة 1871 , كما أغفل الباحثون الجانب الاجتماعي الذي خلفته هذه الثورة على القبائل التي دعمت سلطة المقرانيين منذ لقرن السادس عشر ونحن بها قبائل الحشم .

هذه القبائل كما سنرى من حيث نشأتها و تطورها كانت نموذج مختلف لباقي المجموعات القبلية بالجزائر. فقد أخذت هذه القبائل موقعا متميزا خلال الفترة العثمانية و بداية الاحتلال بارتباطها بخلافة المقرانيين بمجاعة منذ تأسيس قلعة بني عباس.¹

من تكون قبائل حشم المقراني وكيف تعامل الاستعمار الفرنسي معها وكيف كان مصيرها بعد الثورة بمنطقة الحضنة ؟ أسئلة نريد الإجابة عليها من خلال الوثائق التي عاصرت الفترة الممتدة بين 1871 إلى غاية 1914 .

1- M.POUYANNE, la propriété foncière en Algérie, imp., jourdane, Alger, 1900, p, 291-.

بيرم كمال :مسالة تهجير قبائل الحشم بالحضنة بعد انتفاضة المقلاني 1871 مقال بمجلة العلوم الانسانية جامعة الامير عبد القادر بقسنطينة 2011

إن مصطلح الحشم أطلق على مجمل الأنصار من قبائل بني راشد لما انتظموا إلى بني زيان وناصروهم واستوطنوا وطن معسكر في سهل الغر
يس .

وينتمي الحشم إلى القبائل الهلالية الذين اختارهم احمد المقراني خلال اشتراكه مع الحسين بن خير الدين في افتتاح مدينة وهران 1563م¹ وأسكنوهم سهل مجانة على سفوح جبل هرسبان وتحولوا إلى مصدر فرق حرس المقراني، كما ينتمي جزء منهم إلى قبائل العريب التي كونت جماعة المخزن خلال الحكم العثماني لمنطقة حمزة تحت قيادة المقراني.

هذه القبائل على اختلاف مواطنها و ألقابها لم يكتمل كيانها الاجتماعي و السياسي إلا خلال الأحداث و الظروف التي عاشتها الجزائر أثناء الحكم العثماني و دور سياسة الأتراك في تدعيم سلطة قبائل المخزن خاصة في فترة الباشاوات 1587-1659²

1- مسلم بن عبد القادر؛ أنيس الغريب و المسافرين، تحقيق رايح بونار 'الشركة الوطنية للنشر و التوزيع' الجزائر '1974' ص 95.

2 -Rinn,L: histoire de l'insurrection de 1871,imp.,
jourdan,Alger,1884,pp,11-13

أدى ضالة العنصر التركي في الجزائر إلى دفع الحكام إلى استخدام هذه القبائل لتكون لهم سندا داخليا و قوة حليفة , بحيث امتد نفوذ الأتراك إلى كامل منطقة الحضنة بفضل قبائل الحشم .وفي الوقت ذاته استنجد الأتراك ببعض القبائل المتمردة مثل أولاد عبد الله و أعطوهم صبغة شرعية في مراقبة المنطقة الممتدة بين سيدي عيسى و بوسعادة رغم أعمالهم اللصوصية في كثير من الأوقات¹

كانت قبائل الحشم تمثل قوة امن و حماية للطرق الرئيسية و الحصون العسكرية خلال الفترة العثمانية , فالطريق السلطاني الواصل بين الجزائر و قسنطينة و الذي يمر بمنطقة برج بوعريريج مثل محطة هامة لنشاط قبائل الحشم و امتد هذا النشاط إلى الطرق الثانوية

لبايلك الشرق و بايليك الوسط. وإلى مناطق القبائل الثائرة التي ظلت تقوم بتمردات ضد سلطة البايلك مثل عرش أولاد دراج و عرش أولاد ماضي بالحضة الغربية.

1 –CAOM:21,H19,notice sur les tribus de subdivision d'Aumale.et
8M43,hachem, hodna,

لقد تحولت قبائل الحشم مع مرور الزمن إلى الصفة الإقطاعية في الحياة الاقتصادية باضمحلال الأعمال التجارية و المبادلات النقدية لسكان الريف و انتقال ملكية ارض البايليك إلى ملكية خاصة لعشائر الحشم .

أراد الاستعمار الفرنسي تحطيم القاعدة الاقتصادية للطبقة البورجوازية القديمة كبداية-

لتفكيك المجتمع الجزائري وعزل القيادات و المشايخ الحاكمة أمثال المقرانيين و تعويضهم بموالين .و أعطت القوانين الصادرة عن الجمهورية الفرنسية بعد 1871 صلاحيات واسعة للوالي العام في الجزائر و لحكام المقاطعات كلها تهدف إلى نزع الملكيات العقارية و منحها للكولون وهذا ما تعرضت إليه قبائل حشم المقرانيين بعد أحداث انتفاضة 1871

من تكون قبائل حشم المقراني وكيف تعامل الاستعمار الفرنسي معها وكيف كان مصيرها بعد الثورة بمنطقة الحضنة ؟ أسئلة نريد الإجابة عليها من خلال الوثائق التي عاصرت الفترة الممتدة بين 1871 إلى غاية 1914 .

ينقسم الحشم إلى مجموعات تعرف بمواضع تواجدها أحيانا و بأنسابها أحيانا أخرى و أهمها هي التي سكنت إلى جانب المقرانيين بإقليم مجانة من المؤرخين من يربط أصول قبائل الحشم التي وفدت مع

المقرانيين إلى الأشراف و أطلق عليهم اسم المرابطون وقد ارجع اسم الحشم إلى لفظ الحشمة بكسر الحاء و تعني الحياء أو من لفظ الحشم بمعنى الغضب . و يرجع أهل اللغة إن اللفظين صالحان للحياء و الغضب 'و قد قيل في القاموس حشمة الرجل و حشمة محركتين و احشامه من يغضب له من أهل أو عبيد أو جيران¹. كما يراد من كلمة الحشم مطلق الأنصار وبه فسر البوصيري في بردة المديح(في عسكر حين تلقاه و في حشم). و الحشم وجدوا عند الزيانيين أواخر القرن الخامس عشر حيث انضموا إلى بني زيان ملوك تلمسان وسميت هذه القبائل قبل هذا التاريخ بقبائل بني راشد وهم بطن من بطون قبيلة زناته نسبة إلى راشد بن إدريس الذي يجتمع عليه أشراف منطقة غريس ومن الفرق التي تفرعت عن حشم أهل غريس نجد فرقة أولاد سيدي علي بن احمد و فرقة أولاد سيدي دحو و أولاد سيدي محمود و أولاد سيدي علي بن احمد الذين هم الأوائل الذين استوطنوا منطقة غريس ومن مشاهيرهم احمد بن التهامي أب الحاج مصطفى بن التهامي و كذا سيدي علي بن

1 -Victor spielmann:la tribu hachem,brochure mensuelle,paris,décembre 1931,pp 1-25

شنتوف¹ و كذا سيد ي بن فريجة الذي كانت له الرئاسة في عهد الأتراك
'ومن مشاهير علماء قبائل الحشم بمنطقة غريس عبد القادر بن عبد الله
المعروف بالمشرفي الذي تولى القضاء وهو من شيوخ الطريقة القادرية .

صنفت قبائل الحشم إلى مجموعتين ' صنف حشم الاجواد (أي من
صفة الجود) وهم قبائل أولاد محمد بن خدة بمنطقة وادي الحمام وهذه
القبائل هي التي حضيت بالسلطة و النفوذ فترة الإمارة الزيانية و كثيرا ما
كانت تحتاج إليها بقية القبائل, و قد ولي منهم أيام دخول فرنسا أغا
العرب مثل محمد بن خدة المعروف بالأعوج كما استمالتهم فرنسا نظرا
لدورهم أيام الحكم العثماني و سلطتهم على المنطقة.

و أجواد حشم غريس فريقين أجواد غريس الشرقي ومنهم أولاد
محمود أو المحاميد و أولاد عباس و أولاد عوف و غيرهم. وهناك أجواد
غريس الغربي .

2- بيرم كمال:مسالة تهجير قبائل الحشم بالحضنة بعد انتفاضة المقلاني 1871 مقال بمجلة
العلوم الانسانية جامعة الامير عبد القادر بقسنطينة 2011
2-الشيخ الطيب بن المختار الغريسي المختاري'القول الأعم في بيان انساب قبائل الحشم '
المطبعة الخلدونية الطبعة الأولى تلمسان ب ت ص ص 330.351 كذلك الهاشمي بن بكار:
كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ و الادب,مطبعة ابن خلدون ,تلمسان 1961,
ص ص346.354.

وهناك الصنف الثاني من قبائل الحشم غير الاجواد وهم بعيدون عن الرئاسة و اقل مرتبة من الاجواد ومنهم أولاد عبد الواحد و فرقههم كأولاد رحو و أولاد المغراوي و أولاد خيرة وأولاد بوسعدية و المرازغة ولا يتصل نسب بعضهم بالآخر و رغم قلة نفوذهم أيام الزيانيين فقد زاحموا الحشم الاجواد في أواخر أيام الأتراك في خدمة المخزن ، ويرجع الكاتب نسبهم إلى زناته.

في بداية الاحتلال الفرنسي حاربت قبائل الحشم بسهل غريس إلى جانب الأمير عبد القادر و قدر الجنرال دوما Daumas في مراسلاته عدد سكان قبائل الحشم بداية الاحتلال الفرنسي بمنطقة غريس سنة 1837 بـ 1500 خيمة بها حوالي 10.000 ساكن و عند احتلال قوات الجنرال بوجو مدينة معسكر سنة 1843 خضعت بع ض هذه القبائل للقوات الفرنسية و منها من انتقل إلى احواز المغرب الأقصى بمنطقة الزراينة و زمران الواقعة شرق مراكش حيث اندمجت مع قبائل أولاد سيدي رحال و وقعت البيعة للسلطان المغربي مولاي الحسن الأول في 22 رجب 1290 هـ.¹

1:مسالة تهجير قبائل الحشم بالحضنة بعد انتفاضة المقلاني 1871 مقال بمجلة العلوم

الانسانية جامعة الامير عبد القادر بقسنطينة 2011

أما ما يخص حشم المقراني بإقليم مجانة فقد ذكرت التقارير الفرنسية الأولى التي دونت سنة 1845 أن عدد خيم الحشم وصل إلى 1400 خيمة كانت تستوطن المنطقة الممتدة بين جبل موريسام في الشمال إلى منطقة رأس الوادي (toque ville) سابقا ومن الشرق وادي مجانة إلى جبل الكاف وواد بنية في الغرب و تضم مناطق برج بوعريريج و مجانة و سيدي مبارك و العناصر. و قد ضمت فرق عديدة أهمها فرقة الدواير وأولاد كدية و الجعافرة و المكاية و أولاد البدار والنشابة و بوخبار و أولاد عجيل و أولاد العقلة و أولاد شنيتي و أولاد حنايشية و أولاد الصغار و اللعلاوة و قدرت إحصائيات السلطة الفرنسية عدد قبائل الحشم المقرانيين سنة 1846 كما يلي¹:

جدول رقم 3 احصائيات سكان الحشم 1846:

2-وثيقة البيعة محفوظة بخزانة مديرية الوثائق الملكية بالرباط رقم 331 ووقعها عدد من أعيان قبيلة أولاد عبد الله من حشم غريس منهم (عبد القادر بن سليمان و الشيخ سي بوعلام و الشيخ الطيب بن قدور و الشيخ محمد لوهراني و الشيخ دحمان بن عبد الله و آخريين)

1-Ministere de la guerre; notice sur la division territoriale de l'Algérie 1846, p 107.

السكان	العدد	الماشية	العدد
الفرسان	400	الأبقار	6000
المشاة	840	الأغنام	10.000
السكان/أطفال.نساء.شيو	4900	الخيول و الجمال	1800
المجموع	6200	البغال	2000
عدد الخيام	1400		

وحسب الإحصاء الذي قامت به سلطات الاحتلال سنة 1861 على سكان المناطق العسكرية التابعة لمحيط برج بوعريريج التابع لقسمة سطيف ضمن مقاطعة قسنطينة و الذي كانت تقع ضمنه قبائل الحشم الموزعة في اقليم مجانة و برج بوعريريج و العناصر و صنادة و بومرقد وهي مناطق ضمن املاك و نفوذ المقرانيين.

وفقد ضمت عائلة أولاد مقران وخدامها ما يزيد عن 428 رجل و 427 امرأة و 432 طفل لمجموع 1287 نسمة بينما كانت تتكون قبائل الحشم الواقعة تحت نفوذ المقرانيين لمحيط برج بوعريريج كالتالي¹ :

جدول رقم 4 قبائل الحشم حسب احصاء 1861

القبائل	الرجال	النساء	الأطفال	المجموع
قبيلة البدارة	187	178	236	604
أولاد عجيل	175	155	174	504
قبيلة اللعالة	95	102	105	302
قبيلة الكوابر	180	198	270	642
قبيلة اللعلاونة	433	419	533	1385
أولاد لخضر	348	318	472	1132

1 – --CAOM; 8M43..Hachem hodna dénombrement de la population de cercle de bordj bouareridj1861

828	333	28	237	الحناشية
738	300	213	225	بني حمود
748	292	212	244	أولاد شنيّتي
568	213	170	185	أولاد عقلة
510	191	164	155	الزلاقة
923	326	297	300	الخبانة
677	266	214	197	أولاد خليف
592	190	181	201	سنوسي
677	266	214	197	أولاد موسى
2038	663	660	715	أجانب
13099	المجموع			
نسمة	ة			

ربطت الأحداث التاريخية التي مرت بها عائلة المقرانيّين قبل الاحتلال الفرنسي علاقات بسكان و عروش منطقة الحضنة، خاصة عرش أولاد ماضي

، و بقدر ما طبعت في معظمها بالقرابة و المصاهرة كانت أحيانا أخرى تسودها النزاعات التي ذهب ضحيتها الكثير من شخصيات المقرانيين.^{1*}

والحشم الذين هجروا إلى الحضنة² هم فرسان المقراني الذين ينتمون إلى قبيلة الحشم الهلالية والذين اختارهم احمد المقران خلال اشتراكه مع حسين بن خير الدين في افتكاك مدينة وهران عام 1563م، وأسكنهم سهل مجانية على سفوح جبل هريسان ،وأصبحوا بذلك مصدر فرق الحرس والحزم. كما ينتمي عدد من الحشم إلى أصول قبائل العريب التي كونت جماعة المخزن خلال الحكم العثماني بمناطق حمزة تحت قيادة عائلات المقراني.حتى عام 1871م.وبسبب مشاركة قوم الحشم القوية إلى جانب عائلة المقراني فقد تعرضت عائلاتهم إلى الفرار والمصادرة³ والتهجير نحو الحضنة وهم الأغلبية الذين عوضوا عن أراضيهم بمصادرة أخرى بمنطقة الحضنة و بركة و المعاضيد

1: كمال بيرم :مسالة تهجير قبائل الحشم بالحضنة بعد انتفاضة المقراني 1871 مرجع سابق .

2 -مثل الشيخ بورنان المقراني الذي قتل بالحضنة و دفن بها على اثر صراع وقع بين المقرانيين و عرش أولاد ماضي بإقليم الحضنة(A CArchive commune mixte de M'sila- M M);boite 94, dossier hachem,

2- -اغلب القبائل التي رحلت سنة 1876 الى الحضنة من مناطق سيدي امبارك و صنادة و العناصرومجانة ،أنظر : ACMM:B27, affaire hachem.

3 -CAOM:93/1645,colonisation du hodna,expropriations;1k/308,hachem hodna rapport 1884-1888.

اعتبرت ثورة المقراني 1871م أهم الثورات الشعبية التي اهتزت لها اغلب مناطق الجزائر الشرقية الوسطى فقد مثلت هيجان شعبي تلاحمت خلالها مختلف الاعراش مع عائلة المقرانيين وحشمها¹. ومن أهم المناطق التي انتفضت وأعلنت مشايخها الجهاد ضد فرنسا منطقة الحضة الواقعة في المناطق الداخلية للجزائر الشرقية وهي عبارة عن منخفض طبيعي محاط سلاسل جبال الحضة يتخللها شط الحضة الكبير. احتضنت اعراش الحضة عائلة المقرانيين في مختلف فترات الانتفاضة الى غاية نهايتها وبقدر هذا التلاحم كان رد الاستعمار عنيفا ضد هذه المنطقة بالقمع والمصادرة والتهجير والعقاب. لقد شهدت العديد من تقارير الضباط والقيادات الفرنسية بين سنوات 1871م- 1876م عن طبيعة الرد الفرنسي و معاملته للقبائل التي ثارت إلى جانب المقرانيين.

عملية نقل حشم المقرانيين وتهجيرهم بالقوة فيما بعد من إقليم مجانة وبرج بوعريريج بالهضاب العليا الشرقية للجزائر إلى منطقة الحضة بالمناطق السهلية الداخلية حملت جملة من الأبعاد الاستعمارية و مظاهر الحقد و الانتقام والعنصرية، و تساءلت آنذاك كثير من تقارير و مراسلات القادة الفرنسيين هل هي عملية تنظيمية لإدارة الحكم المدني

1-CAOM: 1K308,hachem rapport quotidien 1871-1876.

الجديد بالجزائر، أم هي عملية سياسية أم عملية انتقام جماعية للجزائريين؟

فإذا كانت عملية تنظيمية في إطار المصادرات الجماعية يرى قائد مقاطعة قسنطينة في تقرير 1876/3/22م أن الحشم الذين لهم أملاك بالتل يمكن مقايضتهم أراضي بالحضنة إلا أن الحشم الذين لا يملكون أراضي يمكن بقاؤهم بالتل كأجراء عند المعمرين الاوربين (النازحون من الالزاس واللورين).

و إذا كانت العملية سياسية يرى نفس الضابط أن القرار الحكمي الذي صدر في الفاتح جانفي 1876م الذي اعتمد اقتراحات مقاطعة قسنطينة المقدمة سنة 1874م يجعل العملية عامة تشمل كل سكان الحشم بدون استثناء. لان القرار في مادته الثانية بنص: (كل السكان الأهالي لعرش الحشم سوف يرحلون إلى أراضي الحضنة المتروكة من طرف قبائل أولاد معتوق والسوامع وأولاد علي بن خالد وأولاد يحي)¹ وان عملية ترك الحشم غير الملاك في أوطانهم يعتبر خرق للقانون الاستعماري

1 -Archive commune mixte de M'sila(A C M M);boite 94, dossier hachem,

في الملف قوائم اسمية لأناس الحشم المهجرين من مجانية ومناطق التل إلى مختلف مناطق الحضنة . انظر: بريم كمال ،مسالة تهجير قبائل الحشم بالحضنة بعد انتفاضة المقلاني 1871 مقال بمجلة العلوم الانسانية جامعة الامير عبد القادر بقسنطينة 2011

نفسه لان هذه الفئة تكون خارج العقوبة المفروضة على إخوانهم الملاك و عبارات التقرير تبرز بوضوح تام عن البعد الاستعماري الفرنسي لكل تشريعات و تصرفات القيادة العسكرية الفرنسية في الجزائر عقب وصول الاستعماريون الجدد إلى الحكم بعد هزيمة 1870م مع ألمانيا. .

فالعملية جمعت الهدف السياسي والإجراء العقابي معا ,كما جاء في تقرير قائد مقاطعة برج بوعريريج كما أن العملية تزامنت مع أحداث الحرب السبعينية بأوروبا ومسالة المهاجرين من الالزاس واللورين نحو الجزائر.

من الوجهة السياسية أرادت فرنسا القضاء على المقرانيين وأنصارهم باعتبارهم يمثلون خلافة وقيادة هامة واسعة من الجزائر الشرقية والوسطى وتفكيك عروش الحشم بإبعادهم عن مواطنهم وتشيتهم على دواوير مختلفة وعدم السماح لهم بإعادة ترتيب بيتهم السياسي¹ ومن جهة ثانية كانت في إطار التحضير لعملية استيطان الاوربين في شروط طبيعية وسياسية ملائمة.

من جهة أخرى كانت عملية الانتقام من سكان الحضنة الذين ساندوا انتفاضة المقراني في إطار تفكيك البني القبلية التقليدية للمجتمع الجزائري

1 -ACMM: B,90(rapport de chef de cercle de bordj bouarerdj

18/02/1876

الذي بقي يحتفظ بتماسكه الاجتماعي وتضامنه وظل خزان المقاومات الشعبية قبل 1871.

لقد اعتبرت سلطة الاحتلال الفرنسية أن الشيء الذي يجمع الجزائريين هو الأرض فسعت إلى القضاء على وحدتهم من خلال هذا الرابط الأساسي منذ 4 أكتوبر 1844م عندما صدر مرسوم " يحدد ويضمن الحقوق العقارية للفرنسيين¹ ثم تلاه سنة 1845م مرسوم يحدد حقوق مصادرة أراضي السكان الذين تركوا الأراضي والتحقوا بالمقاومة¹ واتصلوا بالمقاومين و كل من تخيب عن أرضه ثلاثة أشهر أو من اخترق أعمالا ضد فرنسا²

لقد مثلت هذه العملية نموذجا متأخرا لسياسة التفكيك التي بدأت منذ تطبيق قرارات المجلس المشيخي على عروش الحضنة 1867م و التي جعلت من ثورة المقراني الظرف المناسب لاستكمال تنفيذ القرارات ونزع الملكيات وتحويل ونقل الاعراش خارج أوطانها.

انعكاسات سياسة القمع و التهجير بالحضنة

1 Julien,(Ch,A): L'histoire de L'Algérie contemporaine 1871-1954.P.U.F, paris,p190

تتضمن الكثير من التقارير العسكرية الفرنسية التي كتب بين 1871م-1876م البعد الحقيقي لهذه العملية التي أثارت اشمئزاز بعض الفئات الفرنسية نفسها، لأنها خرجت عن نطاق المعاملات والأعراف الدولية المتعارف عليها إلى غاية هذه الفترة، ولأنها جاءت في ظرف دولي كانت فرنسا في وضع القهر والرجعة بعد حرب الوحدة الألمانية. هل يمكن اعتبارها مجرد رد على انتفاضة شعبية قد سبقتها عدة انتفاضات مماثلة في مناطق أخرى أم هل هي حكم المعمرين وسيطرة الطبقة الرأسمالية الاستعمارية التي وصلت الحكم بعد 1871م أمثال جول فيري وغيرهم ودور المكاتب العربية خلال وبعد ثورة 1871م. لقد أرادت فرنسا تحقيق جملة من الأهداف¹.

1- تحطيم روح المقاومة الشعبية و تلاحم الريف الجزائري مع القيادات المحلية أمثال المقراني وبومزراق والحداد. وهذا ما كتبه التقارير المتعلقة بإعادة تنظيم قيادة المقرانيين في الحضنة قبل انتفاضة 1871م

2- تفكيك القبائل التي مثلت سند المقرانيين وتشتيتها عن أوطانها وعدم ترك فرص لانتفاضات مماثلة مثل قبائل الحشم(و هي عملية

1 -ACMM: B,90(r apport de chef de cercle de bordj bouareridj 18/02/1876)1

تطبيقية لقرار المجلس المشيخي الصادر في 22/04/1863م الذي اعتبرت
فرنسا من خلاله أن الريف الجزائري من البدو الرحل هو خزان المقاومات
(الشعبية)

3-تهيئة الظروف الطبيعية لعملية توطين المعمرين الجدد النازحين
من الالزاس واللورين بعد حرب الوحدة الألمانية 1870م.(وقد أشار إلى
ذلك رئيس المكتب العربي لمركز برج بوعرييج الضابط Payen¹

1 Payen c :colonisation du Hodna ,in Recueil des mémoires de la société
archeologique du département de Constantine 1893 p 14

بيرم كمال:مسألة تهجير قبائل الحشم بالحصنة بعد انتفاضة المقلاني 1871 مقال بمجلة العلوم
الانسانية جامعة الامير عبد القادر بقسنطينة 2011
* يعتبر الضابط بايان payen احد ضباط المكاتب العربية الذين عينوا على مكاتب كل من
باتنة و برج بوعرييج منذ 1850 و هومن الضباط الذين اهتموا بدراسة اثار الرومان في الحصنة
و الاوراس وخاصة تيمقادو تتبع طرق الرومان القديمة وقدم مجموعة من الدراسات التاريخية و
الاثرية بعد ان جاب مناطق الحصنة والهضاب العليا و الاوراس و من ----ابحائه التي
نشرتها مجلة مجمع المعلومات حول المجتمع الاركيولوجي لمقاطعة قسنطينة بعنوان استيطان
الحصنة .و مقال حول معلومات اقامة مجموعة المدن الرومانية لمقاطعة باتنة الصادر في نفس
المجلة سنة 1857.

(-ACMM;B, 90,D1(installation des Hachems dans le Hodna
1876.مقال صدر سنة 1893 بعنوان استيطان الحصنة .و مقال حول معلومات اقامة مجموعة
المدن الرومانية لمقاطعة باتنة الصادر في نفس المجلة سنة 1857

4-الانتقام من القبائل التي ساندت المقراني بالحضنة بتثبيتها وتهجيرها ومصادرة أراضيها ومحطة أخرى لإقامة مناطق استيطان للاوروبيين (الكثير من هذه القبائل تم ترحيله إلى جزيرة كاليد ونيما الجديدة).

5-تكملة عملية التفكيك والتفتيت الاجتماعي والاقتصادي الذي شرعت فيه فرنسا منذ مرسوم 22 افريل 1863م المعروف بقانون المجلس المشيخي المتعلق بالملكيات العقارية .

6-التحكم و السيطرة على القبائل في إطار تنظيم جديد ضمن الحكم المدني والقضاء على التنظيمات القيادية التقليدية للمجتمع الريفي الجزائري .بحيث نقلت منطقة الحضنة المرحل إليها قبائل الحشم من قيادة المقرانيين والمكاتب العربية ضمن المحيط العسكري إلى قيادة البلديات المختلطة تحت سلطة المتصرفين الإداريين..

7-تحقيق انتقال الملكية العقارية للأوربيين بعد هجرة السكان الأهالي لأراضيهم خوفا من القمع الاستعماري وهذا ما يسمح بتطبيق أمرية 1 أكتوبر 1844 التي تسمح بانتقال الأراضي المهملة إلى الدولة الفرنسية .

8-ويبدو الهدف العنصري الذي يخرج عن نطاق الإنسانية كان الأكثر وضوحا في تقارير أوامر القيادات العسكرية الفرنسية بعد الإعدام والنفي والتهجير لقبائل الحشم و فرض غرامات الحرب .

تتكون عناصر الحشم المرحلين إلى الحضنة من عدة فرق تتوزع بين عدة دواوير إدارية غير التوزيع التقليدي المرتكز على الوحدة القبلية ، تم نقلها بالقوة وتوزيعها على عدة مناطق من إقليم الحضنة منذ 1876م ، وكانت هذه العناصر تقطن مناطق مجانية ، والعناصر ، وسيد مبارك ، وصنادة وهي أراضي تلية خصبة ذات طابع ملكية خاصة لهم و هذه الفرق هي¹ .:

حشم مجانية:- تتكون جماعة حشم منطقة مجانية من فرق:مقدم،مجانة، دار زيتون، أولاد خليف، بوكشاطة، القرية، حسناوة، خروبة، وقد قدر عدد المرحلين بنحو 526 نسمة وقد تم تنصيبهم بأراضي السوامع بالحضنة ومنحت لهم مساحة 8211 هكتار.

حشم العناصر:- تتكون جماعة حشم منطقة العناصر من فرق :حناشية¹ وهم أهل الأغلبية ، وأولاد شنيتي ،مقدم ،بليمور،،أولاد خلوف ،أولاد رياح ،بومرقد،العناصر

1 -ACMM;B, 90,D1(installation des Hachems dans le Hodna 1876).

سنارة،وقدر عددهم بـ 485 نسمة ثم تنصيب بأراضي الشلال بعرش أولاد ماضي في الحضنة في مساحة 10.988 هكتار¹

حشم سيدي مبارك:- تتكون جماعة منطقة سيدي مبارك من فرق: عين تاغروت،شويحة(التابعة لقيادة زمورة)بن أحمد ،علونية،سيدي مبارك،ريغا،زمورة،أولاد عكر، وضمت 280 عنصر تم تنصيبهم في أراضي السعيدة بعرش أولاد ماضي في الحضنة في مساحة 8541 هكتارا.

حشم صنادة:

4)-جماعة منطقة صنادة تتكون من فرق:مزيطه ،سيدي موسى،مجانة أولاد عجيل،الدواير،وضمت 223 عنصر تم نقلهم إلى أراضي الشلال بعرش أولاد ماضي في الحضنة في مساحة 6898 هكتار.

وقد بلغ مجموع الأراضي التي منحت لحشم المقراي بمختلف فرقهم بمنطقة الحضنة 34649 هكتار وزعت عليهم في عدة مواضع منها منطقة بوحامادو التي كانت تضم جزء كبير من عرش السوامع الذي ثار الى جانب

1-ACMM;B, 181, Dossier Hachemsتوجد قوائم اسمية للسكان الفارين من الحضنة

إلى مختلف المدن ضمن أرشيف بلدية الحضنة ضمن علب90-18

2-بيرم كمال :مسالة تهجير قبائل الحشم بالحضنة بعد انتفاضة المقلاني 1871 مقال بمجلة

العلوم الانسانية جامعة الامير عبد القادر بقسنطينة 2011,

المقرانين و موضع الشلال و موضع السعيدة التي يتواجد بها عرش أولاد ماضي و مواضع أخرى مثل المعاضيد .

أدت هذه العملية إلى تداعيات خطيرة مست العلاقات الاجتماعية لفتتي الحشم وسكان الحضنة، كما أفرزت واقع اجتماعي واقتصادي جديد أدى إلى إحداث خلل في استقرار وتوزيع السكان من جهة، وفي وتيرة النشاط الاقتصادي المرتبط بالأراضي التي مستها هذه العملية إلا إن هذه العناصر من جماعة الحشم لم يستقر بها المقام بأراضي الحضنة، ولم يحصل اندماج بينها وأهالي المنطقة لمدة طويلة مما دفع بأغليبتها إلى العودة في فترات منقطعة إلى أراضي التل بإقليم مجانة وسطيف و البرج لتترك مشكلا عقاريا قائما إلى ما بعد الاستقلال.

لقد كان لثورة المقراني انعكاسات اجتماعية جد مؤثرة على بنية المجتمع وتوزيعه الجغرافي وعلاقاته¹ أدت إلى فراغ بشري كبير حل بها عقب انتهاء الثورة وبداية عمليات المصادرة والمتابعة وإجراءات القهر الاستعمارية، ويشهد الفرنسيون أنفسهم لحجم التأثير الذي حل بالسكان بمنطقة الحضنة . فالضابط باين Payen الذي شغل منصب رئيس المكتب

1 -ACMM;B;171.(Lettre du Général de la sougeole à L'Administrateur de M'sila 10/06/1882). (Rapport caïd- Ouled -Hdiden 18/10/1902). et B224, D1 (Délibération Commission municipale 29/03/1888)

العربي لبرج بوعريريج بين 1860م إلى 1869م وكان من بين الضباط المهتمين بالتاريخ و الأبحاث الأثرية يؤكد في مقاله حول تعمير الحضنة بأن مقاطعة الحضنة خصوصا قد شهدت فراغا بشريا رهيبا أكثر مما شهدته منطقة مجانة نفسها التي كانت تمثل إقليم عائلة المقراني وحشمه ، ويذكر أن أغلب الأراضي التي كانت تعمرها وتسقيها عروش الحضنة قد وجدها جيش الاحتلال الفرنسي فارغة وتحت حرية تصرفه¹

كما أن عملية مصادرة الأراضي والأموال التي مست السكان والفرق التي وقفت إلى جانب المقراني وعرفت بالمنافقين قد أدت إلى عملية تهجير جماعي للسكان بإقليم الحضنة خصوصا من منطقة السوامع وأولاد عبد الله وأولاد ماضي حققت غاية وهدف فرنسا في إطار سياسة التشيت و التهجير و إيجاد مواطن ملائمة للمستوطنين الجدد من جانب التشيت كانت انتفاضة المقراني عامل هاما في هروب عروش الحضنة و ترك أراضيهم قبل حدوث انتقام الفرنسيين منهم. وسياسة التهجير التي اتبعتها فرنسا أدت إلى إلى انقسام عرش السوامع إلى السوامع اللقبالة الذين بقوا في منطقتهم الأصلية ببوحامداوا ، السوامع الظاهرة

1- ACMM;B, 90, D1, (Rapport du Djemaa des Hachems de douar Saida 28/12/1895.

الذين رحلوا إلى منطقة بياضه غرب الحضنة ويمثلون فرقة أولاد عبد الله.

كما قامت فرنسا بتهجير فرقة الدحادحية من عرش أولاد ماضي بسبب موقفهم من فرنسا وجعلت من الذين وقفوا إلى جانبها مثل أمير مشيخة أولاد معتوق الطيب دحدوح على رأس قيادة أولاد إبراهيم سنة 1872م ، قبل أن تتحول هذه القيادة إلى محيط بوسعادة العسكري ،ضمن محافظة الجزائر سنة 1874م¹ . كما أدت ثورة المقراني إلى هجرة عدد كبير من السكان الى شرق ووسط الجزائر و الحضنة وترك أوطانهم متجهين إلى مناطق في شرق ووسط البلاد² بحيث هاجر سكان عرش أولاد دراج وفرقة السوامع بدرجة كبيرة نحو مدن الشرق الجزائري مثل تبسة ، الشمره ، العلمة قاملة ووادي زناتي وعناية و الشريعة والسهول القسنطينية وحتى إلى تونس في حين هاجر سكان الخرابشة المعاضيد ونوغة نحو مدن الوسط كالعاصمة وبلاد القبائل واشتغلوا بها في أعمال البناء والمذابح والحمامات وغيرها .

كما انتقلت جماعات أخرى من عرش السوامع المرحلين من منطقتهم إلى مناطق سهول سيدي عيسي ومنطقة بالحوت بمحيط أومال "سور

1 -ACMM:B, 90,D1(rapport caid Boudiaf Sakhri caid Hodna occidentale 13/11/1890

2 Despois,Jeans;le Hodna, ,pp231.235

الغزلان". في حين تذكر بعض الروايات الشفوية انتقال بعض فرق السوامع الى تونس بمنطقة الجريد .

إن من مستجدات ثورة المقراني الاجتماعية بمنطقة الحضنة تهجير و تشتيت قبائل حشم المقراني بها ، بحيث هجرت بالقوة جماعات كثيرة من قبائل الحشم بعد أن صودرت أراضيها الخصبة وأملأها بالمناطق التلية مجانية وسيدي مبارك والعناصر وعين السلطان ومنحت لها أراضي بمنطقة الحضنة في السعيدة والشلال السوامع¹، وهي أراضي مصادرة أيضا من السكان الذين ثاروا مع المقراني ، وقدر عدد أفراد الحشم الآتين من مدينة مجانية نحو وطن الحضنة ب 526 فرد ، ومن سيدي مبارك نحو أولاد ماضي 285 فرد ومن العناصر 485 فرد .

خصصت لهم مساحة من الأراضي قدرت ب 34650 هكتار منها 8122 هكتار بأراضي بوحمدادو" السوامع" و 8541 هكتار بأراضي أولاد معتوق بالسعيدة و 17896 هكتار بدوار الشلال .

وقد ساد اسم الحشم على المقرانيين في الوثائق الإدارية والمراسلات وحتى الكتابات الأوربية ، ولعل هذا الإصرار من الإدارة الاستعمارية على تحول ما كان يطلق عليهم المقرانيين إلى الحشم دون ذكر اسم المقراني هو

¹كان مجموع الضريبة المفروضة على ناس الحشم خلال سنوات، (1878-1881)=
1530فرنك (Etat des impôts des Hachems) ACMM;B,90,D1

دليل على رغبة حقيقية في طمس هذا الاسم من ذاكرة السكان المحليين، لأنه يرتبط بحركة جهادية كانت قد لقيت صدى واستجابة واسعة منهم ودليل على الأسلوب الاستعماري في مواجهة رموز المقاومة الشعبية كي لا يكون اسمها عاملا في إعادة بعثها من جديد.

وبدأت عملية تهجير قبائل الحشم من التل إلى الحضنة منذ 1876 ، وامتازت بالطابع القهري والجماعي ، أدت إلى تفكيك هذه الجماعة عن أصولها، وفصلها عن أوطانها، فمثلت عملية جراحية استنزفت الكثير من قيمها الاجتماعية والاقتصادية وروابطها، وأثرت بذلك على مستقبلها وعلى مستقبل منطقة الاستقبال، بحيث أدت منذ 1876 إلى بروز مظاهر عدم الانسجام مع البيئة على أساس أن كل الأراضي التي منحت لهم أقل خصوبة ومرد ودية من أراضيهم المصادرة، ولأنها أراضي جلف تعتمد إلا على فيض الأمطار والسيول¹ وبالموازاة مع هذه المعطيات الجغرافية عمدت فرنسا على إرغام الحشم على اختيار العمل في هذه الأراضي أو دفع غرامات بكل صرامة تطبيقا لنص قانون 1874/10/01، الذي يخول الإدارة كراء أراضيهم للأهالي أو الاوربين دونهم².

إن عملية التهجير بالقوة ، أدت إلى بروز مظاهر عدم الانسجام لهذه

1 -ACMM;B, 90,D1(installation des Hachems dans le Hodna 1876

2 -CAOM:8h/43,hachem,hodna,rapport du 21/01/1877

الفئة بالمجتمع والبيئة الجديدة نظرا للتباين الكبير بين وضعهم كملاك أراضي خصبة في التل في ظروف زراعية ومناخية سهلة ومكانة اجتماعية مميزة وبين الوضع الجديد في الأراضي الرديئة في مناخ جاف ونقص في المياه وتشكيلات اجتماعية لم يألّفوا طبائعها وسلوكياتها. كما برزت مشاكل هذه الجماعة مع أناس المنطقة حول حدود الأراضي الممنوحة لهم في الوقت الذي بقيت فيما بينهم في المشاع حسب مواطنهم الأصلية، وانتقل الصراع الجديد الذي كان من المفروض أن يقع بين المحتل والأهالي إلى تنازع بين الأهالي الجزائريين حول الأراضي الرديئة بمختلف فرقهم تلية وحضنية.

فكثرت النزاعات حول توزيع هذه الأراضي وخدمتها وسقيها وإنتاجها وأدى على العموم هذا الوضع فيما بعد إلى بروز ما يسمى بمشكل أراضي الحشم بمنطقة الحضنة والذي مازالت تداعياته مستمرة الى يومنا هذا.¹

غير أن الوضع الجديد العام للمنطقة سهل تزايد فوضي التلاعب بالأراضي والتنازع في الملكيات في وقت شجعت فيه سلطة الاحتلال

1- معانيات عديدة لملفات ضخمة عبارة عن منازعات السكان الذين استوطنوا ارض الحضنة بعد 1871 مع الملاك الاصليين لها مع جماعة الحشم الذين منحت لهم فرنسا هذه الاراضي وما تترتال قضاياها عالقة الى يومنا هذا (وثائق بعض معانيات لملفات المنازعات العقارية بين اهل الحضنة و قبائل الحشم عند عدد من الخبراء العقاريين بالحضنة).

بقراراتها الانتقامية على العروش، استغلال الجماعات للأراضي التي اعتبرتها فرنسا متروكة، واحتلالها وبيعها، كما استغل الحشم الأراضي المعروفة بأراضي البايليك وقاموا ببيعها للسكان أو إيجارها¹. وعند عودة أهلها الفارين ظهرت المنازعات من جديد خصوصا أن جماعة الحشم لم يطول الزمن بهم في المنطقة وهاجروا عائدين إلى التل تاركين الأراضي بصفة إيجار أو خمس أو تعاون مع السكان المحليين.

أدت ثورة المقراني إلى إحداث تحولات عميقة في واقع السكان الاقتصادي والاجتماعي ، كما أن انتقام فرنسا من سكان منطقة الحضنة خاصة أدى إلى تحول في ملكيات الأراضي بين الناس ، أدى بدوره إلى التأثير على المردود الاقتصادي الزراعي والحيواني للمنطقة².

لقد عمدت فرنسا إلى سياسة التفكيك الاجتماعي للقبائل الوافدة على الحضنة من الحشم وقبائل المنطقة بعد أن أنهكتهم بضرائب الحرب القاسية بهدف إبقاء الأهالي في صراع مستمر فيما بينهم، فقررت منح الأراضي لمن يخدمها خمس سنوات بعد أن فر أصحابها بسبب مواقفهم المؤيدة للمقراني ، كما كانت قرارات استغلال الأراضي المتروكة عاملا مشجعا

1 -ACMM;B,90, D1(Affaire Hachems , Lettre 10-06-1882).

2- ACMM:B90, affaire hachem,rapport de l'administrateur de m'sila a monsieur le prefet de setif,29/09/1911.

لبعض القيادات المؤيدة من قبل فرنسا في احتلال أراضي العروش، مع بعض العائلات النافذة و المتعاونة مع فرنسا.

إن ما عرف بمشاكل أراضي حشم المقراني بمنطقة الحضنة، يعبر بصدق عن طبيعة الاحتلال الفرنسي وعن مخططاته لتفكيك المجتمع الجزائري وإبعاد أية نية للمقاومة الشعبية أو الثورة خصوصا بعد المشاركة الواسعة لسكان المنطقة إلى جانب المقرانيين في ثورة 1871 وكان من الطبيعي أن تظهر مشاكل متنوعة لجماعة حشم المقراني المرحلين من مجانة إلى منطقة الحضنة ، من حيث الواقع الجديد المفروض عليهم، نظرا للتباين الكبير بين ظروف معيشتهم والظروف الجديدة لمناخ و جغرافية الحضنة القاسية و الجافة .

ورغم أن الاحتلال وضع السكان المحليين وجماعة الحشم في موقف حرج إلا أن عوامل التضامن بينهما كانت أكبر وأبقت الصلة الروابط الاجتماعية بينهما بعيدة عن أي تأثير استعماري رغم آثار التفجير والتهجير والمصادرة والتشتيت التي لحقت بهما.

إن حشم المقرانيين أناس ذو ملكيات وأراضي خصبة في التل الرطب يقوم بزراعتها فلاحون بالخمس، فكيف يكون موقفهم من الأراضي ذات المردود الرديء بمحيط الحضنة وفي ظروفها القاسية، كيف يكون

اندماجهم مع أهل الحضنة المتعودين على الترحال والتنقل؟ وكيف يكون موقف الأهالي المحليين المنزوعة أراضيهم والمعطاة لأجانب عن منطقتهم، وهل يرضون بالعمل في أراضيهم السابقة كأجراء أو خماسة بعد أن كانوا ملاك؟.

إن هذه الأسئلة وكثيرة منها لا تجد أجوبة إلا من خلال العدد الهائل من مراسلات الإدارة وتقارير القياد وشكاوى الأهالي والمنازعات التي ظهرت منذ 1876 و مازالت مستمرة إلى يومنا هذا.

لقد طرح مشكل ترحيل جماعة حشم المقرانيين من مجانية إلى الحضنة سنة 1876¹ أنواع كثيرة من المنازعات والشكاوي منها ما تعلق بأحقية الأراضي المصادرة، و موضعها، وحدودها ومساحتها، ومياه سقيها، وخدمتها ومسائل انتقال هذه الملكيات، وعمليات الرهن والبيع، وخدمة السدود والسواقي وغير ذلك²

كما أن العملية التي امتازت بالطابع القهري جعلت أغلبية الحشم يعودون إلى مواطنهم الأولى ومناطق أخرى بعد سنوات قليلة من تاريخ

1-كتب ضابط المكتب العربي لبرج بوعريبرج PAYEN الذي كانت له سلطة ادارية على الحضنة سنة 1872 الى تناقل الفرنسيين اخبارعملية نقل جماعة الحشم المقرانيين الى الحضنة وقد استبعد حينها هذه المعلومات،انظرم (Payen, opcit) .

2 -ACMM;B,90, D1(Affaire Hachems , Lettre 10-06-1882.

ترحيلهم ليتركوا أنواع جديدة من المشاكل بين السكان المحليين من جهة والإدارة الفرنسية.

وبذلك تدهور الإنتاج الزراعي والحيواني لمنطقة الحضنة بصفة عامة، كما أن ظاهرة تغيب الحشم عن المناطق التي منحت لهم أدى إلى ظهور شكاوى حول عدم مساهمتهم في بناء السدود والسواقي التي تسقى منها أراضيهم الجديدة. مما دفع سلطة الإدارة إلى إصدار اعذارات من أجل الالتحاق بالأراضي أو حرمانهم منها نهائيا خصوصا وان الحشم كانوا ملزمين بدفع ضريبة سنوية للدولة الفرنسية منذ 1878 والتي لم يتم دفعها إلى سنة 1882 أو مصادرة أملاكهم ثانية ليتم كرائها لأهالي الحضنة أو الأوربين باستثناء الحشم¹.

وكان الوضع فرصة لسكان منطقة الحضنة في ضم الأراضي و الشروع في زرعها وخدمتها كما حصل لجماعة أولاد عبد الله في منطقة بوحمداد وجماعة أولاد ماضي بمنطقة السعيدة. ومن جهة ثانية ظهرت احتجاجات سكان إقليم الحضنة حول عدم منح الحشم الأراضي لهم لخدمتها بالخمس في الوقت الذي منحوها لأناس أجانب عن هذه العروش. وحين

1 -ACMM, B, 209, D, 2, Lettre du Préfet de Constantine au sous préfet de Sétif 23-02-1903.

نبحث في مختلف الوثائق والمراسلات ذات العلاقة بالموضوع يتبين كيف آل وضع سكان الحضنة من ملاك الأراضي الزراعية إلى طالبي العمل بالخمس عند غرباء المنطقة.

كما ظهرت مشاكل عقارية بين أهالي الحشم أنفسهم حول قسمة الأراضي التي أعطيت لهم في إطار أراضي عرش دون تجزئة أي في المشاع غلبت المفسدة على عملية التقسيم وأفسدتها عدة مرات مثل ما حصل لفرع الحشم أولاد سيدي موسى أولا خلوف - أهل بومرقد، الحنيشية أولاد الشنيتي أولاد ضباب.¹

وتشير أغلبية مراسلات المتصرفين الإداريين وأعوانهم ببلدية الحضنة وبلدية بريكة وبلدية المعاضيد، وهي البلديات التي استقبلت أراضيها فرق حشم المقراني، انه بعد سنة 1881 انقسم الحشم المرحلين إلى الحضنة إلى دوارين:

-دوار مجانة التابع لبلدية ألببيان المختلطة ، ويضم جماعة ستارة وسيدي مبارك وقمور والعناصر بليمور وهم تحت إمارة الشيخ الشريف بن ريغي إلى غاية 1887، و دوار سيدي مبارك التابع لبلدية المعاضيد.²

1 -ACMM: B90, D1 (rapport caid Hiden 27/09/1893) (rapport caid M'cif 12/01/1912

استمرت مشاكل أراضي الحشم إلى فترة ما بعد تقسيم الأراضي فيما بينهم التي تمت في 1902/11/02 وشملت ستة فرق من حشم المقرانيين هي فرقة أولاد سيدي موسى -فرقة أولاد خلوف - أهل بومرقد - أولاد الحنايشبة -أولاد ضباب -أولاد سيدي مبارك وهذه الفرق كانت موزعة في الأراضي التي منحت لهم بمنطقة الشلال بالحضنة وكان معدل نصيب كل عائلة من الأراضي بين نصف جابدة إلى 2 جابدة.¹

لم يكن للسلطة الاستعمارية دور في حل المشاكل المستجدة و المنازعات بقدر ما كان حرصها على تحصيل الإنتاج والغرامات المفروضة على هذه الأراضي، و رغم انسحاب أغلبية حشم مجانية من الحضنة في العقد الثاني من القرن العشرين فقد برزت مشاكل من نوع جديد، ذلك أن الأهالي المحليين تنازعوا حول أحقيتهم في هذه الأراضي من جهة وفي حدودها من جهة ثانية بعد عمليات الرهن والبيع المتعددة التي عمت بين الحشم وبين سكان البلدية.والتي جعلت معظم الأراضي تستمر بورا دون استغلال، وكان من نتائج هذا الوضع تقلص الإنتاج الزراعي للمنطقة ، وتغير ملامح البيئة المحلية باندثار النباتات الطبيعية وارتفاع

1 – ACMM;B, 90, D1, (Rapport du Djemaa des Hachems de douar Saida 28/12/1895.

-الجابدة بمنطقة الحضنة عامة تعادل حرث يوم بالحصان وما تزال مستعملة الى اليوم.

حجم الملوحة في هذه الأراضي بعد حرمانها من السقي والاستغلال¹. خلاصة إن مسالة قبائل حشم المقراني بعد ثورة 1871، وان لم تحضي بالدراسة الوافية تظل تمثل ذلك الواقع الاجتماعي الذي آلت إليه كل أبعاد السياسة الاستعمارية الفرنسية خلال احتلالها للجزائر، وقبائل الحشم مثال لقبائل عديدة منها ما رحل بالقوة ومنها ما ارتحل خوفا من القوة كقبائل بني عامر بالغرب الجزائر بعد مقاومة الأمير عبد القادر وقبائل السوامع بالحضنة بعد انتفاضة المقراني .

وهي وجه واحد لوقع الاحتلال الأوربي وسياسات الردع والتفكيك الاجتماعي فترة الاستعمار التقليدي الأوربي الحديث التي أرادت من خلالها فرنسا الاستعمارية تحويل الأرض و المجتمع الجزائري عن أطره التقليدية و موروثة الحضاري لتحقيق عملية الطمس و الاستلاب التي فشلت فيها من خلال السياسات و المشاريع و التشريعات المختلفة منذ احتلالها الجزائر 1830 .

لقد كانت لثورة المقراني انعكاسات اجتماعية جد مؤثرة على

1 -ACMM:B181,dossier hachem,rapport des caid des douars

20/01/1898

بنية المجتمع وتوزيعه الجغرافي وعلاقاته¹، فقد أدت إلى فراغ بشري كبير حل بها عقب انتهاء الثورة وبداية عمليات المصادرة والمتابعة وإجراءات القهر الاستعمارية، ويشهد الفرنسيون أنفسهم لمدي التأثير الذي حل بالسكان بمنطقة الحضنة . فالضابط باين Payen يؤكد في مقاله حول تعمير الحضنة² بأن مقاطعة الحضنة خصوصا قد شهدت فراغا بشريا رهيبا أكثر مما شهدته منطقة مجانة نفسها التي كانت تمثل إقليم عائلة المقراني وحشمه ، ويذكر أن أغلب الأراضي التي كانت تعمرها وتسقيها عروش الحضنة قد وجدها جيش الاحتلال الفرنسي فارغة وتحت حرية تصرفه .

كما أن عملية مصادرة الأراضي والأموال التي مست السكان والفرق التي وقفت إلى جانب المقراني وعرفت بالمنافقين، وحتلى التي لم تشارك في الثورة وبالنظر الى ان فرنسا قد عمدت العقاب الجماعي ، فقد أدت هذه الاجراءات الى عملية تهجير جماعي للسكان خصوصا من منطقة السوامع³ وأولاد عبد الله وأولاد ماضي حققت غاية وهدف فرنسا في

1 -Julien,(Ch,A): L'histoire de L'Algerie contemporaine 1871-1954.P.U.F, p190.

2 -Payen:colonisation du Hodna, op.cit, p 142.

وقعت قبل 1871 عدة هجرات لسكان عرش السوامع ،بحيث اشارت بعض التقارير الفرنسية الى ان اولى هجراتهم كانت في اعقاب مشاركتهم في انتفاضة الشيخ بوخناتاش سنة 1860 ثم في

إطار سياسة فرق تسد. بحيث أدت العملية إلى انقسام عرش السوامع إلى السوامع اللقبالة.

اثار الاستيطان الأوربي الاجتماعية و الاقتصادية بالحضنة

قبل استحداث أول مركز استيطان بإقليم الحضنة حاولت السلطات الاستعمارية حصرًا للظروف اللازمة لذلك من جميع النواحي، الاجتماعية والاقتصادية و السياسية و الدينية. إلا أنها خلصت في البداية ان منطقة الحضنة ككل ليس لها مكانة لاستيطان الأوربيين بقدر ما يكون وجود الفرنسيين بها كعامل تدخل لتحسين اقتصاد الأهالي في إطار إدخال بعض الزراعات الجديدة على المنطقة كالزيتون و تربية الأبقار.¹

و بعد الدراسة المتأنية خلصت لجنة إنشاء مراكز للاستيطان إلى اختيار مدينة الحضنة كمركز لاستقبال المعمرين الأوربيين و قد اعتمدت جملة من المعطيات أهمها:

اعقاب انتفاضة عرش اولاد ماضي التي تزعمها قائد السوامع ابراهيم بن عبد باله ،ثم شهدت سنة 1871 اكبر هجرة لسكان السوامع نحو مناطق مختلفة من الوطن، (CAOM:8h22,liste des souamaa qui ont quites le hodna, rapport annuel 1872).

1-Lucien paul victor: la colonisation dans le hodna,in Annales,(economie,societes,civilisations) volume 10,année1946,p411.

1- موقع المدينة الوسيط الواقع على وادي القصب الهام و الذي من شأنه توفير مياه سقي أراضي الكولون¹

2- طبيعة الأراضي المخصصة لمراكز الاستيطان المقدرة بـ 4500 هكتارا وهي من مجملها أراضي صودرت من الأهالي عقب انتفاضة 1871 و جزء من هذه الأراضي كانت ملك البايليك العثماني. و إذا اقتضى الأمر رأت اللجنة بإمكان الإدارة الاستعمارية مقاضية أصحاب الأراضي المحاذية لمركز الاستيطان من عروش أولاد ماضي، و أةلاد منصور و المطارفة و أهل الحضنة بأراضي أخرى في مناطق خارج الحضنة.

3- من جانب الأمن فإن مدينة الحضنة تحولت إلى مركز عسكري سوف يدعم بفرقة درك.

4- من جانب الصحة، فقد اعتمدت الإدارة على تقارير العسكريين التي استخلصت المميزات المناخية للمنطقة و مدى انتشار الأمراض و الأوبئة و التي تقع عادة بين جويلية و سبتمبر²

5- و من الجانب السياسي كانت الإدارة الاستعمارية تريد من وراء تكوين مركز استيطان بالحضنة القضاء على دور و مركز المدينة الديني التي

1- ACMM : B- programme général de Colonisation 12/01/1886

2 - Ibid.

كانت تمثل محطة تأثير للمرابطية و الزوايا باعتبارهما مدينة ذات اشعاع حضاري قديم و مدينة و سيطرة للمدن المحيطة بها كأومال و بوسعادة و البرج¹

6- من جانب التجارة تعتبر عملية نقل المنتوجات الفلاحية و الحيوانية التي تزرع بها الحضنة سهلا بإنجاز الطريق نحو البرج.

- لقد أجمعت التقارير الإدارية و العسكرية على أهمية الحضنة كمدينة حضارية قديمة و يحكم أراضيها و مياهها و أرادت أن تكون بذلك موطن لقدم أول دفعة من المعمرين (40 عائلة ب 100 هكتار لكل عائلة على أن يتم التوسع لاحقا حسب مردود زراعت الحبوب المسقية.

- كما حاولت اللجنة دراسة الشروط الأمنية الضرورية لمركز الاستيطان من حيث توفر مراكز الدرك و آبار المياه الشروب و توسعه مدينة الأوربيين مع مركز الخاص بإدارة و قررت اللجنة قيم النفاق ب 180 ألف فرنك فرنسي.²

1 – ACMM : B90:– programme général de Colonisation 12/01/1886

2 –ACMM: B. 90: Colonisation de M'sila, programme général de colonisation 1886

إن عملية اختيار الحضنة كمركز للاستيطان إنما جاء بعد فشل مشاريع إقامته في مناطق مختلفة من الحضنة، مثل مشروع منطقة بومقر جنوب غرب نقاوس سنة 1882 التي تعذر فيها إقامته بها لعدم اتساع المساحة المطلوبة للمعمرين كما فشل مشروع إقامة المستعمرة بنقاوس نظرا لصعوبات أخذ الأراضي التي يملكها الأهالي كما أن أهمية الحضنة كمدينة وحيدة في إقليم الحضنة بكاملها يستحق اسم المدينة، ولدورها التاريخي وموقعها الجغرافي ووقوعها على مجرى وادي القصب جعل تقارير ما يعرف آنذاك باللجان الخاصة بالمراكز (Commission des centres) تختار مدينة الحضنة لإقامة مركز استيطاني بعد فشل مشاريع تكوينها سنة 1882¹. وألحت في نفس السياق على ضرورة إنشاء سد بالحجارة على وادي القصب مدعمة بتقارير المهندسين والجزء

إلى غاية 1912 لم تشهد الحضنة حركة استيطان الأوربيين إلا نسبة تكاد تكون ضعيفة جدا مقارنة مع المناطق التالية المجاورة كبرج بوعريريج، و يمكن اعتبار المقومات الشعبية التي شهدتها المنطقة منذ بداية الاحتلال لها 1840 كانت أهم العوامل التي أخرت و حالت دون استقرار الأوربيين بالمنطقة، كما عليه اعتبار استمرار الحكم العسكري إلى غاية 1885 كان من بين الأسباب التي أخرت العملية قبل القرن العشرين.

1- Despois,(J):op-cit,P373

قدم المهندس و الخبير ماريو فيفارس Mario Vivares¹ مشروع استيطان الحضنة منذ 1890 بعد دراسة مستفيضة لنتائج الأبحاث التي قام بها الضباط و الباحثون حول مسائل الأرض و المياه بالحضنة الغربية²، إلا أن الإدارة المحلية لم تأخذ المشروع بعين الجد قبل أن تعود اليد بعد 1920.

حاولت أول إدارة وضعت ببلدية الحضنة المختلطة التي دخلت الحكم المدني قبل غيرها من مناطق الحضنة الغربية، أن يهيئ الظروف اللازمة لمركز استيطان الأوربيين في أول تقرير كتبه في 1886/12/14، و للإشارة فإن ثورة المقراني 1871 بالنسبة للحضنة الغربية كانت معلومة لأنها تشكلت سندا قويا لانتزاع الأراضي الحضرية و المسقية من الأهالي لتوزيعها على المستوطنين القادمين³، ومركز الاستيطان الفرنسي بالحضنة قد تم إنشاؤه منذ 1920 بعد أن خصصت الإدارة مجموع 24 قطعة من 128-62 هكتار للبيع ثم تجمعت القطع في 9 قطع للمعمرين التسع

1 – CAOM : 2 l6 Mario vivares Colonisation de Hodna 1900

2 مثل المهندس سافورنان Savornin الذي قدم دراسته وافية حول الآبار و هيدرو لوحية الحضنة و هي دراسة مدعمة بخرائط محفوظة بأرشيف بلدية الحضنة المختلطة، و كذا دراسة بايان payen في دورية المجمع الاركيولوجي لقسنطينة 1893، وفيل ville حول الآثار الرومانية المتعلقة بالسواقي والسدود انظر. (receuil de constantine 1864,1893)

3- لم يزد عدد الأوربيين بكامل الحضنة سنة 1886 عن 9 أوربيين فقط يمثلون الهيئة الإدارية الحاكمة و أعوانها من مجموع سكان الحضنة البالغ عددهم، 21578 ن ACMM. B.213 (rapport de l'administrateur 14/12/1886).

قدّرت الإدارة المساحة الأولية المخصصة لمركز الاستيطان ب 5000 هكتار منها 2690 هكتار، أراضي دومين لمحيط المستعمرة، 2200 هكتار أراضي تابعة للحكم العسكري بالقرب من الحضنة كما وضع المتصرف الإداري إمكانية ضم 3000 هكتار من الأراضي الحضرية المحيطة بساتين الحضنة مع إمكانية ضم 1336 هكتار أخرى تخصص لزراعة البقول.

كان تقرير أول متصرف يكشف بوضوح الروح الاستعمارية التوسعية، فكان ينظر إلى الأراضي و كأنها مساحة ليس لها ملاك و أن مسألة أخذها لا تحتاج لانشغال الإدارة بالسكان الذي تنزع منهم لأنه كان يعتقد أن الأراضي التي تعوض لهم عن أراضيهم في نفس الجودة¹.

و خلال حكم جونا ثم مناقشة الاستيطان بالحضنة بين السيد كيتولي M.P,Cuttoli و الحاكم جونا الذي طلب في المتصرف الإداري تسوية مسألة المصادرة و التعويض بالطرق المقبولة للأهالي و المعمرين² وهذا

1 - من مفارقات التقارير الفرنسية أن الوثيقة بها خط أحمر على الجملة التي علق عليها أنها خطأ و أن هذه الأراضي التي تمنح للأهالي هي أسوأ من أراضيهم (نفس المرجع)

2-L'ECHO d'Alger : les Demarche de M.P. cuttoli(colonisation dans la region de Bordj Bouariridj 12/01/1906

مالم يقيم به المتصرف الذي صادر أكثر من 5000 هكتار من أجود الأراضي الخاصة بالفلاحين لأهالي المنطقة.¹

أرغمت الإدارة الاستعمارية كبار ملاك مدينة المسيلة على توقيع اتفاقية في 1909 في إطار تبادل لأراضيهم الخصبة المسقية بسد سايح الغربي مقابل أراضي أقل جودة بسباع القبلي و مزيرير و قرفالة² *

وبعد أن تعطلت عملية تعويض الأهالي من 1909 الى 1913 ، قام الأهالي بتقديم عدد من الشكاوي الى والي قسنطينة من أجل أخذ حقوقهم ، أقدمت الإدارة بإصدار قرار مدوالة مجلس البلدية (1913/03/12) القاضي بتخلي جماعة الحضنة عن الأراضي مقابل 10 فرنك للهكتار الواحد³ .

1-أنظر الملحق عريضة سكان المسيلة المصادرة أملاكهم سنة 1912/09/20 إلى حاكم قسنطينة.

2 -ACCM : B.115 : Prpgramme de colonisation du Hodna 16/03/1909.

*من بين العائلات المنزوعة أراضيهم 44 عائلة من المسيلة منهم : بن عزي أحمد - بن لبصير محمد الشلالي ، جناب جلول بن حسيني ، محمد بن حدياش ، أمير بن الحاج ، حسين بن شكار ، زكار العربي ، بن العيفة ، جعفر أحمد بن محمد ، وعواع أحمد بن النوي ، كوكة ، لدغم شيكوش أحمد باي انظر كمال بيرم :الاحتلال والمقاومات:مرجع سابق.....)

3 -ACMM :, Délibération du commission munisipale 12/03/1928.

في دراستنا لمداولات اللجان المالية الخاصة بالأهالي و المعمرين وجدنا الكثير من المناقشات حول مسألة تشجيع الاستيطان بالحضنة، وقدم المعمرون في مساءلاتهم للحكومة قضايا توفير المياه وشق القنوات¹ و بناء السدود²، كان قرار الحاكم العام الخاص بالاستيطان بالحضنة (04/جويلية 1924) هاما بالنسبة للمنطقة التي اعتبرها من المناطق الملائمة جدا لاحتضان عدد كبير من المستوطنين وقد اختارت اللجنة الإدارية منطقتين أساسيتين لتكوين تجمعات سكانية للمستوطنين الأوروبيين، الأولى تكون ضمن الأراضي التي منحت لحشم مجانية بدوار السعيدة بعرش أولاد ماضي إلى أراضي مسيف و الثانية بمنطقة سلمان و أولاد عدي لقبالة إلى أراضي المرابطين الجرف بعرش أولاد دراج، المنطقة الثانية ارادتها الإدارة أن تكون مركز أول للأوروبيين بعد أن عاد الحشم المقرانيين إلى التل بعد أن هجروا إلى الحضنة سنة 1976 و تركوا الأراضي بدون عمل (لكن تناست الإدارة أنها للأهالي في إطار اتفاقية خدمتها مع الحشم) و تزيد مساحتها عن 15646 هكتار .

1 -Délégation Financiere, Délégation des colons sessions , 1928

PP(145, 146, 214, 215, 216)

2 -Assemblées Financieres algériennes, N°2 , Délégation des colons, administrative , victore Heintz Alger , 1928 .

لا يرى تقرير المتصرف الإداري أية عيوب من مصادرة ثانية لحشم المقراني للأراضي الممنوحة لهم بالحضنة والتي مجموعها 33746 هكتار¹ بحيث يمكن مصادرة 15645 و الباقي هو كاف لسد حاجيات قبال الحشم حسب رأيه ، كما يرى المتصرف أن عملية المصادرة هذه أصبحت معقولة و أجرا مقبولا باعتبار الحشم لا يعيشون فيها ، وأن أغلبهم يؤجرون أراضيهم للفلاحين من أهالي الحضنة الغربية أو الأجانب و يعتمد التقرير في ذلك الى عملية تأجير فرقة الحشم من صناعة و أولاد سيدي مبارك أراضيهم لفرقة العمارات بعرض أولاد ماضي الحضنيين ، و أن أغلب الحشم لا يأتون الى الحضنة الا مواسم الحصاد لأخذ نصيبهم .

أما مركز الاستيطان الثاني فاقترحت الإدارة المحلية أن يكون بمنطقة سلمان في الأراضي المسقية التي تقدر مساحتها بـ 8440 هكتار². و قد أشارت التقارير الفرنسية ان كل مشاريع الاستيطان بمنطقة الحضنة اصطدمت بمدى وفرة المياه لسقي الأراضي الزراعية ، فكانت مسألة بناء السدود من أكثر اهتمامات و انشغالات الفرنسيين ،

1 -ACMM :, rapport administrateur de commune mixte de M'sila
19/08/1921 .

2 -ACMM :, lettr(e de l'administrateur au sous prefet de sétif,
15/12/1921.

وهذا ما دفع الإدارة الى اعتماد المشروع القديم للمهندس فيقاراس 1900 ، وبذلك قدم مهندس الأشغال العمومية لسطيف مشروع بناء لسد القصب بطاقة 40 مليون م3 ، يقام عند منطقة الحمام بكاف مطرف على سلاسل جبال الحضنة يكون مركز الاستيطان بالحضنة من أهم أولوياته وقد قدم هذا المشروع منذ 1929¹ .

وفي الحقيقة مشروع بناء السد القديم يعود الى 1897 عندما اقترح المعمر توشار touchard بناء سد على واد القصب بطاقة تخزين 30 مليون متر3 لسقي 1000 هكتار من أراضي المعمرين .

ثم جاء مشروع فيقاراس vivares مستوحيا من آثار قنوات الري الرومانية التي كانت تسقي ما يقارب 100 ألف هكتار. وخلال سنة 1899 قدم فيغاراس مشروع منطقة الحضنة تمثل طلب تأسيس شركة فلاحية برأسمال 2500000 فرنك لإستثمار قطع زراعية مسقية بمنطقة المطارفة وأولاد منصور بمساحة 7800 هكتار و قدم مشروع بناء سد على وادي القصب عند كاف مطرق ، مع حفر آبار أرتوازية عديدة على سفوح شط الحضنة

1 -Délégation financière session 02/05/1931 et rapport de Thirion Directeur de L'agriculture de M'sila 20/05/1931.

ويمكن اعتبار سنة 1912 الانطلاقة المحتشمة لمركز الاستيطان الأوروبي بالحضنة من خلال توزيع الأراضي على المعمرين الجدد في شكل ضيعات تقدر بين 100-120 هكتار ، والا أن الحرب العالمية و المصاعب المناخية التي شهدتها الحضنة دفعت عدد من المعمرين الى العودة و الهجرة الى الشمال .

تعتبر سنة 1929 انطلاقة هامة لحركة الاستيطان لأنها ارتبطت بتداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية التي دفعت بعدد أكبر من المعمرين الى الاستيطان بمنطقة الحضنة و بوسعادة و هذا ما دفع الادارة المحلية الى التفكير الجدي في تحسين وسائل الانتاج الزراعي الذي كانت السدود من أهم أولوياته¹.

لم يكن لسياسة الاستيطان الفرنسية انعكاسات سلبية على الجانب الاقتصادي فحسب ، بل كان لها آثارها الاجتماعية و النفسية ، وإذا نعالج هذه السياسة الاستعمارية نحتاج الى وقفة أمام الآثار المترتبة على تطبيق هذه السياسة و انعكاساتها السلبية على الأهالي :

1 -Délégation des colonisations, session, 19/06/1922- session de 23//06/1924.

1. أدت حركة الاستيطان إلى هبوط عجيب في تربية الماشية التي كانت تمثل المصدر الأساسي لثروة الأهالي خاصة من البدو الرحل لعرش أولاد دراج و أولاد ماضي و أولاد سيدي حملة ، بسبب تحول أراضي الجماعة إلى الدومين أو البلديات المصادرات الجماعية ، فتعطلت الأنشطة التقليدية المرتبطة بالماشية ، وتقلصت حركة قطعان الماشية الموسمية من الشمال إلى الجنوب و العكس كان لهذا الوضع تردي في حركة تجارة الماشية و اللحوم و الأصواف و الجلود و الأنشطة المرتبطة بها كالدباغة و الصباغة و الصناعة الجلدية و غيرها .

2. أدى هذا التحول في وسائل الإنتاج من الأهالي إلى المعمرين إلى تقسيم الملكيات الجماعية و ازدياد عمليات البيع و المضاربة و تحول الملاك الفلاحين إلى الخماسة أو أجراء عند المستوطنين الجدد .

3. دفع وضع الأهالي الجديد في ظل سيطرة الأوروبيين إلى ظهور وسيطرة فئة المضاربين و الربويين الجدد ليس على الأراضي فحسب بل في القروض و الرهن وما إلى ذلك .

4. نمو الرأسمالية الأوروبية وسيطرة المكننة على حساب المؤسسات التقليدية القبلية التي كانت تساعد الفلاحين وطغيان نشاط

شركة الاحتياط الأهلية الاستعمارية على السوق المحلية للحبوب
و الماشية في ظل تحالف مع المعمرين المضاربون .

5. ازدياد فئة الأجراء و الخماسة حتى بالنسبة لبعض ملاك الأراضي
بعد حجزهم عن خدمتها نظرا لعوزهم و فقرهم الناجم عن
مختلف السياسات الاستعمارية في حق الأهالي .

6. سيطرة المعمرين على منابع المياه وقنوات الري و حرمان الأهالي
منها مثل سيطرة المعمر فورني على عملية توزيع و بيع مياه
السقي انطلاقا من السد الذي بناه في أعالي مياه وادي القصب .

الفصل الرابع:

اثر السياسة الاستيطانية الفرنسية على الحضنة اقتصاديا

المعطيات الجغرافية لإقليم الحضنة

ينتمي إقليم الحضنة جغرافيا و مناخيا إلى منطقة الحضنة التي تنتمي بدورها الى السهول العليا المحصورة بين السلسلة الجبلية و المرتبطة في الشمال بالبحر ،و في الجنوب بالصحراء أو ما يسمى بإقليم النجود الذي يشمل كامل المنطقة الممتدة بين الأطلس التلي و الصحراوي ، و يتجه عموما من الغرب إلى الشرق.وتعود معظم ترسباته إلى الزمنين الجيولوجيين الثاني و الثالث ،ويزيد ارتفاعه على مستوى سطح البحر إلى 1200 متر،وتشكل منطقة الحضنة رأس هذا المثلث الجغرافي الذي تعد منطقة الحدود المغربية الجزائرية قاعدته¹.

لقد اختلف الباحثون في الفصل بين كون إقليم النجود الذي تنتمي إليه منطقة الحضنة عامة سهولا أم هضابا، بسبب أن البحوث بشأنه قمت على أساس التكوينات الرسوبية الحديثة، التي جلبتها السيول المنحدرة من الجبال المجاورة لهان حيث كانت تغطي هذه السهول المرتفعة و حولتها إلى هضاب عليا.

1-حليمي عبد الفادر: جغرافية المغرب العربي،الطبعة الاولى، منشورات دار المعارف،وهران،1968،ص 12.1.

لذا تكتسي سهول الحضنة أهمية بالغة ليس فقط لأنها منطقة اتصال طبيعي إستراتيجية بين سكان التل وعالم البدو الرحل ،بل أيضا لأنها من أهم المناطق الحضرية التي ترك فيها الإنسان المغربي بصماته منذ عصور ما قبل التاريخ.يتمركز إقليم الحضنة حول منخفض طبيعي يقل عن 400م عن سطح الارض كما يعد شط الحضنة او شط الحضنة واحيانا عرف بشط السعيدة من أهم الشطوط و الأحواض أو السباح التي تتخلل الإقليم الشمالي من الجزائر و تتركز بالأخص في منطقة الالتقاء بين الإقليم الصحراوي الجنوبي والتلي الشمالي و يتميز شط الحضنة بالاتساع الكبير مقارنة بغيره و بالملوحة الشديدة لمياهه.و ينتمي إقليم الحضنة مناخيا إلى إقليم السهوب شبه المداري الجاف فهو أكثر تأثر بالمؤثرات الجوية البحرية في الشمال و الصحراوية بالجنوب وتتناوب المؤثرات الصحراوية المتطرفة في الجفاف من جهة و البحرية المعتدلة من جهة ثانية

و قد أدت هذه العوامل الطبيعية و المناخية إلى سيادة المناخ المتذبذب شبه الجاف و الذي تطبعه قلة التساقط من جهة ،وارتفاع تأثير التعرية لسطح الأرض ، و قد ساهم الجفاف كثيرا في تحول كثير من أراضيها الزراعية إلى أراضي رملية قاحلة .

و الجدول التالي رقم 1 يبين معدلات سقوط المطر بمنطقة
الحضنة بين سنوات 1930 إلى 1954-¹

1940	1939	1938	1936	1934	1932	1930	
200	300	175	225	275	225	125	الكميةم

1954	1950	1947	1946	1945	1944	1943	1942	1941
275	225	300	150	75	150	200	125	100

وارقام الجدول لها دلالتها في تأثير عامل المناخ على المظهر المورفولوجي
لاقليم الحضنة ككل.

واسم الحضنة مشتق من الاحتضان ،وله دلالة جغرافية أكثر من غيرها
،وقد غاب هذا الاسم في الكتابات التاريخية الوسيطة،و يرجعه الباحثون
إلى الفترة المتأخرة من الحكم العثماني، و قد أطلقه أهالي المنطقة على

1- كمال بيزم:مدخل الى تاريخ المسيلة،مرجع سابق صص9.15.

السهل الواسع الذي يمتد نحو السبخة المالحة للمسيطة أو ما يطلق عليها أيضا بشط السعيدة نسبة إلى دوار السعيدة .وتمتد هذه السبخة من الشمال إلى الجنوب بين سلسلتين جبليتين تكونتا مع جبال البيريني في أوربا¹ هما الأطلس التلي والصحراوي اللذان يحتضنان السهل،وموقع الحضنة الذي تبدو فيه محاطة بحزام جبلي في شكل قوس من الاوراس وجبال بلزمة من الشرق إلى جبال ونوغة غربا عبر جبال بـوطالب و المعاضيد شمالا إلى جبال بوكحيل جنوبا و التي تتصل بجبال بوسعادة و جبال سالات ،تشكل حدودا جغرافية بين المناطق المتوسطة التلية،والسهول السهبية والصحراوية للحضنة والزيان، إن امتداد المياه من منابعها من جبال التل نحو الحضنة جعل الصلة والترابط بين سكان الجبال والسهول مستمرا،لذلك استمرت الحضنة منطقة عبور بين الشمال والجنوب والشرق والغرب جامعة ما عرف بإقليم الجزائر الشرقية².

وتبدو منطقة الحضنة كمنخفض طبيعي ذو سمات وخصوصيات مميزة،بحيث . يرتفع علو جبالها إلى 1400م وتعلو أحيانا إلى 1800م

1- Savournin,(J):L'hydrologie du Hodna, Bulletin du service de la carte Géologique de l'Algérie, imp. Adolphe Jourdan, Alger, 1908, p35.

2 - Despois,(J):La Bordure Saharienne de l'Algérie orientale ,in RA,1942,p196.

تربط بين الأطلس التلي والصحراوي بجمال ببيان الحديد¹، من جهة الغرب إلى جبال الاوراس من الشرق مرورا بجبال الحضنة وبلزمه والمعاuid بوطالب المحاذية للسهول القسنطينية التي تعلو بين 800-1100م التي تتصل بالحضنة بفتحات ضيقة، ومن الجنوب جبال بوسعادة وجبال أولاد نايل التي ترتفع إلى حدود 1600م، كما تنفتح في الجنوب سلسلة الزاب الصغيرة لتترك ممرات واسعة نحو الصحراء لتربط الحضنة بواحات الزيبان². وبين هذه السلاسل الجبلية يقع منخفض شط الحضنة بمناطقه السهلية.

إن المظهر المورفولوجي لإقليم الحضنة يعطي، الانطباع بوجود خصائص جغرافية نادرا ما يشاركه فيها إقليم آخر بشمال إفريقيا لا من حيث مظاهر السطح والمناخ أو النشاط الاجتماعي، فحوض الحضنة بموقعه المنخفض لا يجد متنفسا له سوى من الجهة الغربية حيث السهول العليا التي تسمح بمرور المؤثرات الغربية الرطبة وبوجود سبل الاتصال البشري التي اتخذت من الوديان مسالك كما هو شأن وادي

1- Shaw,(D); Voyage de Mr Shaw MD dans plusieurs Provinces de la Barbarie d'Alger et de Tunis, T1, imp, A de la Hâte Jean Neaul me , p128.

2- Despois,(J) :Le Hodna , Presse Universitaire de France, 1953, p7.-

بريكة، ووادي القصب ووادي اللحم التي تكون معابر رئيسية بين الحضنة والتل.

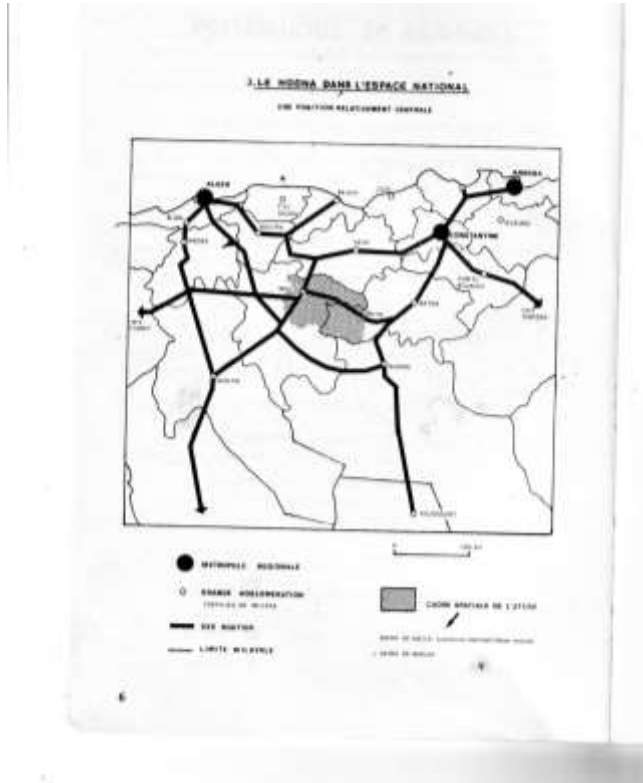
كما ساهم تقطع مرتفعات الزيبان في ظهور معابر سهلة بين إقليمي الحضنة والزيبان حيث جعلت الإقليمين مرتبطين على مر العصور، وتركت ممرات أولاد نايل مع جبال الزاب طرقاً أساسية بين شمال الصحراء وحوض الحضنة وربطت الصلة بينهما. وهذا ما جعل الحضنة منذ عهد الرومان منطقة حدودية محاذية لخط الليمس الروماني، فقد كانت منطقة زراعية ورعوية لنوميديا وموريطانيا الشرقية¹. إن منطقة الحضنة بتعدد حدودها واتصالاتها الطبيعية لا تمثل وحدة سطحية كاملة بقدر ما تمثل تنوع بيئي مع خصوصيتها التي تأتي من بنيتها الجيولوجية الخاصة بها ومن مناخها الذي جعل منها منخفضاً طبيعياً يخضع لعوامل التعرية من جهة وعوامل الردم من جهة ثانية، وتأثير المناخ الجاف على النباتات، هو الذي جعل من الإنسان الحضني محل تنقل دائم نحو المياه والكلاً في ظروف طبيعية سهلة ودون حواجز طبيعية².

2- كمال بيرم: مدخل الى تاريخ المسيلة، مرجع سابق، صص 14.15.

2- Despois, (J): Le Hodna , p56.

رسم توضيحي رقم 2 خريطة موقع الحضنة في الجزائر

المصدر: SEBHI Salim: mutation du monde rurale le hodna:



ويقسم الجغرافيون إقليم الحضنة إلى أربعة أقسام طبيعية مختلفة¹.

تمتد منطقة الحضنة على مساحة تقدر ب 8600 كم² تتخللها المظاهر الطبيعية الكبرى التالية/

-سلاسل جبال الحضنة 2-الاقليم سهول 3- شط الحضنة 4-منطقة الرمل .

(-سلسلة جبال الحضنة : تعتبر جبال الحضنة حلقة الربط بين السلاسل الأطلسية التلية و الصحراوية باتصالها بجبال الاوراس الجنوبية. وجبال الحضنة التي تمثل الحدود الشمالية لمنطقة الحضنة ، تمتد على شكل سلسلة من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ممثلة في جبال ونوغة غربا وجبال المعاضيد وبوطالب ويلزمه شمالا إلى جبال الاوراس شرقا والتي تعلو بين 1400م الى 2000م عن م². حيث تصل بجبال المعاضيد 1902م بجبل تاشيرت وتعتبر هذه السلاسل الجبلية مصدر أودية الحضنة وشطها كما تعتبر جبال بوسعادة وسالات وجبال أولاد نايل

1- Nacib,(y):Culture Oasienne, Boussaâda ,essaie ,d'histoire sociale, E.N.A.L, Alger,1986,p35.

2- Marcaill hou,(G) Le Département de Sétif et ses environs, imp. Braconnier, Alger, 1960, p23.

الحدود الجنوبية للحضنة.و تربط بين هذه الجبال و جبال الاوراس
سلسلة جبال المحارقة.

-اقليم السهول:

اعتبر الجغرافي الفرنسي جان ديبوا ¹Jean Despois الذي خص الحضنة
بدراسة هامة ووافية حوض الحضنة كهضاب مرتفعة نظرا لتنوع

1 قدم الجغرافي الفرنسي ديبوا despois مساهمات عديدة و مؤلفات حول جغرافية و سكان
الحضنة و مواضيع متنوعة من خلال عمل ميداني قام به بداية الحرب العالمية الثانية ثم واصله
بعد نهايتها و جاب خلال بحثه سهول و جبال الحضنة رفقة قايد الحضنة بوضياف محمد و من
بين الدراسات التي قدمها والتي اهتمت بالحضنة نذكر: *La bordure saharienne de
l'Algérie orientale. Rev. afr., 1942, pp. 196-219.*

*L'Afrique Blanche. 1. L'Afrique du Nord. Paris, P.U.F., 1949. – 3e éd.,
1964. – in 8°, 622 p., 39 fig., VIII pl., Le Hodna (Algérie). Paris, P.
U.F., 1953. – 410 p., 33 fig., 20 pl., 3 cartes h.t. (Publ. de la
Faculté des Lettres d'Alger).*

*Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest (en collaboration avec R.
Raynal). Paris, Payot, 1967. – in 8°, 570 p., 43 fig. Le Djebel
Ousselat, les Ousseltya et les Kooub. Cahiers de Tunisie, 1959, pp.
407-427. La repartition de la population en Algérie, Ann. E.S.C.,
1960, pp. 214-226. Développement de l'utilisation des terres de
l'Afrique septentrionale. « Histoire de l'utilisation des terres des
régions arides », Paris, U.N.E.S.C.O., 1961, pp. 245-262. Le Sahara
المزيد /انظر et l'écologie humaine. Ann. de Géogr., 1961, pp. 577-584..*

كمال بيرم :مدخل،مرجع سابق.

تضاريسها و اتساعها بحيث ميز بين أراضي الجبل التي تقع شمال شط الحضنة و ترتفع بين 500 الى 700¹م وتتخللها الأودية المنحدرة من مرتفعات الشمال مثل وادي القصب ووادي سلمان ووادي لقمان ، و بين أراضي الرمل الجنوبية.الواقعة جنوبه

ويمتد إقليم السهول بين الأطراف المترامية من جنوب السلال الشمالية إلى شمال شط الحضنة والتي تزيد مساحتها عن 8500 كم² تأخذ في الشمال محور سهول سيدي عيسى ،سهول البحيرة ،سهول الحضنة إلى نقاوس شرقا التي تعتبر مدخل الحضنة الشرقية وهي مفتحة في الشرق على السهول القسنطينية المرتفعة ،ومن الغرب على السهول الوسطى التلية للجزائر(سهول سيدي عيسى والسلامات. وهي محاطة بمدن الحضنة الرئيسية: مدوكال في الجنوب الشرقي ،نقاوس في الشمال الشرقي ، الحضنة في الشمال سيدي عيسى في الشمال الغربي بوسعادة في الجنوب².و يصعب احيانا تحديد انتماء الاقاليم الجنوبية للشط.

1 -A, JOLY:Le plateau Steppien d'Algerie,Annales de geographie ,Anneé 1909, volu;e 18 nu;ero 98mpp 127-172.

2 -Mohamed Meouak:Lehodna occidental entre régions mediterraneennes et plaines desertiques;organisation des terroirs

3- منطقة الشط¹ :

يمثل شط الحضنة اهم المنخفضات الواقعة بشمال المغرب العربي من حيث اتساع مساحته و انخفاضه ويسمى بشط السعيدة نسبة إلى منطقة السعيدة القريبة منه وشط الحضنة أو الحضنة و أطلق عليه الرومان قديما اسم Salinae Tubonense نظرا لقربة من المدينة الرومانية القديمة طبنة Thubunae².وهو عبارة عن سطح مائي ممتد في مستوى واحد على الأفق وكأنه قطعة زجاجية من دوار سيدي حملة في الجنوب إلى قرية بانيو³ في الشمال، وهو ذات طبقة ملحية خفيفة عديمة النباتات تمون بمياه وادي الحضنة أو القصب ووادي الشلال ،ووادي

,communautés rurales et production agricoles au moyen age,in revue de la méditerranée,2010 ,pp2-3.

1-Dictionnaire des communes de l'Algérie, villes, villages, hameaux, douars, postes militaires, bordjs, oasis, caravansérails, mines, carrières, sources thermales et minérales, comprenant en outre les villes, villages, oasis du Touat, du Gourara, du Tidikelt et de la vallée de l'Oued-Saoura -P. Fontana (Alger)-1903 ,pp57-99.

2- Ferraud ,(CH):Histoire des villes de la province de Constantine, 'Sétif BBA, M'sila ,Boussaâda, in Recueil des Notice de la société archéologique du province de Constantine,1872-,p334.

3- Vaysette,(E):De M'sila a Boussaâda ,in R.A , 1861,p98.

بوسعادة¹ ووادي سلمان ووادي بريكة ووادي اللحم. و يبلغ عدد الاودية والمجاري الهامة التي تصب في الشط حوالي 22 واديكلها فصلية الجريان. التكوين الجيولوجي لمنطقة الحضنة جعل الشط يمتد على طول 220 كم و عرض 90 كم ويقدر حوضه ب 26000 كم² ولا يزيد سطح الماء به عن مساحة 80000 هكتار ولا تتعدى كمية الأمطار التي تسقط شمال الشط عن 400 مم و جنوبه عن 200 مم كما لا يزيد معدل الحرارة القصوى عن 37 ° و لا تقل الدنيا عن 0 ° شتاء.³ و موقع الشط البيوجغرافي و اتساع مساحته داخل الحضنة يعد المنفذ الأساسي لتدفق مياه الأودية العديدة و يساهم بذلك في توازن الدورة الهيدرولوجية لمنطقة الحضنة وفق خاصية مناخ الموقع الفلكي و الجغرافي لها .

4 أفليم الرمل : تحيط بشط الحضنة ناحية الجنوب مساحة واسعة من الاراضي التي يطلق عليها اهلها بالرمل و هي عبارة عن منطقة رملية تمتد بين الحدود الجنوبية لشط الحضنة والحدود الشمالية لسهل بوسعادة، ويبدأ من محور الوطاية إلى جبال بوزكرة والمحارقة في الشرق، إلى واحة بوسعادة في الغرب بمحاذات صحراء أولاد

1- Despois ,(J) le Hodna,p7

2 -Fiche de Dénombrement Hivernales des oiseaux d'eau: Chot el Hodna, 1999/2000 ,conservation des forets de la wilaya de M'sila.

3- Ibid,p108

سيدي إبراهيم وأولاد سيدي هجرس في الغرب¹. و ياخذ في الاختفاء كلما كان الاتجاه نحو الغرب و الشمال و قد ظل هذا الاقليم موطن تنقل البدو الرحل منه الى اقاليم التل الشمالية ، خاصة من قبائل اولاد سيدي حملة و السوامع.

وقد كونت هذه الأقسام الأربعة للحضنة تكاملا فيما بينها وبين الإنسان الحضني وبين الجوار الجغرافي من جهة ثانية مما جعلها تحضى باهتمام الدويلات المتعاقبة على البلاد والتي تركت بصماتها في ما بقي من منشآت عمرانية واقتصادية². وتظهر الحضنة من حيث الإطار الجغرافي منطقة جبلية وسهلية زراعية بفضل المياه الجارية في الأودية المختلفة التي تصب في الشط ،ومن حيث الإطار البشري فهي منطقة بشرية ذات خصوصيات منفردة تجعل تسمية الحضنية تطلق على عروش المنطقة التي تضم أولاد دراج ، أولاد ماضي ، أولاد سحنون، لذلك لا تنطبق هذه التسمية على سكان بعض المناطق المحاذية لها التي هي اقرب إلى التل من الحضنة مثل سيدي عيسى وسكان شمال جبال بوقرين

1 -bid,p,110,ابيرم كمال : الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالحضنة الغربية فترة

الاحتلال الفرنسي ،رسالة دكتوراه العلوم جامعة منتوري قسنطينة 21011

2 -وجود عدة بقايا عمرانية واقتصادية مختلفة في مدينة الحضنة وتارمونت وفافس وزابي القديمة كالسدود وقنوات المياه والأحواض (انظر محمد البشير شنييتي : الجزائر في ظل الاحتلال الروماني .بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور ، الجزء الأول ، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية، 1999 ، ص 118.

، لكن منطقة الحضنة وسكانها أكثر اتصالا بالشاوية في الشرق عبر فتحات سوبلة وجبال بوطالب¹. إلى جبال المحارقة التي تربط جبال الأوراس بجبال الأطلس الصحراوي في الجنوب

ومن حيث المميزات المناخية فالحضنة تقع ضمن نطاق المناخ المتوسطي، من حيث سقوط الأمطار الشتوية القليلة وشدة البرودة والصيف الحار الجاف، ولا تتعدى أمطار المنطقة عن 400 مم سنويا، ورغم البعد النسبي للمنطقة عن البحر المتوسط (150 كم) إلا أن التضاريس عملت على تكوين حاجز طبيعي اثر في عملية توزيع الأمطار، لذلك يمكن اعتبار مناخ الحضنة بالصحراوي أكثر منه بالتلي وهذا ما جعل وصف سهول الحضنة بأنها تشكل في قلب الجزائر خليجا من الجفاف والحرارة². بحيث تتلقى عدة أنواع من الرياح.

-السيروكو أو الشهيلي أو القبلي الذي يهب صيفا بالحرارة والجفاف (° 40-42°) واتجاهها جنوبية شمالية الى جنوبية شرقية .

-الرياح الغربية وهي رياح موسمية صيفية تمتاز بالجفاف ونادرا ما يأتي بالأمطار.

1- Despois,(J);Op.Cit p11.

2- Despois ,(J) et Raynal (p) ;op-cit,p189.

-الظهرراوي:رياح بارد ورطب وممطر أحيانا يهب شتاء ويأتي من الشمال الغربي

-البحري:وهو ممطر وثلجي على المرتفعات الشمالية يهب شتاء من جهة البحر¹.

غير أن هذه المميزات المناخية لم تحرم سهول الحضنة من مصادر المياه، فهي تتوفر على مخزون متجدد من المياه الجوفية الذي يمّون بمياه الأودية المنحدرة من الجبال التلية،وهذا ما زاد من حيوية المنطقة الزراعية وحركيتها الاجتماعية وجعلتها مميزة بهذه الخصوصيات منذ فترة الرومان إلى بناء مدية الحضنة وتطورها فيما بعد².

لقد ارتبطت تسمية . الحضنة بذلك الحوض الذي تحتضنه الجبال من جميع الجهات. من جهة ثانية ... تضم الحضنة جزء من التل ومنطقة جبلية في الشمال الغربي ومنطقة سهبية صحراوية ومنطقة رملية ذات كتل صخرية جنوب شط الحضنة³وتقع لدية الغربية شمال غرب

1- De Galland ,Excursion a Boussaâda et M'sila ,Paris1893,p35.

2- Despois (J),et Reynal ;op-cit,p190

3-ADC(-Archive Département de Constantine); rapport Administrateur ,1937.

حوض الحضنة¹، ويحدها من الشمال جبال الحضنة التي تمثل آخر حاجز للتل يبلغ ارتفاعها في كاف عقبان علو 1832 م ،وكاف سوماء 1483 م في جبل شلشط بدوار القصابية وكدية الشوف 1112م بدوار ملوزة وجبل منصورة 1862 م وذراع القصبة 1264م.وكاف العسل الذي يصل ارتفاعه إلى 1225م في دوار الدريعات ،وجبل جدوق 1243م وجبل الطرف 1040م وكدية السلطان 1109م بالخرابشة ويحدها من الجنوب شط الحضنة مع السبخة التي ترتفع عن سطح البحر 390-400م إضافة إلى مرتفعات المحارقة (600-900م) والقلالية 605م². ويمكن تميز أراضي البلدية من حيث النوعية إلى ثلاث أنواع جغرافيا.

هناك الأراضي ذات المردود الضعيف في الشمال حول الأراضي الجبلية.و منحدرات ا سلاسل الحضنة و هناك -الأراضي الخصبة في الوسط الواقعة شمال شط الحضنة وعمومها هي أراضي ملك خاص تحول اغلبها الى الكولون خلال الاحتلال أما الأراضي القاحلة الجرداء

1- Bulletin:officiel du gouvernement de l'Algérie ,1910,p1205.

2- A.D.C:monographie;Maurice wall:, L'Algérie ., -Germer Baillièrre (Paris)-1882 ,pp22-35.

فتقع جنوب شط الحضنة في الجنوب ذات الامتداد والاستواء الكبير¹. و تقع في نطاق مناخي قاس جاف على مدار السنة .

والحضنة مقسمة بعدة أودية تنبع من جبال الحضنة الشمالية وتصب في الجنوب في شط الحضنة بعد أن تقطع أراضي عرش أولاد ماضي الواسعة وسهول أولاد منصور واهم هذه الأودية وأكثرها سيلان على مدار السنة وادي القصب أو وادي الصم أو وادي الحضنة الذي يعتبر أهم مجرى مائي بمنطقة الحضنة وكان يطلق عليه اسم واد السحر².

الذي يقسم جبال الحضنة ويفصل بين جبال المعاضيد 1863م وجبال قورين 1038 م. وكذا وادي لقمان³ الذي ينحدر من جبال ونوغة ويصب في شط الحضنة بعد أن يسقى سهول فاقس الخصبة التي كانت تمثل مطمور الحبوب في الفترة الرومانية عندما كانت مدينة فاقس فاغة vaccis⁴. قائمة، ويتحول وادي لقمان إلى وادي الشلال عندما يمر بقرية الشلال وقد شهد هذا الواد عملية تحويل لمجراه بعد ثورة المقراني وإيفاد

1- B.O.G.A:1910, p1203

2- Brunschvig,(R) :La Barbarie Orientale sous les Hafside, des Origines à la Fin du XV siècle Libraire d'Amerique et d'orient , Paris 1940,p291.

3- Savornin ,(J) :op-cit ,p35.

4- Payen,(M):colonisation du Hodna,RSAC 1893,p148.

جماعة الحشم إلى المنطقة. وقد شهدت الأراضي الخصبة لسهول البلدية منتجات عديدة كما صلت لمختلف التجارب التي أجريت بها قبل وخلال الاحتلال الفرنسي لها بين سنوات 1857-1860 خاصة زراعة القطن الذي أعطى نتائج مشجعة بمنطقة السوامع.

وقد شكلت هذه المظاهر الجغرافية المتباينة من حيث الحيوية الاقتصادية والبشرية تكاملا فيما بينها، كما أن الموقع الحدودي لإقليم الحضنة ككل وعبر تعاقب مختلف الممالك والإمارات من الحماديين إلى الحفصيين وبنى عبد الواد إلى حدود التماس بين بايليك الشرق وبايلك التيطري في العهد العثماني،¹ جعلت منطقة الحضنة تلعب ادوارا بارزة في تاريخها و ذلك ما ساهم في تفاعل تركيبها الاجتماعية التي تمتاز بالحركة و التنقل الدائم مما جعلها تلعب دورها كوسيط تجاري في المبادلات بين اقاليم التل و حواف الصحراء .

قد لا يبدو للقارئ تمييز طبيعي بين اسم الحضنة الشرقية عن الغربية ،و يتقاطع القسمان في مظاهر طبيعية كالرمل و شط الحضنة

1- بيرم كمال : الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي ،رسالة دكتوراه العلوم جامعة منتوري قسنطينة 21011

3- سعيدوني ناصر الدين:دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،1984 ص229.

و أراضي الجر، لذلك لا يمكن بأي حال اعتماد الجانب الطبيعي كأساس لتقسيم الحـضنة إلى شرقية و غربية، إنما بدا اسم الحـضنة بقسميها الشرقي و الغربي إلا في إطار الاحتلال الفرنسي الذي وضع تقسيمات إدارية للقيادات التي تولت إدارة الأهالي منذ أحداث 1849¹. و أصبحت منذ هذا التاريخ يطلق مصطلح الحـضنة الشرقية على قيادة المختار بن دايدة و التي تبدأ عند حدود التماس بين عرش أولاد سحنون وعرش أولاد دراج الشراقة. ناحية دوار برهوم و مقرة و أولاد عدي الشراقة. و يمكن اعتبار الخلفية التاريخية لسلطة القيادات السابقة للاحتلال هي مرجع التقسيم الإداري للحـضنة ككل.

المتغيرات الاقتصادية في ظل حركة الاستيطان بالحـضنة

1 1849 Barika du cercle historique, CAOM : 8H22, بيرم كمال : الاوضاع

الاقتصادية :مرجع سابق.

باعتبار موقع منطقة الحضنة الجغرافي ضمن نطاق السهوب ،فهي اقرب منها إلى التل من الصحراء ،والى غاية الفترة المتأخرة من الحكم العثماني كان نشاط الإنسان بها يتركز على تربية الماشية و الترحال ،باستثناء المناطق الحضرية كمدينة المسيلة، و الجبلية كإقليم ونوغة و المعاضيد، التي تمارس بها الزراعة المعاشية بالأطر التقليدية إلى جانب خدمة البساتين.

لم تكن الملكية الخاصة موجودة إلا في نطاق المناطق الحضرية المسقية المحيطة بمدينة المسيلة ،بينما بقية أراضي منطقة الحضنة عبارة عن أراضي عروش مشاعة بين أفراد القبيلة أو العرش.

قانون المجلس المشيخي *senatus consulte* 1863 اعترف في الجزائر بوجود أراضي الانتفاع الجماعية التي تسمى بأراضي العرش¹ و حاول القانون² أن يساير التقاليد المحلية في تحول الملكية بالوراثة.كما وجدت بمنطقة الحضنة أراضي البايليك التي كانت للسلطة العثمانية بمنطقة اولاد دراج و المسيلة و التي تحولت إلى أراضي دومين تابعة

1 – Godin,fr:le regime foncier de l'Algerie,paris,1947,p58 .

بيرم كمال : الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ،مرجع سابق.

2- .ibid p59.

للاحتلال الفرنسي ، كذلك تحولت الأراضي التي صودرت عقب انتفاضة 1860 و انتفاضة 1864 و انتفاضة المقراني 1871 إلى أراضي تابعة للدولة الفرنسية (دومين).

تقدر الأراضي التي تحولت إلى سلطة الاحتلال بمنطقة الحضنة ب 163000 هكتار منها 87000 هكتار تقع ضمن نطاق الرمل (أي جنوب الإقليم) و 37000 هكتار ضمن أراضي عرش أولاد سيدي إبراهيم¹ و 12900 هكتار بدوار أولاد سيدي هجرس² و تمتد في العموم الأراضي التابعة للبلدية و التابعة للدولة على نطاق أراضي الرمل و الجر و الحمادات.

كما تقدر الأراضي الغابية في منطقة الحضنة ب 15200 هكتار تشكل مساحات الحلفاء الجزء الأكبر منها خاصة في إقليم أولاد سيدي هجرس³ ، و الملفت للانتباه ان قانون المجلس المشيخي 1863 الذي كان يهدف إلى تجزئة الملكيات الجماعية للأهالي الجزائريين لم يتحقق بشكل

1—archive coloniale de la commune mixte de bousaada, non classe, dossier foncier.

2—archive coloniale de la commune mixte de sidi Aissa, non classe dossier foncier indigène.

3— A CM Bousaada, monographie sur ouled sidi brahim 1954..

كبير في الحضنة الغربية بحيث و باستثناء الأراضي الجبلية لأقاليم ونوغة و المعاضيد لم تتعدى الملكية الخاصة مساحة 30000 هكتار موزعة بين دوازي المسيلة و تارمونت و لقمان،بينما لا نجد سوى بعض المئات من الهكتارات ذات الملكيات الخاصة بمنطقة أولاد سيدي هـجرس و أولاد سيدي إبراهيم و هي تشكل نسبة 02 في المائة من مجموع الأراضي التي تقدر ب 80000 هكتار

لا تبدو الوضعية العقارية بمنطقة الحضنة مستقرة وواضحة، لان عمليات تحديد الملكيات و تطبيق المحاضر التنفيذية للمجلس المشيخي استمرت من 1867 إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى لذلك نجد تناقص مساحة أراضي العرش لدى الكثير من المناطق كما هو الحال بالنسبة لعرش أولاد سيدي إبراهيم و عرش أولاد سيدي هجرس بحيث انتقلت مساحة أراضي العرش بمنطقة الحضنة منذ بداية الاحتلال إلى حدود 71700 هكتار لم يبق منها عند عرشي أولاد سيدي إبراهيم و أولاد سيدي هجرس إلا 21000 هكتار.

عرفت منطقة الحضنة منذ فترات سابقة للاحتلال الفرنسي نمطا تقليديا في توزيع و استغلال الأراضي وفق البيئة الجغرافية و المناخية من جهة،ومن جانب آخر تحكم طابع القبيلة الرعوية المعتادة على العمل

الجماعي و على الترحال و تربية المواشي، في وجود نوع من الأراضي الجماعية التي تعرف بأراضي العرش الرعوية إلى جانب الأراضي الزراعية التي كانت تستغل في المناطق السهلية و السفوح الجبلية لمرتفعات الحضنة الشمالية، وقد وجدت خلال مراحل الاحتلال ثلاث أنواع من الأراضي مرتبة حسب كمية المياه التي تسقيها أو تتلقاها وهي .

1-أراضي الحي :الحي تسمية محلية يقصد بها الأراضي الزراعية

التي تسقى بانتظام من مياه الأودية الهامة مثل وادي القصب بالمسيلة ووادي لقمان ووادي سلمان واغلبها يقع في فحص مدينة المسيلة¹، وهي الأراضي الخصبة التي كانت بحوزة عائلات المدينة من الكراغلة والحضر مع أراضي البايك القريبة منها بمنطقة سلمان والتي تعرف بالأراضي المخزنية*. إلى جانب الأراضي المسقية بحوز مزير و أولاد ماضي و الشلال و فاقس و الجسانية بعرش أولاد منصور التي تسقى بمياه وادي الشلال ووادي القصب و اغلب هذه الأراضي تخصص لزراعة الحبوب و بدرجة اكبر القمح .و تاخذ هذه الاراضي قدرا من مياه السقي حسب المساحة ونوع الزراعة(لان اراضي الحبوب يتوقف عنها الماء بداية من شهر ماي)

1- Sebhi, (S):op-cit,P95 ; Despois,le Hodna;pp235-244.

2-أراضي الجلف:وتسمى كذلك بالفيض وهي التي تسقى بفيض السيول عند سقوط الأمطار وتخضع لنظام المطر أكثر من نظام السقي، وتقع في السهول الشمالية للحضنة الغربية وحول شط الحضنة الغربي وتشاركها الأراضي التلية لمنطقة ونوغة والخرابشة و سهول تارمونت.و نظرا لتذبذب مناخ المنطقة فان استغلال هذه الأراضي يبقى محدود و يرتبط دائما بسقوط الأمطار الأيام الأولى لفصل الخريف و عادة ما تزرع شعيرا و اغلب هذه الأراضي تقع في نطاق الأراضي الجماعية للعروش.

3-أراضي الحمادة و الرمل :وهي أراضي رملية فقيرة غير مستغلة إلا نادرا و ذات مردود ضعيف ، ومن حيث طابع الملكية فان أراضي الرمل والحمادة تقع في المنطقة المحيطة بشط الحضنة وهي أراضي جماعية خاصة بعروش المنطقة مثل أولاد ماضي و أولاد دراج و أولاد سيدي حملة.وتشغل هذه الأراضي اكبر مساحة من الأراضي الزراعية و كثيرا ما كانت محل رعي ماشية منطقة الحضنة .

من الطبيعي أن تكون أراضي الحي من أولويات اهتمامات الاستعمار منذ انتصابه بمنطقة الحضنة ، وخاصة بعد تكوين الإدارة الاستعمارية 1884¹، وكانت السلطة العسكرية بمعية الجغرافيون قد

1- بيرم كمال : الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية :مرجع سابق.

اهتموا بدراسة و مسح للاراضي الصالحة للزراعة ، كان من بينهم
الجغرافي سافورنان savournin و فيل ville

و قبل وصول المعمرين بادرت سلطة الاحتلال إلى مصادرة اجود الاراضي
من اهالي منطقة الحضنة خصوصا أراضي منطقة سباع الغربي ، و عوض
أصحابها بأراضي رديئة في الجهة اليسرى لوادي القصب ، كما حولت
أراضي البايليك بمدينة المسيلة إلى أراضي دومين مع الأراضي المصادرة
خلال ثورة المقراني 1871 ، في حين جعلت الأراضي الميثة "الغير مسقية"
ضمن اراضي الكومينال ، وهي الواقعة بالرمل وبحمادات المسيلة والتي
قدرت مساحتها 163.000 هكتار¹ منها 87.000 هكتار موجودة ضمن
أراضي الرمل، وقد صنف قانون سيناتوس كونسيلت 1863 بقية الأراضي
الخارجة عن نطاق أراضي الدومين أو الكومينال أو الملك ملكية جماعية
أو أراضي عرش قدرت مساحتها الصالحة للزراعة بمنطقة الحضنة ب
62.000 هـ²

كما استحوذت الإدارة الاستعمارية على أراضي المخزن بعد عملية
مصادرتها بداية الاحتلال، وان كانت لا تمثل إلا نسبة قليلة من الأراضي (

1- Des pois,(J), op-cit,pp,234-235.

2 -A.C.M.M:B,227,(rapport Administrateur 1/3/1940)

107 هكتار) موجودة بعرض أولاد دراج غير أن هذه الأراضي أصبحت تؤجر للأهالي كل ثلاث سنوات بعد تعذر استيطان المعمرين بالمنطقة وعزوفهم عنها¹ وقد بدأت عملية كراء الأراضي المخزية منذ 1893 في مزايدات علنية كان نصيب القياد و الأعيان كبير منها. وتشير كثير من التقارير وشكاوي الأهالي بمنطقة أولاد دراج إلى الخلط الذي اعتمدته السلطة الاستعمارية في عملية تصنيف الأراضي المخزية ،من خلال التوسع في استيلائها للأراضي المجاورة خصوصا المتروكة من أصحابها الأهالي بعد ثورات 1864-1871

كما تظافت إجراءات الإدارة الاستعمارية مع اطماع الأعيان المحليين ، أصحاب الامتيازات، في تعقيد وضعية الأراضي بمنطقة منطقة الحضنة وتزايدت الشكاوي والنزاعات فيما بين الأهالي والمعمرين والقياد من جهة وفيما بينهم من جهة أخرى. ودليل ذلك شكاوى أولاد دراج حول منح فرنسا أراضيهم للقياد والمتعاونين معها، مثل المارشال ريزوق زغلاش -خالد بن قفال- لكحل بن شوفاح - مسعود بن زغلاش وابنه احمد الذين استمروا في استغلال الأراضي المصادرة او التي فر اهاليها منذ 1871 إلى غاية صدور القانون التنفيذي الحكومي في 13 افريل 1893 رقم 2249 القاضي بكراء هذه لأراضي في مزايدات علنية.

1 -A.C.M.M:B,18,(rapport Administrateur 26/10/1901)

لقد انجر عن انتصاب الإدارة الاستعمارية في منطقة منطقة الحضنة ،كما هو الحال في بقية البلاد أصناف جديدة للأراضي، أدت في طبيعتها وتغير حدودها إلى كثير من التعقيدات الإدارية والقانونية والتي كرست الإدارة من خلالها سلطتها على الأهالي كوسيط رسمي وضروري لحل المنازعات و إفراغ روح مقاومة الأهالي للاحتلال .

واصبح واقع الأراضي الزراعية منذ 1871 يمتاز بصنفين من المشاكل العقارية التي استمرت تداعياتها على المجتمع والاقتصاد إلى فترات متأخرة:

-المشكل الأول: هو النزعات الفردية والجماعية حول حدود الأراضي ومياه السقي والمسالك بعد تنفيذ إجراءات قانون سيناتوس¹ كونسيلت¹، على عروش المسيلة وقوانين الملكية العقارية مثل قانون 1887 و 1897²-المشكل الثاني: وهو مشكل اراضي اهالي منطقة الحضنة الفارين بعد 1871 او المصادرة اراضيهم و التي تحولت عقب ثورة المقراني الى قبائل الحشم المهجرين من اقليم مجانة و برج بوعريريج إلى

1-القانون الخاص بأولاد دراج صدر سنة 1866 والخاص بأولاد ماضي 1866 أولاد منصور وماضي 1893 السوامع 1893

2.-A.C.M.M:B,183,D1.sequestre de tribu de M'sila,1872.

منطقة الحضة سنة 1876 وقد استمر هذا المشكل بصعوباته الى ما بعد الحرب العالمية الثانية و مازال عالقا إلى يومنا هذا¹.

2- لمزيد من التفصيل حول هذه انظر كمال بيرم: الاحتلال والمقاومة، مرجع سابق.

-الاستيطان و التحولات العقارية بمنطقة الحضنة 1840-1871

منذ أن انتصبت إدارة الاحتلال بمنطقة الحضنة سنة 1840 انعكاسات السياسة الاستعمارية على منطقة الحضنة هو تزايد دور مركز الاستيطان بالمسيلة و هيئته الإدارية التي أصبحت تمثل الحكم والفاصل لقضايا الأهالي ،خصوصا الريف الواسع الذي ظل بعيدا عن أي ارتباط إداري إلى غاية انقسامه إلى دواوير خاضعة لسلطة القايد ،هذا الأخير

الذي أصبح يمثل السلطة الرسمية على الدوار ، وكان من انعكاسات تنفيذ قرارات المجلس المشيخي (سيناتوس كونسيلت) بمنطقة الحضنة منذ 1867 تفكيك العروش وظهور الدواوير بحدود جديدة، وظهور واقع جديد سادته المنازعات والصراعات، سواء الفردية " بعد تحديد الملكيات الخاصة" اوالجماعية" بعد تقسيم أراضي العرش ،وغالبا ما أدت هذه المنازعات إلى تقلص الإنتاج الزراعي وتأثر الثروة الحيوانية بذلك ،بسبب حرمان الأهالي من هذه الأراضي المتنازع عليها وهي غالبا في مسالك رعوية التي جعلت من الإدارة الاستعمارية تتدخل ،سواء في إعادة رسم حدودها بطريقة أفضت إلى تقسيم العرش نفسه أو الفرقة

كما حدث لفرقة السوامع من عرش أولا دراج عندما حدث النزاع بين
فرقها على أراضي الحي المسقية وأراضي الجلف بمنطقة بوحمدو سنة
1890¹.

من افرازات تدخل الإدارة في شؤون الأهالي بعد تقلص دور
الجماعة والمشايخ المحلية ، إضافة إلى تقسيم فرق العرش، هو توسع
نفوذ أعيان فرنسا من القياد والحراس ، التي تعاملت مع أراضي العروش
وكأنها ملكية فرنسية بمنح هؤلاء الأعيان مساحات من الأراضي وأقسط
من مياه السقي مقابل تعاملهم الإيجابي في إخضاع أهالي المنطقة²
وتعددت المنازعات على حدود الأراضي المخصصة للأهالي بعد تنفيذ
قرارات المجلس المشيخي مثل النزاع الذي حدث بين جماعة العرايب من
دوار مرابطين الجرف وأهل المعاضيد 1927³. وكذلك النزاع حول الأراضي
الحدودية بين جماعة الجرف وفرقة المطارفة 1898 والنزاع بين عرش
السوامع و عرش اولاد سيدي حملة و الذي تجدد عدة مرات سنة 1896-

1- A.C.M.M:B,171,(rapport caid selmane 2/10/1893)

قسمت فرنسا السوامع سنة 1893 إلى 4 فرق هي اللوذاني والهجارس وأولاد عبد الله وأولاد
حديدان.

2 عمدت فرنسا إلى منح القياد والحراس مساحات من الأراضي المسقية مقابل خدمتهم لها مثل
القياد الأربعة المعينين على الدواوير الأربعة لفرقة السوامع الذي تحصلوا على أراضي وكان
للقياد مساحة نوبة ماء (24). (27/09/1893)

3-A.C.M.M:B,184,D1,(lettre Djemaa du djorf 29/03/1928)

1927-1936. وقد كان في السابق العمل داخل هذه الأراضي يتم بصفة جماعية باعتبارها أراضي العرش الكبير أولاد دراج قبل التقسيم 1867 الذي جعلها أراضي كومينال، مما جعل سلطة الاحتلال تستغل النزاع لصالحها بوضع هذه الأراضي تحت تصرفها للكراء بمزايدات علنية لمدة ثلاث سنوات لصالح الطبقة الأرستقراطية الجديدة التي سوف تحتكر عملية المزايدات أمثال القايد عجاي بن عزوز، وبوضياف وغيرهم. ومحيط مدينة المسيلة كان النزاع كبير نظرا لطبيعة الأراضي الجيدة والمسقية من جهة، وبحكم توافد المعمرين واستقرارهم بمركز البلدية بالمسيلة. وتعددت المنازعات حول الأراضي المصادرة ومياه السقي والسدود .

ومنذ تأسيس البلدية المختلطة عمدت الإدارة المحلية إلى توفير وسائل النجاح لمركز الاستيطان، دون اخذ واقع السكان أو طبيعة ملكية الأراضي في حسابها، كما لعب المعمرون الجدد دور خطيرا اتجاه الأهالي ونشاطهم الاقتصادي، بعد أن سيطروا بفضل عملية المصادرة على أجود الأراضي وعلى منابع مياه السقي. استطاع مثلا المعمر فورني Fournier وهو من أوائل المعمرين الذين استوطنوا بالحضنة اتلغربية قبل تكوين المركز العسكري للمسيلة أن يتصرف بحرية ويتعاون مع الإدارة المحلية في التحكم في مياه وادي القصب الذي يعتبر اهم منبع

لمياه بعد أن استحوذ على المساحات الهامة للأراضي الحي المسقية بمحيط
المسيلة وعقد اتفاقية مع إدارة بلدية المسيلة المختلطة تمنحه حق بيع
المياه انطلاقاً من السد الذي أقامه باتجاه أراضي لأهالي التي حرمت من
المياه منذ وصول مثل هؤلاء المعمرين، وهذا ما جعل الأهالي يكتثرون من
احتجاجاتهم لدى المتصرف الإداري¹. ومنطقة سلمان استحوذ على مياه
وادي سلمان المعمر الفرنسي مونسوا Moncoie وعلى مياه وادي الشلال
المعمر فارس farris واطلان Atlan كما تعددت اعتراضات الأهالي على
تصرفات الإدارة الاستعمارية في استعمال لأراضي بمناطق أولا عدي [بين
1917-87] ومنطقة الجرف سنوات (1903-1893) ووتيلان [1893-
1907] وسلمان (1907-1897) غير أن الإدارة لاستعمارية اهتمت أكثر
بدراسة المسائل المتعلقة بمحيط مركز مسيلة من باب التمكين
للمعمرين².

في حين تركت المنازعات المتعلقة بالمناطق النائية من صلاحيات
الجماعة وتحت إشراف قائد الدوار وبذلك وضعت أسباب استمرارية

1 - A.C.M.M:B,184,D1,(lettre Djemaa du djorf 29/03/1928) - خصوصاً
أهالي مدينة المسيلة ومنطقة المطارفة وبئر العانات. (ACMM,b,184)

2 - عقدت الإدارة مع المعمر فوريني Fournier - سنة 1890 اتفاقية امتياز في استعمال مياه
وادي القصب وبناء مصنع (مطحنة على مجراه) وقناة لتوصيل المياه تمنح له الحق
استخلاص ضرائب مقابل استعمالها من طرف الأهالي .

المنازعات التي من شأنها إبعاد النظر عنها واعتماد سياسة التفرقة وبث الصراعات على الأراضي و بقدر ما زادت حدتها بقدر ما زادت قيمة الأرض لدى الأهالي خصوصا بعد التحول الكبير لأهالي البدو الرحل نحو نمط الزراعة والاستقرار¹. وانعكست هذه الوضعية على الاقتصاد الأهلي وعلى مستوى معيشة السكان الذي اتجه نحو درجة كبيرة من الخطورة جعلت المنطقة تعرف محطات تاريخية نادرة ما عرف التاريخ المحلي أو الوطني مثلها².

2- مشاكل أراضي حشم المقراني بالمسيلة:

طرحت مسألة تهجير قبائل حشم المقراني من اقليم التل بمجانة الى اقليم منطقة الحضنة مشاكل عقارية في كل من بلدية المسيلة المختلطة و بلدية بريكة المختلطة و بلدية المعاضيد المختلطة، و قد عبرت بصدق عن طبيعة الاحتلال الفرنسي العنصرية وعن مخططاته لتفكيك المجتمع الجزائري وإبعاد أية نية للمقاومة الشعبية أو الثورة

3- ارتفعت قيمة الهكتار بمنطقة سلمان التي كانت رعية من 25 فرنك سنة 1881 إلى 200 فرنك سنة 1906 لتصل إلى 600 فرنك سنة 1926 (انظر كمال بيرم:مسألة قبائل الحشم، مرجع سابق، 183،).

1- عرفت لمنطقة سنون قاسية أدت إلى وفيات جماعية منها ما عرف باسم سنين العربة أو سنين الرماد، انظر كمال بيرم:معالم الحركة الوطنية باقليم المسيلة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2014.

خصوصا بعد المشاركة الواسعة لسكان المنطقة إلى جانب المقرانيين سنة 1871.

لقد كما منتظرا أن تظهر مشاكل عقارية متنوعة لجماعة حشم المقراني المرحلين من مجانة إلى منطقة الحضنة، و كذا بالنسبة لاهالي منطقة الحضنة ،من حيث الواقع الجديد المفروض عليهم ،نظرا للتباين الكبير بين ظروف معيشة الحشم بالتل والظروف الجديدة بالحضنة ،ورغم أن الاحتلال وضع السكان المحليين وجماعة الحشم في موقف حرج ، إلا أن عوامل التضامن بينهما كانت أكبر وأبقت الصلة والروابط الاجتماعية بينهما بعيدة عن أي تأثير استعماري لفترة طويلة رغم آثار التفجير والتهجير والمصادرة والتشتيت التي لحقت بهما.

إن حشم المقرانيين أناس ذو ملكيات وأراضي خصبة في التل الرطب يقوم بزراعتها لهم فلاحون بالخمس¹، فكيف يكون موقفهم من الأراضي ذات المردود الرديء بمحيط منطقة الحضنة وفي ظروفها القاسية،وكيف يكون اندماجهم مع أهل الحضنة المتعودين على الترحال والتنقل؟وكيف يكون موقف الأهالي المحليين المنزوعة أراضيهم والمعطاة

1 Despois,(J):Le Hodna ,p,231.

لأجانب عن منطقتهم، وهل يرضون بالعمل في أراضيهم السابقة كأجراء بدل ملاك؟.

إن هذه الأسئلة وكثيرة منها لا تجد أجوبة إلا من خلال العدد الهائل من مراسلات الإدارة وتقارير القياد وشكاوى الأهالي والمنازعات التي مازالت مستمرة إلى يومنا هذا¹

لقد طرح مشكل ترحيل جماعة حشم المقرانيين من ومجانة إلى المسيلة سنة 1876² أنواع كثيرة من المنازعات والشكاوي منها ما تعلق بأحقية الأراضي المصادرة، و موضعها، وحدودها ومساحتها، ومياه سقيها، وخدمتها ومسائل انتقال هذه الملكيات، وعمليات الرهن والبيع، وخدمة السدود والسواقي وغير ذلك.

ولان العملية امتازت بالطابع القهري و الترحيل بالقوة فقد جعلت أغلبية الحشم يعودون إلى مواطنهم الأولى ومناطق أخرى بعد سنوات قليلة من تاريخ ترحيلهم الى الحضنة لتركوا أنواع جديدة من المشاكل بين السكان المحليين من جهة والإدارة الفرنسية من جهة ثانية .

1-مازالت إلى يومنا هذا مشاكل ملكية أراضي الحشم بين أهالي المنطقة بمنطقة السعيدة وبيضاة والشلال ومسييف وبوحمدادو معاينات لعدة خبراء عقاريين بمدينة المسيلة للمزيد:كمال بيرم:مسالة قبائل الحشم،مرجع سابق.

2-Des pois,(j) ;op-cit ,p,231, et ACMM,B181(lettre du caïd Saida

3/2/1893

لم يكن من السهل على الادارة الاستعمارية حل هذه المشاكل العقارية التي خرجت عن المألوف ،لذلك كان تأثيرها بارزا في تدهور الإنتاج الزراعي والحيواني لمنطقة منطقة الحضنة بصفة عامة، كما أن ظاهرة تغيب قبائل الحشم عن المناطق التي منحت لهم و عودتهم الى التل ،أدى إلى ظهور شكاوى حول عدم مساهمتهم في بناء السدود والسواقي التي تسقى منها أراضيهم الجديدة¹. مما دفع سلطة الإدارة إلى إصدار اعذارات من اجل الالتحاق بالأراضي أو حرمانهم منها نهائيا²، خصوصا وان الحشم كانوا ملزمين بدفع ضريبة سنوية للدولة الفرنسية منذ 1878 والتي لم يتم دفعها إلى سنة 1882، أو مصادرة أملاكهم ثانية ليتم كرائها لأهالي المسيلة أو الاوربين باستثناء الحشم³ كما جاء في اعذارات الوالي العام لمقاطعة قسنطينة.

استغلت بعض قبائل منطقة الحضنة فرصة تغيب الحشم وشرعت في زرع الأراضي وخدمتها ، كما حصل لجماعة أولاد عبد الله في منطقة بوحمدادو، وجماعة أولاد ماضي بمنطقة السعيدة ،ومن جهة ثانية

1 -ACMM, B,181,(Lettre à L'administrateur de Maadid 13/02/1893) et lettre Djemaa Bouhmadou-2-4-1893.

2 Ibid-1 كان مجموع الضريبة المفروضة على ناس الحشم خلال سنوات (1878-1881)= 1530 فرنك

3- ACMM;B,181 (rapport du caïd M'cif 12/10/1912).

ظهرت احتجاجات سكان إقليم المسيلة حول عدم منح الحشم الأراضي لهم لخدمتها بالخمس في الوقت الذي منحوها لأناس أجنب عن هذه العروش¹. وحين نبحت في مختلف الوثائق والمراسلات ذات العلاقة بالموضوع يتبين كيف آل وضع سكان اقليم منطقة الحضنة من ملاك الأراضي الزراعية إلى طالبي العمل بالخمس عند غرباء المنطقة.

كما ظهرت مشاكل عقارية بين أهالي الحشم أنفسهم ،حول قسمة الأراضي التي أعطيت لهم في إطار أراضي عرش دون تجزئة ،وإن كانت طبائعهم غلبت على عملية التقسيم وأفسدتها عدة مرات مثل ما حصل لفرع حشم أولاد سيدي موسى و أولاد خلوف وأهل بومرقد ،الحنيشية أولاد الشنيتي أولاد ضباب وهكذا نرى أنه نتج عن هذه الأوضاع الجديدة الفوضى فيما يتعلق بعلاقة الفلاحين بالأرض ،وهذا ما استدعى تدخل الادارة الاستعمارية المحلية و اصحاب الاراضي الذين طلبوا من أعيان حشم المقراني المقيمين بالتل بينما اراضيهم بالحضنة الحضور امام قاضي المسيلة من اجل محاولة حل ما طرأ من مشاكل² الاراضي الزراعية خاصة باقليم السعيدة و مسيف والشلال و بوحماو.

1 -ACMM;B,181 (rapport du caïd M'cif 12/10/1912).

2-ACMM, B,18, (lettre de L'Administrateur de la CM de Maadid d'Administrateur M'sila e 4/10/1897.)

وتشير أغلبية مراسلات المتصرفين الإداريين وأعوانهم ببلدية المسيلة وبلدية بريكة وبلدية المعاضيد، وهي البلديات التي استقبلت أراضيها فرق حشم المقراني، انه بعد سنة 1881 انقسم الحشم المرحلين إلى المسيلة إلى دواورين:

-دوار مجانة التابع لبلدية البيان المختلطة ، ويضم جماعة ستارة وسيدي مبارك وقمور والعناصر وبليمر وهم تحت إمارة الشيخ الشريف بن ريغي إلى غاية 1887¹، الذي حاول عدة مرات تسوية المنازعات مع أهالي الحضنة²، واستمرت مشاكل أراضي الحشم إلى فترة ما بعد تقسيم الأراضي فيما بينهم التي تمت في 1902/11/02 وشملت ستة فرق من حشم المقرانيين هي فرقة أولاد سيدي موسى -فرقة أولاد خلوف - أهل بومرقد - أولاد الحنايشبة -أولاد ضباب -أولاد سيدي مبارك وهذه الفرق كانت موزعة في الأراضي التي منحت لهم بمنطقة الشلال ببلدية المسيلة المختلطة وكان معدل نصيب كل عائلة من الأراضي بين نصف جابدة إلى 2 جابدة³.

1 -ACMM:B, 181, lettre Administrateur du BBA24/07/1887.

2 -ACMM;B,181, rapport caid O.Hdiden 18/10/1902.

3 - الجابدة بمنطقة مسيف والشلال تعادل حرت يوم بالحصان.

ونظرا لوجود أراضي الحشم الموجودة بمنطقة الشلال ضمن الأراضي المسقية بوادي الشلال فقد برزت مشاكل سقيها في إطار التوزيع التقليدي لمياه الوادي، الذي لم يكن مألوف عند جماعة الحشم التلية، وقد أدت المنازعات على المياه وعلى السدود المقامة على وادي الشلال وخدمتها إلى تدخل الإدارة المحلية للبلدية، واستطاع القايد بوضياف الصخري بماله من نفوذ على عرش أولاد ماضي الموجودة به أراضي الحشم أن يسوى النزاع بين الجماعتين أي الحشم وسكان الحضنة، وتمت اتفاقية في 11 ديسمبر 1900 أنهت النزاع بتقسيم مياه وادي الشلال انطلاقا من سد الطاوس، حيث يأخذ حشم المقراني 10 أيام وتأخذ جماعة أولاد سيدي إبراهيم من محيط بوسعادة الأيام الباقية من الشهر كما أعاقت المنازعات على نصيب الأراضي من مياه وادي القصب (المسيلة) عملية استغلال الأراضي وزرعها، ولم يكن للسلطة الاستعمارية دور في إنهاء هذه المنازعات بقدر ما كانت حريصة على تحصيل الإنتاج والغرامات المفروضة على هذه الأراضي .

و رغم انسحاب أغلبية حشم مجانة من منطقة الحضنة في العقد الثاني من القرن العشرين ، فقد برزت مشاكل من نوع جديد، ذلك أن الأهالي المحليين تنازعوا حول أحقيتهم في هذه الأراضي من جهة وفي حدودها من جهة ثانية بعد عمليات الرهن والبيع المتعددة

التي عمت بين الحشم وبين سكان الحضنة¹. والتي جعلت معظم الأراضي تستمر بورا دون استغلال، وكان من نتائج هذا الوضع تقلص الإنتاج الزراعي للمنطقة ، وتغير ملامح البيئة المحلية باندثار النباتات الطبيعية وارتفاع حجم الملوحة في هذه الأراضي بعد حرمانها من السقي والاستغلال²

وإذا كانت للظروف الطبيعية كالجفاف و تذبذب المناخ و قلة الكلا دور في ضعف تطور الانتاج الحيواني ، فان السياسة الاستعمارية كانت اخطر لأنها لم تستهدف الاقتصاد الأهلي فقط بلا اتجهت إلى تحطيم البنية الاقتصادية المرتكزة على مجتمع البدو الرحل³ الذي ساند المقاومات الشعبية المحلية والوطنية بدابة الاحتلال ، ومحاولة السيطرة على هذه الفئة الحركية و من خلال التحكم في تنقلها و السيطرة على باقي الأقاليم الصحراوية ،ومن جانب اخر استهدفت السلطة الاستعمارية منذ بداية احتلال منطقة الحضنة 1840 فك الروابط بين بدو منطقة الحضنة والقبائل المجاورة لها. ونشير ان التسيير الإداري الاستعماري في

1 -ACMM:B, 171, D1rapport du caïd Lamara Med 10/10/1912

2-ACMB:(a,n,c)lettre du chef de cercle de Boussaâda à l(Administrateur de M'sila 09/04/1900

3- Bourdieux,P:op-cit; P52.

منطقة الحضنة يمكن اعتباره جزء من سياسة التسيير الإداري الاستعماري الجديد الذي حاول الإداريون تغييره بعد الحرب العالمية الأولى¹.

الفترة التي امتدت بين الحربين لم يستطع المرابي او الموالي باقليم منطقة الحضنة مجارة حصار الطبيعة و الإدارة الاستعمارية ، و ضاغت عملية انتقال الملكيات العقارية من الأهالي للأوربيين اثر تكوين مركز الاستيطان بمنطقة الحضنة بمدينة المسيلة و تحول احتكار تجارة الماشية الى المرابين الجدد من الأوربيين و اليهود ، و ظهور المكننة الزراعية قبيل الحرب الثانية ، الى ترايد تقلص ماشية الأهالي ، و تقلص الفئة المرتبطة بنشاطها ، لكن من جانب اخر ساهم النظام الضريبي الذي استمر يثقل كاهل الاهالي في عزوف السكان على الاتجاه نحو نشاط تربية الماشية ، و يبين الجدول التالي وضع الماشية فترة الحرب الثانية لدى الاهالي.

جدول : جدول توزيع الماشية على دواوير منطقة الحضنة سنة 1943.

الدوار	الخيول	الأبقار	الأغنام	الجمال

1- كان تقلص المواشي ونظام العشابة قد مس كامل التراب الوطني بحيث انخفض عدد الأغنام من 285 راس لكل 100 ساكن في فترة (1885-1889) إلى 190 راس في فترة (1896-1899) Algériens Musulmans et la France, AGERON,(CR) les (1968, PUF, France 1968.

221	6175	31	55	أولاد عدي لقبالة
	3000	28	110	بني يلمان
186	2015	12	21	بئر العانات
627	6235	3	43	بوحمادو
	1340	19	38	الضلعة
	2580	53	73	الدريعات
42	1065	14	8	الجرف
	3905	321	150	القصابية
100	9990	166	282	الخرابشة
478	5425	34	75	مسيّف
109	6410	21	112	المطارفة
7	1145	10	14	المسيلة
	2500	74	88	ملوزة

أولاد منصور	83	31	2620	49
ويتلان	55	144	3460	8
السعيدة	132	47	5640	777
سلمان	24	43	1923	19
المجموع	1403	1051	65528	2623
				راس

يمكن القول ان حالة الماشية و النظام التقليدي الذي وجدت فيه بمنطقة الحضنة خلال هذه المرحلة قد ال الى وضع خطير ، كان نتاج جملة السياسات الاستعمارية التي ارتبط بها الوجود الكولونيالي بمنطقة الحضنة و التي ادت إلى تحطيم المجتمع الرعوي بسرعة وتدهور الثروة الحيوانية خصوصا بعرش أولاد دراج وفرع السوامع التي بدأ تنفيذ قانون المجلس المشيخي به منذ 1867 والتي أدت إلى تغير في البيئة الطبيعية وتحول نمط الحياة الاجتماعية ومظاهرها ،بتقلص الخيم

الكثيرة التي كانت منتشرة بعرش أولاد دراج وظهور الأكواخ (القوري) محلها¹.

من المعروف ان الاستعمار الاوربي لم يهدف عبر كامل محطاته التاريخية واماكن تواجده الا لما يخدم مصالحه الاقتصادية و الحضارية ،وكانت شعوب المستعمرات اخر ما يمكن التفكير في شؤونه او حياته.

لذلك وجدت منطقة منطقة الحضنة في ظل الاستعمار في وضع غابت فيه اية محاولة للتنمية المحلية ،و تركزت فيها كل مظاهر الاهمال الاقتصادي ، الا ما ينفع المعمرين و السوق الفرنسية،فتاخرت ابسط محاولات الاصلاح الزراعي او تنمية الريف او تطوير تربية الماشية او توفير شروط حياتها.لم يكن تدخل الادارة المحلية منذ احتلال منطقة الحضنة 1840 الا في اطار معاقبة مربي الماشية و مصادرتها عقب الانتفاضات و فرض الغرامات المختلفة الانواع على المواشي و الدواب.

كانت سنة 1950 بداية اهتمام الادارة المتواضع مع مصالح الماشية المختصة بإنشاء مراكز معالجة المواشي في كل من بئر العربي سنة 1951

1- Despois; L'Afrique du Nord (Colonies et Empires) P.U.F

2-بيرم كمال : الاوضاع الاقتصادية،مرجع سابق ص 316.

على السفوح الشمالية لشط الحضنة و مركز القاسية قرب بئر السويد في 1953 ومركز تارمونت سنة 1954 ثم مركز سلمان في نفس السنة وهي مراكز لمعالجة الأمراض التي تصيب الماشية المؤدية لموتها .

وكان من مصلحة فرنسا في بداية الثورة التحريرية التعجيل بتكوين إطارات في هذا الشأن تحت مسؤولية مفتشية المقاطعة التي لم تكن تهتم أصلا بمثل نشاط تربية المواشي ، لأن هذه الاطارات من عمال مصلحة شركة لإحتياط الأهلية التي ليس لها اختصاص بالمواشيقدرة اختصاصها في تقديم القروض الربوية لزراعة الحبوب .و عملت الادارة على تخصيص جوائز خاصة للمربين لم تتعدى الاوسمة و الميداليات التي تقدم في كل مناسبة ، و عندما فشلت هذه العملية لدى الأوساط الريفية نجد مفتش المواشي يقترح تخصيص جوائز مالية تقدر سنويا بـ2.3 مليون فرنك، و أن تقدم في شكل رؤوس مواشي جيدة للمربي الفائز ، وكان ذلك ضمن مخطط مشروع قسنطينة الخاص بمنطقة الحضنة¹ فيما بعد.

1 -ACMM :240,B Plan de constantine –Hodna P.13.

تأثير الاستيطان في تغيير نمط الحياة عند البدو الرحل

مثل معظم مناطق الجزائر فإن جزء كبير من الماشية قد تركزت في يد فئة قليلة من الملاك ، واستلزم نشاط تربية المواشي وجود فئة الرعاة الذين ربطتهم مع الملاك علاقات تعاون وعمل في إطار المنافع المشتركة المتبادلة. وفي الوقت الذي وجدت فيه فئة الخماسة عند الزراع ، فقد مثل الرعاة فئة اجتماعية كانت تمثل درجة سفلي للمجتمع الريفي الحضني .

تقوم العلاقة بين الملاك والرعاة على قاعدة محلية تقليدية بأن يدفع صاحب القطيع للراعي مقابل رعايته للماشية عن كل 10 أغنام ربة¹. مباشرة بحلول فصل الربيع الثاني ، لأن العمل غالبا يبدأ في فصل الربيع والقطيع في أغلبه يتكون من 16 ربة ، ويأخذ الراعي على الأقل نهاية الموسم خروفين إثنين موازير² والباقي من "البكاري"³ وينقسم القطيع إلى نوعين : قطيع موحد لشخص واحد أو عائلة واحدة وهناك نمط القطيع الخلط أو ما يعرف محليا بالخلطة (المشاركة) أي يكون

1 - الربة مصطلح محلي يعادل 2 قلمات شعير وجزء صوف وتقلصت الآن من 10 أغنام إلى

5 شياه بسبب - تقلص مكانة حرفة تربية الماشية و تقلص عددها .

2- الإنجاب المتأخرة من الغنم .

3- هم الإنجاب المتقدمة من الغنم .

القطيع ملك لعدة عائلات أو أفراد ويتم على أساس العدد وعادة أن الملاك لا يضيفون الراعي شيئاً آخر كالمال أو مواشي بل يقدمون له عند الحاجة سلفة يخصمون قيمتها عند تسليم الربقات .

كما جرت العادة انه عند حالات النفق (ذبح الماشية خشية موتها بسبب مرض ما) التي تصيب المواشي يشترط المالك من الراعي محاسبته بجلودها وأذانها وعند حالات الذبح الحلال يأخذ الراعي حقه الذي خوله العرف ،وهو راس الغنم وأرجلها وأحشائها ويأخذ المالك اللحم كاملاً¹.

كما جرت تقاليد في رعي الإبل بين الملاك والرعاة تقتضي أن يأخذ الراعي مقابل 10 نوق (جمع ناقة) نعجة في كل سنة و 4 قلبات شعير . وخلاق وبر.

إن المعطيات الجديدة والتسيير الإداري المستحدث من قبل اداة الاحتلال ،أدى إلى تحطيم الرابطة القوية داخل كل عرش²،وأخل على هذا التوازن الاجتماعي و الاقتصادي، وحول تربية المواشي وأصحابها، إلى وضع متدهور، خصوصا بعد تطبيق قانون المجلس المشيخي على عروش

1 - بيرم كمال : الاوضاع الاقتصادية :مرجع سابق.

2 Boukhobza --:op-cit;pp110.112.

المنطقة واستحداث الأراضي المسالك (Parcours). وكانت أراضي عرش أولاد دراج أول منطقة استهدفها القانون سنة 1867¹ في منطقة الحضنة ومن المعلوم أنه استصدرت قوانين قهرية تمس لتحركهم " Point de strationnement" وتحدد لمواطن توقفهم أو سير مواشيهم وبذلك حرمتهم من حرية انتقالهم وفرضت عليهم ارتباط مباشر بأعوان الإدارة في كل عملية انتقال جماعي ولم تعد عملية انتقال السكان من الحضنة إلى التل عملية محلية بل تحولت إلى عملية جهوية تخص مجموعة كبيرة من البلديات الشرقية للجزائر منها: العلة- بركة المسيلة -عين التوتة -خنشلة-تبسة -سطيف -سوق أهراس واد زناتي -أولاد رحمون -واد العثمانية -عين عبيد -لسمندو شلغوم العيد-أم البواقي عين مليلة -الخروب عين القصر - وريغا وكل هذه البلديات كانت إما محطات عبور أو استقرار موسمي لبدو بلدية المسيلة المختلطة بين شهر جوان وسبتمبر².

1- Sebhi ;op-cit ,P; 101.

2- ACMM;B, 227.achabba,reglementation generale.

وحددت الإدارة المحلية زمنيا فترة فتح حدودها لتحرك السكان داخل¹ البلدية، وفترة الخروج منها حسب قرار 1920/12/04، بحيث يتم فتح أراضي التل لعشابة الحضنة في 1 جوان من كل سنة بمراقبة الإدارة من خلال مرافقة قائد وحارسين من بلدية المسيلة وبريكة وعين التوتة والعلمة، وتتولى اللجنة البلدية مستحقات الحراس ويتم التنظيم لموسم التنقل ابتداء من 20 ماي حيث يسمح بمغادرة أراضي البلدية في 25 جوان ليتم الوصول إلى المناطق المحددة للرعي في 1 جوان.

وبالنسبة لرحل منطقة الحضنة يتم وضعهم نهائيا في مناطق هي: العلمة عين مليلة-الخروب-شलगوم العيد -أولاد رحمون-أم البواقي فج مزالة- عين عبيد عين القصر خنشلة وتسبة وكانت الإدارة تضبط في عملية إحصاء السكان المرافقين لمواشيهم بقوائم اسمية يحملها القياد مع تصريح الأهالي بعدم امتلاك السلاح².

وتأخذ عملية تنقل بدو منطقة الحضنة اتجاهات معينة، بحيث يتجه بدو أولاد دراج عبر برهوم وعين الكلبة ومقرة طريق سوبلة بين جبال بوطالب نحو سطيف كما أن الإدارة أصبحت تفرض مساحة محددة

1- le Hureau (capitaine léon): le nomadisme et la colonisation dans les hauts plateaux ,ed comité de l'Algérie Française, Paris 1931, p, 78.

2- ACMM, B227(Règlement achaba)

للرعي لا يف العدد الكبير للمواشي وكان ذلك من عوامل تقلص الثروة الحيوانية بالمنطقة وعامل من تراجع هذا النمط الاجتماعي والاقتصادي¹.

كما أن نمط العشابة اقترن أيضا بتربية الخيول بأنواعها التي اعتبرت من ضروريات البدو مع الجمال في النقل والتنقل، وإذا كان حال تربية الأغنام قد تدهور بسبب مستجدات الإدارة فإن الاحتلال شجع عملية تربية الخيول لأغراض تجارية وحرية...مرتبطة بدخل المسابقات التي كانت تقيمها شركات المسابقات منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، فقد خصصت إدارة الاحتلال في شخصية بلدية المسيلة المختلطة سنة 1919 في إطار اصلاحات 4 فبراير من جيوب² الأهالي عملية بناء وحدة خاصة بتربية وإنتاج خيول المسابقات بالمسيلة بعد أن كانت تقام بطريقة تقليدية بين 1907 و 1916 واستمرت هذه المحطة Monte في إعداد الخيول الأصلية (خيول مسيف) إلى الحرب العالمية الثانية حينها اغلقت نهائيا.

21- تقلص الأغنام من 84170 رأس سنة 1926 إلى 29637 سنة

1945CMM,B, 257(statistique Agricole)

2-ACMM;B,54(Deliberation CMM17/12/1915).

تأثير الاستيطان على النشاط الزراعي بمنطقة الحضنة

الاستيطان الاوربي و مسألة المياه بمنطقة الحضنة

واجه الاحتلال الفرنسي منذ السنوات الأولى لتواجده صعوبات مناخية و جغرافية و قفت أمام التقدم السريع لقواته و مشاريع الاستيطان التي إرادتها بالمنطقة،مسألة المياه الشغل الشاغل للجيش و الإدارة الاستعمارية فيما بعد،لان المنطقة واكبتها سنوات جفاف بين 1858-1860 مما دفع بقوات الاحتلال إلى التفكير في حفر الآبار بجهات عديدة من منطقة الحضنة سنوات 1860-1861.¹

كانت القوات الفرنسية تهدف في البداية من عملية حفر ابار المياه الى تجميع قبائل الحضنة من البدو الرحل الكثيرة الحركة و التنقل ،وشكلوا للاحتلال مشاكل وخطورة في اطار محاولاته للقضاء على المقاومات

1 - قام الجنرال ديفو desvaux بحفر مجموعة من الابار بمنطقة شط الحضنة مثل بئر allegresse لسنة 1862 كما قامت قوات الجنرال ديفو بدوار السعيدة 1862 بحفر بئر السلطان fontaine don لسنة 1863 و بئر العانات fontaine limpide لسنة 1863 للمزيد حول الموضوع انظر :

Savournin,J :essai sur l'hydrologie du hodna in bulletin de la carte de l'Algerie 1908,pp11-13.

الشعبية التي شهدتها الحضنة سنوات 1838-1845-1849-1860-1864. ففي اوت 1864 قدم الجنرال ديفو desvaux تقرير مفصل للحاكم العام عن منطقة الحضنة بمساعدة المهندس فيل ville و المهندس تيسو tissaut جاء فيه ان الحضنة تتمتع باراضي خصبة تعد من نعمة الله و تنتج القطن ذو الفتلة الطويلة، الا ان ظروف تجدد المقاومة الشعبية بقيادة ابراهيم بن عبد الله سنة 1864 ادى الى تحطيم الابار التي بدأت فرنسا في انشائها الى جانب الاعصار¹ الذي حل بالمنطقة في نفس السنة². قام الجنرال بيريقو الذي خلف ديفو 1865 بحفر مجموعة من الابار بمنطقة الشط بين المسيلة و بوسعادة منها بئر الإمبراطور (بئر منسيس) الأول ثم بئر منسيس الثاني و حفر البئر الذي يسمى باسمه fontaine général. Perigot وآبار أخرى لم تكتمل لعوامل جديدة مستحدثة من قبل الاحتلال وذات الأولوية مثل تطبيق قانون المجلس المشيخي 1863 لعرش أولاد دراج منذ 1867 .

1- بيرم كمال : الاوضاع الاقتصادية :مرجع سابق.

-في 1863 قامت السلطة العسكرية بحفر مجموعة من الابار منها بئر العانات الذي اصبح حوله دوار سمي فيما بعد باسمه سنة 1863: للمزيد انظر Savournin,J:essai sur l'hydrologie du hodna,op-cit

2 -توجد للمهندس فيل villeدراسة هيدرولوجية الحضنة و هي دراسة موسعة بها جانب تاريخي لاعمال الري الرومانية بمنطقة المسيلة انظر : Ville;hydrologie du hodna,in RSAC,et Savournin,j l'hydrologie du hodna, p15.

لقد أثار العديد من الفرنسيين مسألة المياه بالحضنة في الفترة الممتدة بين 1860-1871، أمثال الضابط بروسار Brossard الذي زار الحضنة في افريل 1862 و قدم وصفا لأعمال الحفر في مذكراته التي كتبها سنة 1860 في الجمعية الجيولوجية الفرنسية .لقد قارن بروسار وسائل استغلال المياه التقليدية و بين وضع المنطقة الجيولوجية الذي لا يسمح باستغلال جيد للآبار إنما رصد الضابط فيل ville سنة عدد المنابع المائية الطبيعية المتناثرة بالحضنة مثل عين تابودة، عين تكار، عين الحجر، عين مجوم، الا ان الضابط بروسار Brossard اعتبرها من صنع الرومان الى جانب بعض الابار مثل عين العمياء، عين جبانة، عين الباي وغيرها .كما قدم الضابط بايان Payen دراسة حول المياه والسدود الموجودة بمنطقة الحضنة سنة 1862 و كان على اطلاع اكبر من غيره بمنطقة الحضنة التب عاش بها لفترة طويلة .

بدات الادارة الاستعمارية منذ تكوين البلدية المختلفة للمسيلة في انجاز ابحاث حول امكانية استغلال مياه الابار الموجودة بمحيطها¹ خاصة غرب

1-Dr E ,Bertherand:l'etat minérales de l'Algérie, au point de vue de l'emplacement des centres de population à créer, -impr. de V. Aillaud (Alger)-1875,p 214f .et Edouard Gibert
Excursions dans le Sahara algérien -Impr. de Chaix (Paris)-1887 p12.
2-Savournin:op-cit,p43

مركزا الاستيطان بالمسيلة . وتولى المهندس جاكوب jacob عملية البحث الذي تلخص في تحديد مناطق المياه التالية:

المنطقة الشمالية للحضنة الغربية الممتدة من سد الغابة(عرش اولاد ماضي) الى بئر العانات و واد بهلول(عرش السوامع) الى وادي الشلال.
المنطقة الجنوبية التي تقع بين شط الحضنة و السلاسل الجنوبية الاطلسية

الا ان الضابط lieutenant cail قدم عرض جيولوجي مخالف بعد ورشة ابحاث¹ بين (1894-1896) و الذي حدد اهم مناطق الابار الارتوازية بمنطقة الحضنة و هي:

المنطقة ذاة المياه القوية: وتشمل مناطق بئر العانات,عين السلطان,ضاية الهبرة,برقوب.

المنطقة ذات المياه المتوسطة: وتضم بئر السويد جنوب المسيلة,غرسة,سيدي العوي

المنطقة الثالثة وتضم أبار: سد الجير,القريعات..

وقبل بدا هذه الورشات قام الضابط العسكري دولاكروا delacroix بعد أحداث الثورة المقراني في سنة 1873 بورشات حفر الآبار في نفس المواقع التي اهتمدى إليها تقرير الضابط cail، حيث أشارت تقاريره و تقارير الجان البلدية للمنطقة¹ استمرار مشكل المياه باقليم منطقة الحضنة لسنوات طويلة، وكان تأثير المياه كبير على قطاع الماشية التي تمثل الدخل الأساسي لأغلب السكان، وبدرجة اقل منها علققطاع الزراعة الأهلية. ومما زااه في حدة مشكل المياه بعد دخول الاحتلال استحواذ المعمرين الجدد على السواقي واقاموا سدود و حواجز مائية جديدة في منابع المياه و اعالي السواقي و الاودية وتحكموا في تصريفها وعملوا بالتنسيق مع الادارة الاستعمارية بوضع قوانين جديدة من خلال معاهدات و اتفاقيات منحت لهم حق تمويل الأهالي للمياه الجارية عبر السواقي و السدود المفامة على الاودية المختلفة..²

كما استمرت مسالة تطوير الزراعة بالحضنة من أولويات الإدارة ، ولذلك طرحت مسالة بناء سد خاص لمركز الاستيطان بالمسيلة منذ العشرينات

1-Gsell, stephane: Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie / publiée par les soins -E. Leroux (Paris)-1902

2 -ACMM: B31,bassin du hodna, rapport de monssieur Cail .5/01/1896.

من القرن العشرين وبقي كمشروع. حاول المهندس الفرنسي ماريو فيفارييس vivares,mario اقناع الإدارة بمشروع بناء السد منذ بداية القرن العشرين، إلا أن الإدارة لم تكن تعتقد في أهمية المشروع لإمكانيات البلدية المتواضعة حسب إجابات اللجان المالية.¹

زراعة الحبوب و مكانتها في ظل حركة الاستيطان

تقوم عملية زراعة الحبوب التي تمثل أهم نشاط زراعي لسكان بلدية المسيلة بعد تربية الماشية، على جهد الفلاحين- الفقراء في غالبيتهم- بوسائل تقليدية بسيطة، وبمساعدة الحيوان، وتسمى المساحات الزراعية بأسماء محلية ترتبط أحيانا بكمية الزرع مثل: صاع²- قلبة (وهي مقاييس للحبوب) أو بالماء : شمسة أو نوبة أو باليوم: حرث

1- - Mario vivares - قدم المهندس ماريو فيفارييس دراسة تفصيلية لمنطقة الحضنة وو ضع مشروع استيطان للمنطقة ثم قدم مشروع بناء السد على وادي القصب إلا أنه رفض من قبل البلدية سنة 1920 و بقي المشروع الى غاية 1935 حيث اعتمد بعد مداولة اللجنة البلدية في 1931/05/20 واستمر بناء السد بالمقام بوادي القصب الى غاية 1940 للمزيد Mario vivares colonisation du hodna CAOM 65K5 وكذلك:

Delegation des colons session du 20mai1931 كذلك:

يوجد ملف خاص بالمشروع بارشيف بلدية المسيلة المختلطة ACMM:B110,projet vivares, hydrologie.

3-الصاع مصطلح محلي يقصد به كمية من الحبوب تساوي ثمانية قلوبات و كل قلبة تساوي ما يقارب 18 كغ من القمح أي مقدار الصاع من القمح هو يقارب 90كغ. .

يوم أو يومين أو بالجابدة : عادة حرت يوم بالحصان وان كانت تختلف حسب طبيعة التربة وقوة الحصان وأيام السنة.

طريقة الاستغلال ونظام الخماسة بمنطقة الحضنة :

يكاد مشكل الغذاء في الوسط التقليدي يسيطر كليا على سلوكات الأفراد و نشاطهم ، فالغذاء مثل دائما قاعدة التحالفات و العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية بين الأفراد و الجماعات ، انه اقتصاد الجوع الذي ظهر بوجود الاحتلال الذي قضى على مصادر الثروة و الانتفاع للمجتمع التقليدي بالحضنة ، فهو اقتصاد محلي مغلق في دائرة زمنية لا تتعدى السنة .

التباين في مصادر الثروة و الملكية أدى منذ فترات سابقة للاحتلال الى وجود فئات نشيطة ذات دخل متباين كانت العلاقة بينهم هي الحاجة ، فاقليم منطقة الحضنة المعروف المعروف بتربية المواشي أكثر من الزراعة ، عرف علاقات التعاون بين مالك الماشية و الراعي ، الا أن ظاهرة الاستقرار التي حدثت عقب السياسة العقارية الاستعمارية منذ القانون

المشيخي 1863/04/22 أدت الى ارتفاع نسبة الخماسة التي لم تكن توجد
الا في محيط مدينة المسيلة أو التلال الشمالية.¹

الخماسة ظاهرة اجتماعية و اقتصادية تعاقدية خلفت نظام الرق
القديم ، و الخماسة هي الجهد أو العمل الذي يقابل وسائل
الانتاج من الأرض و البذور و الماشية ،أي الجهد غير المأجور بالشهر
انما مشاركة في وسائل الانتاج بنصيب 5/1 الانتاج مع ضرورة تقديم
صاحب الأرض لعيش العامل الى غايى جني المحول .

وهو في هذه الحالة يختلف عن الكثير من مناطق الجزائر كإقليم التل و
القبائل ، لأن ظروف الانتاج المناخية مختلفة و تتطلب استمرار وجود
العامل بالأرض و سقيها وخدمتها .

ان شراكة الخمس حسب ما جرت عليه التقاليد الزراعية لإقليم منطقة
الحضنة تعتمد على توزيع عناصر الانتاج كالتالي²:

1- 5/2 خاصة بقيمة الأرض.

2- 5/1 خاصة بقيمة البذور .

1 -ACMM : B.233 , la vie du fallah et du pasteur Algériennes document

2- هذا التوزيع حسب الذاكرة الجماعية المحلية تختلفا أحيانا عند حالة عدم وجود الماشية تزيد
نسبة الأرض الى 5/2 ، و يبقى في كل الحالات الخماس يأخذ خمس الإنتاج .

3- 5/1 خاصة بقيمة الماشية .

4- 5/1 خاصة بقيمة العمل (الجهد الخاص بالخماس) .

و لتحليل نظام الخماسة يجب مراعاة الشروط التعاقدية التي أصبحت جزء من التقاليد المحلية البديهيّة ،التي تربط صاحب الأرض بالعامل او بالخماس ، فمن جانب الفلاح صاحب الأرض يتوجب عليه أساسا توفير ما مساحته 20 هكتار * مع البذور و الماشية (عادة أغنام أو أبقار)، مع تكفله بديون الخماس و مساعدته في اسكانه وتقديم بعض أجر عيشه قبل انتهاء موسم الحصاد، و تتكون عادة من 8 كيلات من الحبوب (3 قلات من القمح و 5 قليات من الشعير)¹.

ومن جهته يضمن الخماس حرث و زرع الأرض وحصاد المحصول و عناية الماشية و تنظيف الاسطبل ان وجد ، كما تساعد زوجة الخماس عند حملة الحصاد زوجه صاحب الأرض في تحضير الأطعمة و رعاية الأبقار و الأغنام الحلوب .

*لم تعد هذه المساحة شرط للتعاقد نظرا لتفكيك الملكيات الجماعية و تقلص أملاك الأهالي بأسباب المصادرة أو بيعها نتيجة العوز ولم يعد هناك ضابط في مساحة الأرض .

1 -القلبة وسيلة قياس الحبوب ، بحيث يعادل القنطار 5 قلات من القمح، و تعادل 3 قلات من القمح مقدار 18 كغ من الشعير-(ما تزال الى اليوم هذه المقاييس مستعملة بالحضنة).

ان النظام التقليدي بما يحمله من مصاعب و مجازفات ، وما يحمله من تعقيدات الشراكة هو رمز النظام الجماعي مدفوع بنمط الانتاج المعاشي الموروث و الذي لم يستطع الفلاح الحضني وفق الظروف الجديدة للإحتلال أن تخرج منه ، ولذلك بقي الفلاح يستثمر القليل من البذور لحاجته الغذائية و ثقل متطلباته مع الخماس ، و الخماس من جهته لا يقدم الا جهد قليل، بسبب سوء معيشتة، لذلك يمكن اعتبار أن نظام الخماسة من الوجهة النفسية كان في حالة ائزان بين العمل ورأس المال تنعكس على انتاج ما يحتاجه الاثنان دون مخاطر كبيرة .

الا ان ظاهرة الخماسة قد تطورت في اتجاهين متعاكسين بالنسبة للفلاح أو الخماس ، بحيث وجد بمنطقة الحضنة نمط الشراكة بالثلث وان كانت نادرة وهي طريقة مرنة لاستمرار الانتاج الزراعي بالنسبة للأهالي و توزع حصص الشراكة على النحو¹ التالي:

1 -ACMM : B.23 , la vie du fallah –OP.Clt .document .

جدول رقم 37 يمثل طريقة الشراكة في خدمة الارض او الخماسة

الخماس بالشراكة		الخماس		
15/4	5/4 ، 3/1	15/6	5/2	الأرض
15/4	5/4 ، 3/1	15/3	5/1	الماشية
15/4	5/4 ، 3/1	15/3	5/1	البذور
15/3	5/1	15/3	5/1	العمل
15/15	5/5	15/15	5/5	

وفي كل الحالات فإن الفلاح هو الذي يقدم الأرض و الخماس يقدم العمل و باقي العناصر من البذور و الماشية قد يشترك فيها آخرون¹، وكل ما كان الموسم ضعيف ازداد عدد الشركاء في العملية الإنتاجية ، وعادة ما تقل البذور و الماشية في مثل هذه المواسم ، و منطقة الحضنة بتأثير مناخها الجاف فقد تشابهت بها هذه المواسم الا أن احترام تقاليد الخماسة و الشراكة بقي يمثل نوع من القداسة و الاحترام عند

1 ACMM :, Monographie sur la commune Mixte de M'sila , 1906.

الأهالي مهما كانت المحاصيل ومن يخرج عنها يبعد من المجموعة ومن عمل الشراكة بصفة تكاد تكون نهائية .

و العادة جرت عند أهالي منطقة الحضنة أن شروط الشراكة و الخماسة تكون شفوية و سنوية فقط و تخضع الى سلطة الجماعة .

التطور الآخر لنظام الخماسة جاء بعد سلسلة من سياسات الاجتهاد و التفجير التي حملتها ادارة الاحتلال الفرنسي بالمنطقة، وأدت في النهاية الى تحول الفلاح المالك للأرض الى خماس في أرضه ، فلم يعد يستطيع استعمال خماس لخدمة أرضه لأنه افتقد الى المال و البذور و الماشية، ولم يعد بمقدوره حتى العيش البسيط ، لذلك أصبح خماس بالشراكة مع غيره في خدمة أرضه بنسبة معينة، وهي حالة صعبة اجتماعيا و معنويا على الفلاح وأصبح المثل يقال في الحضنة {خماس على أرضه} كتعبير على المصير الصعب للفلاح بمنطقة الحضنة التي تحالفت ضده عوامل الطبيعة و سياسة الاحتلال طيلة وجوده .

ويتم العمل بطريقة فردية وجماعية سواء للعائلة أو العرش بطريقة اتفاقية موروثية بين صاحب الأرض والعمال أو الخماسة حسب المساهمة في البذور والوسائل والسقي والخماسة نظام تقليدي قديم يبرز حالة البطالة السائدة من جهة وتأثير المناخ على الغلة التي يأخذ

منها الخماس 5/1 الغلة نقداً أو عينا وقد تعرض الخماسين في المنطقة إلى فترات صعبة قبل الحرب العالمية الثانية أدت إلى كثير من حالات الوفاة أو الهجرة بسبب عدم كفاية العيش .

كما وجدت الشركة بين أصحاب الأرض والعمال بنصيب يصل إلى 2/1 أو 3/1 الغلة أو 5/2 من الغلة ،خصوصا بين ملاك منطقة سهول تارمونت ونزلاء جبال ونوغة، وهي لا تقع إلا في نطاق أراضي الجلف بينما لا تصل النسبة سوى 1/5 الغلة في الأراضي المسقية مثل واد القصب الذي تصل فيه حالات الشراكة إلى اخذ العامل احيانا لنسبة الخمسة والعشر 1/5 و 1/10¹. كما هو حال أراضي الحشم² بمنطقة الشلال .إن دراسة لتطور زراعة الحبوب في المساحة والإنتاج بين السنوات الأولى لقيام بلدية المسيلة وبداية القرن العشرين تعطى دلائل اقتصادية واجتماعية هي انعكاس لتطبيق السياسة الاستعمارية الفرنسية في ميدان الملكية والأراضي.

1- ACMM:B, (Notice sur la Commune Mixte de M'sila 1906)

2-حسب عقود الشراكة التي تمت بين اعيان وملاك قبائل الحشم بمنطقة المسيلة واهل الحضنة ،وقع خلاف بين نسبة الغلة التي تقدم للخماس او العمل و مرد ذلك الاختلاف في نمط العمل الزراعي بين التل و الحضنة و تطلب الامر اللجوء الى القاضي الشرعي لمدينة المسيلة و الائمة لعقد الشراكة بينهما.انظر وثيقة عقد بين الحشم و اهل الحضنة في الملحق رقم. 2-

حافض القطاع الزراعي بمنطقة الحضنة منذ الاحتلال سنة 1840 الى غاية 1871 على نوع من التوازن بين التقاليد الزراعية للسكان في خدمة الارض و ملكيتها، ولم تعطي الأوضاع المناخية الصعبة التي سادت مردودية مقبولة او مشجعة لقدم المعمرين رغم الدراسات الفرنسية التي كانت تباهي بأرض الحضنة و جودة منتجاتها. فقد قدرت المساحة المخصصة للحبوب سنة 1879 بـ 57813 هكتار منها 11220 هكتار للقمح و 46599 للشعير و قدر الانتاج من القمح 10250 قنطار و من الشعير 46560 قنطار¹ سنة 1881 بـ 35000 هكتار بزرع منها 30.000 هكتار شعير الذي يعتبر أهم محصول ملائم لمناخ المنطقة ومصدر غذاء الإنسان علف والحيوان والأغنام وحققت المنطقة إنتاج قارب 250.000 قنطار² وفي نفس السنة توسعت المساحة إلى 60.000 هـ سنة 1906 بإنتاج 60000 قنطار³. معظمها شعير حيث لم يظهر بعد الاهتمام بزراعة القمح اللين.

1 -CAOM:8m43,renseignements economique sur l'annexe de m'sila (1879-1880)

2 -الجادة: بالزرع تأخذ قلبتين إلى 3 قلبات حسب قوة الأخصنة و طبيعة الأرض و هذا المصطلح يتغير في بعض المناطق مثل أهل المسيلة الدين لا يتكلمون بالجادة بل بالنوبة والشمسة أي بفترة السقي وليس بكمية البذور او مساحة الارض و ما تزال هذه التقاليد الزراعية مستمرة الى اليوم.

3- ACMM:, (Notice 1906.)

إن هذا التوسع في الأراضي الزراعية المخصصة للحبوب رافقه تحول في نمط الإنتاج الزراعي للحبوب من زراعة مرتبطة بالأودية الفصلية في مساحات محددة، إلى زراعة أساسية. وأدى هذا التحول الجوهري إلى تحول في مستوى معيشة السكان ووظيفتهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض وبالأرض، بحيث انتقل معظم السكان البدو الرعاة إلى مستقرين¹. أو شبه مستقرين بالأرض المخصصة لهم. بعد تطبيق قانون المجلس المشيخي وظهور التقسيم الإداري لدواوير البلدية بعد 1884، تغير نشاطهم إلى زراعة معشية كونت واقعا جديدا بعيدا كل البعد عن عقلية إنسان منطقة الحضنة. كما أدى تكوين مركز الاستيطان المسيلة بداية القرن 20 إلى التأثير على الفئة الميسورة التي كانت تملك الأراضي الخصبة بفحص المدينة بعد مصادرة أملاكها لصالح المعمرين وتحويل مجاري وادي القصب لفائدتهم².

إن الدلائل الأولى لهذا التحول هو تطور الاقتصاد الزراعي على حساب تربية المواشي الأصلية بالمنطقة، وتفقير السكان الرحل بعد

1- Haddad, M: op-cit p525.

2. -أدى ظهور المعمرين بالمسيلة إلى تحول غالبية السكان المصادرين إلى فقراء يطلبون من الحاكم العمل في أراضيهم بغرامات مالية وكانت عملية الموافقة على الطلب تتطلب موافقة وزارة الداخلية بجواب من باريس (رسالة أهالي المدينة إلى الحاكم : 22 جانفي 1889) ورسالة سلامي احمد بن الشريف 22 جانفي 1889 (ACMM,B,208,D1).

استقرارهم ، وادى هذا الاستقرار بهم إلى تحول نشاطهم من ملاكين للمواشي إلى عمال أجراء، يبحثون على العمل الموسمي عند المعمرين الجدد، أو كبار ملاك لأراضي المسقية بالمنطقة، وادى بدوره هذا الوضع إلى انتشار ظاهرة العمل الموسمي المرتبط بالحصاد أو جني ثمار البساتين والحقول بأجور لا تسد الرمق، وتقلص عدد المواشي بهذا التحول، فبعد أن كان عدد المواشي بمنطقة الحضنة سنة 1900 يزيد على 220.000 رأس وصل سنة 1940 إلى 100.000 رأس فقطن ويتم هذا في نفس الوقت الذي لم تقم فيه الإدارة الاستعمارية على إدخال أية تحسينات على أساليب الإنتاج للأهالي أو الدعم بالمياه او القروض رغم نتائج الدراسات الوافية حول حقول المياه التي تزخر بها المنطقة¹.

ظهور مركز الاستيطان بمدينة المسيلة و تاثير الوجود الكولونيالي نظام
السقي

1- Sebhi (s) : op-cit ...p111.

تأثير الاستيطان الاوربي في نظام السقي بمنطقة الحضنة

بدأ مشكل تقسيم مياه وادي القصب يطرح بقوة منذ تأسيس مركز الاستيطان سنة 1912 وتوسع المعمرين في الأراضي المسقية وإقامتهم لمصانع طحن الحبوب بمياه الوادي¹. لم يكن للمعمرين بداية تواجدهم بمدينة المسيلة إلا الأراضي المصادرة بعد ثورة المقراني 1871 أو الأراضي التي اعتبرها قانون سناتوس كون سيلت الخاص بمدينة المسيلة 1893 أراضي دومين والتي قدرت مساحتها 1240 هكتار كانت بمنطقة بشيلقا "زاي القديمة".

وبعد فشل عمليات التنقيب عن المياه التي استمرت بين 1850- 1896 في مواضع عديدة من بلدية المسيلة جاء قرار 15/06/1880 المنظم والموزع لمياه وادي القصب من منبعه إلى محيط الأراضي الزراعية بالمسيلة والذي منح للمعمرين نصيب 170/ل/ثا أي ما يكفي سقي مساحة 600 هـ وهذا ما دفع المعمرين والسلطة الاستعمارية إلى أخذ الأراضي القريبة من السقي من الأهالي والتي كونت في المجموع

1 - مثل إقامة المعمر Petit والمعمر Antoine barbct منذ 1867. بسدود على الوادي.

مساحة 2500 هكتار مسقية وعوض أصحابها الملاك الحقيقيون بأراضي أقل جودة بجنوب المسيلة تسقى بما تبقى من فائض المياه.

لقد حاولت فرنسا بقرار 1880 مجارات الواقع المحلي المرتبط بالنظام التقليدي للسقي من جهة وبواقع المعمرين الذين لم يكن عددهم القليل يسمح بإصدار تنظيم أقل توازن مع الأهالي، لذلك لم تعتمد فرنسا في توزيعها للمياه على توزيع الاعراش أو الفئات الاجتماعية بقدر ما اعتمدت فيه منسوب المياه ووفرته على الأهالي، بينما تخاضت عن هذا الأساس بالنسبة للمعمرين

لقد وجد الفرنسيين نظام تقليدي قديم في تقسيم مياه الوادي بين الأهالي يقوم على وجود عدة سدود لتحويل مياه الوادي نحو الأراضي الزراعية كما وجد تقليد بمحيط المسيلة يقوم على تخصيص مياه الوادي لسقي البساتين فقط من بداية الصيف (15 ماي الى 15 أكتوبر)¹.

وجدت اهم الاراضي الزراعية المسقية بمحيط مدينة المسيلة حيث تقدر بـ 13000 كم² كما وجد تقليد بها يقتضي تبديل الأراضي المسقية من سنة لأخرى وعرف "بالتبديلة" ووجد تقليد اخر يقتضي اخذ

1- ACMM,Bn210 (rapport , syndicat ,irrigation ,28 Dec1877)

الفرد نصيب من الماء مقابل أشغال يقوم بها في تنقية السواقي وبناء السدود زيادة على الكمية المعتادة لسقي بستانه، مازل مستمرا إلى اليوم. إن هذه المبادئ المتعارف عليها بين اهالي المنطقة اعتبرتها فرنسا تنظيما غير صارما ،ودفعها لإصدار قرارات تنظيمية بعد سنوات الجفاف بالمنطقة عندما، بدأت تزداد اعداد السدود على الواد بحيث وصلت سنة 1872 إلى 43 سد وارتفعت إلى 137 سد سنة 1877 ومما زاد في أهمية السدود على واد القصب هو ذلك التوسع الحاصل في المساحات المخصصة لزراعة الحبوب بمدينة المسيلة ومنطقة المطارفة والسوامع عبر سد خباب الذي يسقي اراضي عرش المطارفو و عرش السوامع ،وقد تطورت عملية تنظيم وتوزيع المياه في الأراضي الحي منذ 1850 وأصبحت الحاجة كبيرة اليها ، و استغلت فرنسا مكانة الماء بالنسبة لحياة الاهالي فقامت السلطة المحلية الفرنسية بفرض الغرامات على السدود و المياه وإلغاء بعض الحواجز والسواقي المستحدثة.

لقد وجدت فرنسا عدة سدود على مجرى وادي القصب الذي اعتبر اهم مجرى مائي منذ فترة الأتراك تقع شمال مدينة المسيلة توزع من خلالها المياه الخاصة بالغابة " البساتين " والخاصة بالحبوب هي : سد بوجملين "نسبة إلى زاوية مؤسس مدينة المسيلة سيدي بوجملين وسد

بوعافية أولاد سلامة وسد سباع الغربي وسد سباع القبلي . وجعلت المياه توزع كالتالي :

بعد إلغاء كل السدود المقامة من منطقة الحمام¹ إلى أول سد قديم بوجملين .

1 (في حالة تقلص منسوب مياه الوادي إلى أقل من 103 ل/ثا فإن التوزيع هو بالنسبة للبساتين

- أراضي ساقية بوجملين 3 هكتار من 15/3 لتر / ثا

- أراضي ساقية بوعافية 2 هكتار من 35/2 ل/ثا

- أراضي سباع الغربي 25 هكتار من 50/ 34 ل/ثا المعمرين

- ساقية سباع القبلي 41 هكتار من 63 ل/ثا

أما إذا ارتفع مستوى الماء بين 103-170 ل/ثا فإن نفس الأراضي تأخذ نفس الكمية وما بقي من المياه يوجه لسقي أراضي المعمر بيتي petit ومطحنته ونفس الشيء إذا زاد المنسوب عن 170 إلى 1843 ل/ثا .

(أما أراضي الحبوب : وهي الأراضي التي تسقي إلا في فصل الشتاء وبداية الربيع .

1 -مثل سد أولاد بديرة (رسالة الأهالي الأولاد بديرة 1923/1/20-) ACMM, B,210

أراضي سد بوجملين 135 هكتار حبوب 20 ل/ثا

أراضي سباع الغربي 1100 هكتار (خاصة بالمعمرين) 263 ل/ثا

أراضي سد خباب 1100 هكتار 297 ل/ثا

أراضي سباع القبلي 793 هكتار 283 ل/ثا

أراضي مزرير 2200 هكتار 628 ل/ثا

أراضي قرفالة 1100 هكتار 281 ل/ثا¹

لقد ظهرت تحولات عديدة في الفترة الممتدة بين 1880 - 1924 تاريخ القرارين المنظمين لتوزيع مياه وادي القصب ، فقد ظهرت إلى الوجود المستعمرة الفرنسية بمدينة المسيلة في محيط الأراضي المسقية وفي البساتين وإقامة مصانع طحن الحبوب على السواقي ، كما أدى استقرار السكان الأهالي وتحولهم من حياة البدو الرحل إلى الزراعة إزدياد حاجتهم لمياه سقي أراضيهم وازدياد الاهتمام بالسواقي والسدود وازداد معها النزاع بين الأهالي والمعمرين أو فيما بين الأهالي حول مياه مختلف الأودية ولعل بناء المعمرين لسد المستعمرة 1912 - 1913 كان من بين عوامل تدخل الإدارة في إطار إصدار تنظيم جديد سنة 1924 لم يخرج عن التنظيم القديم لسنة 1880 الذي مثل بدوره مظهر الفشل للإدارة

1- A.C.M.M, B, 209(Arrêté du 15/06/1880)

الاستعمارية في تلبية مطالب الأهالي وشكاويهم ضد المعمرين¹ خصوصا بعد أن تقلص الماء ولم يعد يصل إلى أراضي الأهالي الجنوبية إلا بعدما يزيد منسوبه عن 135 ل/ثا² والملاحظ أن الأراضي الجنوبية أكثر مساحة بينما أقل نصيب من الماء عن الأراضي الشمالية ، وهذه الحالة أدت بالأهالي إلى استعمال طرق عديدة لكسب الماء سواء بكرائه أو شراؤه أو سلفه . وعمد قرار تنظيم مياه وادي القصب الصادر 1924 إلى إبقاء المادة 6 التي تخصص كامل مياه الصيف (15 ماي -15 أكتوبر) إلى سقي البساتين دون أراضي الحبوب وأصبحت المياه توزع انطلاقا من سد المستعمرة الفرنسية³ الذي اعتبر في رقبة⁴ نظام السقي حسب التقاليد المحلية .

اعتاد سكان منطقة الحضنة خاصة اهالي المسيلة و الاراضي المحيطة بها على نظام توافقي بين الفلاحين في الاستفادة من استغلال مياه السقي باعطاء الاولوية لسقي البساتين على الحبوب من جهة،وعلى اعتماد دورات المياه التي تمنح حق السقي لبعض الأراضي مرة أو مرتين

1- A.C.M.M,B, 209D3(rapport subdivisionnaire 5/2/1917)

B,210 (lettre colons de M'sila 18/03/1922)

2- ACMMM,B, 209,D3(Rapport Administrateur 1917)

3- Des pois (J) ;op-cit ,203-205.

4 -تعبير محلي يدل على منطقة بداية جريان الماء والتحكم فيه. -

كل ثلاث سنوات وعرفت بالتبديلات ، كما جعل القرار الذي استصدرته فرنسا سنة 1880 الامتياز للأراضي الشمالية على الجنوبية، بحيث يجعل الاستفادة للمعمرين الذين استحوذوا على البساتين والأراضي الشمالية مثل (فورني Fournier) الذي أصبح له حق سقي أراضي الحبوب بموجب اتفاقية مع ادارة الاحتلال وقعت سنة 1880 قبل أن يبدأ توزيع المياه على الاهالي حسب السدود التقليدية الموجودة قبل ظهور المركز الاستيطاني الفرنسي بالمسيلة.

وينقسم الماء منذ خروجه من سد المستعمرة barrage de centre de colonisation إلى القرب من مدينة المسيلة إلى :

1- 2/5 من المياه يأخذها سد سباع القبلي الذي ينقسم إلى ساقيتين.

2- 3/5 من المياه تأخذها ساقية خباب التي تسقي أراضي المطارفة والسوامع بمنطقة بئر العانات .

وتظهر التبديلات في الأراضي المخصصة لزراعة الحبوب المسقية بساقيتي سباع القبلي: تبديلة السواقي وقذيفة 378 هـ ، 503 هـ والسمارة 811 هـ وهذه التبديلات لها حق السقي مرة كل ثلاث سنوات

حسب قانون 1924¹ لكن تأخذ كامل مياه الساقية . وجرى التقليد أن أراضي السمارة الواسعة تأخذ إلى جانب كامل مياه ساقية سباع القبلي مياه ساقية خباب وهنا تظهر أهمية دورة المياه أكثر من قيمة الأرض أما المياه المتجهة عبر ساقية خباب نحو منطقة المطارفة² والسوامع فيبدأ منسوبها بالتناقص وتتقلص بدورها المساحات المسقية ويتم تقسيم الماء بالتساوي بين المطارفة والسوامع عند نقطة بشيلقا "زاي القديمة".

وتظهر بهذه المنطقة عملية التناوب في سقي المياه التي تختلف حسب عدد الأفراد والمساحات المسقية وإلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية بقيت فرقة المطارفة تزرع وتحصد في إطار أراضي العرش الجماعية أما فيما يخص تقسيم المياه بمدينة المسيلة وبساتينها التي كانت تسقي وفق تقليد قديم سابق للاحتلال والذي يجعلها تستفيد لوحدها من كامل المياه من الفترة الممتدة من بداية الصيف المحلي 15 ماي إلى بداية الحرث 15 أكتوبر وقد وجدت عبر سواقيها سدود صغيرة موزعة للمياه حسب الحاجة والمساحة والعمل الجماعي للسواقي أو السدود . إلا أن تدخل الإدارة بقرار 1880 سمح للمعمرين من الاستفادة بمياه الوادي من

1-Despois;op-cit p204

2 -تبديلة قذيفة تعيد السقي كل 25 يوم بالنسبة لأولاد علي ،و 12 يوم للحواسنة ومنطقة تبديلة سكحالي 20 يوم- لأولاد بوعكر، 35 يوم لأولاد لوصيف و 12 يوم من لأولاد كحالي

خلال اتفاقيات جعلت المياه حكرا لهم وفي قبضتهم¹. وكان توزيع المياه بالمدينة التي تشتهر بوجود البساتين المختلفة يتم عبر ساقية سباع الغربي التي تزود الاحياء التالية:

- حي العرقوب : 18 ساعة من الأربعاء إلى الخميس منتصف الليل .
- أولاد تومي : 30 ساعة من الخميس منتصف الليل إلى الجمعة 6 صباحا .

- حي الكوش : 72 ساعة من الجمعة 6 صباحا إلى الاثنين 6 صباحا

- البايك : 48 ساعة من الاثنين 6 صباحا إلى الأربعاء 6 صباحا².

ولم يكن هذا التوزيع دائم الانتظام بدليل الاحتجاجات الكثيرة للسكان حول احتكار المعمرين للمياه في أعالي الوادي ولا قانون 1880 كان عادل اتجاه الجماعة باعتباره يمنحهم إلا 34.50 ل/ثا لسقي مساحة تزيد عن 50 هكتار .

1- كمال بيرم: من تاريخ حواضر الشرق الجزائري، الحضنة انموذجا، دار الاوطان الجزائر 2016.
الجزء الثاني.

2- ACMM,B, 210, (lettre du Djemaa de M'sila 11/06/1922.)

وقد استمر هذا النظام إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى
بعد تشييد سد واد القصب الذي انتهت الأشغال به 1940 .

تقسيم مياه وادي القصب على عرش أولاد ماضي :

تعتبر أراضي عرش أولاد ماضي الشمالية أراضي حي أي من
الأراضي المسقية ، لكن بدرجة أقل من أراضي محيط المسيلة بإعتبار سقيها
يرتبط بمدى كفاية الأولي من المياه ، وقد وجدت سدود على مجرى
الوادي لأهل المسيلة الذين يملكون البساتين ، وعادة ما يكون احتياج
أولاد ماضي من الماء بين شهري ديسمبر إلى مارس وهي فترة احتياج
الحبوب للسقي ، وكانت تقاليد المنطقة تنص على أن الماء ينزل إلى دوار

السعيدة و أولاد ماضي 15 يوم من كل شهر والنصف الآخر يبقى لأرباب السدود واستمر هذا التقليد إلى غاية ثورة المقراني 1871 حيث تغير الوضع بعد انتقال جماعة الحشم من التل إلى منطقة السعيدة من جهة، و بداية ظهور المعمرين بالمسيلة ، وإقامتهم لمطاحن مائية وإنجاز سدود مائية لها . وأصبح أهل المسيلة يمسكون ما بقي من المياه حتى كفايتهم، وإذا لم يكونوا محتاجين يسرحون كل الماء نحو السعيدة حيث تتكون قسمة له حسب سعة أرض كل سد من السدود المقامة على الواد بعد خروجه من المسيلة و هذه السدود هي: سد مزير - سد الغابة - سد بريقع - سد الخثيب -سد القايد سد البايك، أما منطقة أولاد معتوق وأولاد عيسي وسد السعيدة فيأخذون يومين لكل سد ، أما المهيرس والدودة وبن رابح والشنقية وسليم فيأخذون ستة أيام فيما بينهم جملة.والثلاثة أيام الباقية لسد سلطان¹ ومن معه بدوار مسيف² .

ولكن تقلص منسوب المياه التي كانت تصل العرش بعد بناء سد المركز الاستيطاني بالمسيلة 1912 . واستغلال القياد لسلطتهم في بناء السدود لسقي أملاكهم والتي عرفت بأسمائهم مثل "سد القايد" ضاعف

1- وهي المنطقة التي حفرت فرنسا بها بئر 1861 عرف بئر الصداقة-1- تهدم بعد 1 زلزال 1863

(Savornin;:op-cit,p.10.)

2- ACMM,B, , D3,(Rapport caid Boudiaf Mokhta 21/3/1908)

من تأثير الوضع الاستعماري الجديد على توزيع مياه وادي القصب على عرش أولاد ماضي بعد صدور القرارات التنظيمية ل 1924-1880.

فقد توسعت عملية توزيع مياه وادي القصب إلى الأراضي التي كانت تتبع البايك¹ خلال الفترة التركية والتي كانت تسقي عبر سد البايك الواقع جنوب مدينة المسيلة وتبلغ مساحة هذه الأراضي بـ 10400 هكتار إلا أنها حرمت من كمية المياه اللازمة منذ بناء سد المستعمرة شمال مدينة المسيلة خصوصا فصل الصيف ومنح لها قانون 1880 وقانون 1924 أخذ ما زاد عن منسوب 1843 ل م/ثا خلال فصل الشتاء فقط وباعتبار أن هذه الأراضي لا تمثل بالنسبة للإدارة الاستعمارية أو المعمرين أدنى اهتمام لبعدها عن المياه ونقص مردوديتها فقد اعتمدت فيها النظام التقليدي الموروث والذي يعتمد على تقسيم الجماعة لمساحات السقي².

1 - تقدر الأراضي التابعة للبايك والتي تسقي بسد البايك ب 76 جابدة أي ما يعادل 1520 هكتار وتشمل 890 عائلة من الأهالي و 1950 رأس من المواشي الكبيرة (جمال واحصنة ...) و 13100 من المواشي الصغيرة (أغنام وماعز) وكانت أراضي البايك تحتاج يوميا إلى 300 م³ من المياه والمواشي تحتاج 30م³ في الساعة أو 8ل/ثا . ACMM . Rapport Djemaa De Msila 15/5/1908

2 - كانت عدة سدود صغيرة تأتي بعد سد البايك توزع المياه على فرق المنطقة وهي حسب مجري الماء :

- سد بريقع (أولاد سديرة) السعيدة 1600 هكتار

وحسب تقسيم جماعة المسيلة لمياه الوادي فإن سد البايك يأخذ 48 سا أسبوعيا من يوم الاثنين 6 صباحا إلى الأربعاء 6 صباحا¹ وهذا التقسيم جديد بالنسبة للمنطقة وهو مخالف للتقليد الذي سبق ثورة المقراني 1871 والذي كان يسمح للأراضي الواقعة بعرض أولاد ماضي أخذ 15 يوم من كل شهر. أخذت مسالة السقي بمنطقة أولاد ماضي ابعاد اخرى، اضافة لتأثير الاحتلال و السلطة المحلية ،لأنها ارتبطت بتفاعلات احداث انتفاضة المقراني و قضية نقل قبائل الحشم الي المنطقة سنة 1876²، فاحتد النزاع بين اهالي الحضنة و اهالي التل من حشم المقرانيين، و لم يكن للاخيرين دراية لتنظيم السقي قبل مجئهم ولا تقبل لنمط الاستفادة من المياه و خدمة السدود، فكان ذلك من عوامل التأثير السلبية

-
- سد قصيب (أولاد معتوق) 700 هكتار
 - سد قصيب عيسى (دحاحية - المراشدة) 750 هكتار
 - سد السعيدة (السعيدى - بوراس - نخلة) 600 هكتار
 - سد الدودة (نخلة السعيدى - بوعبان) 700 هكتار
 - سد شناقية (بورنان - يتقة) 350 هكتار
 - سد بورباح (بوعبان) 400 هكتار =
 - سد سلين (بوعبان - بورنان) 600 هكتار
 - سد سلطان (أولاد عطية) 1200 هكتار
 - سدود مسيف (الناقة - البدية - معيوف) 2000 هكتار
 - المجموع هو 10400 هكتار
 - كمال بيرم: من تاريخ حواضر الشرق: مرجع سابق. 1 -

2 - ACMM:B210,syndicat irrigation.

على وتيرة الانتاج الزراعي في الاراضي المسقية بمنطقة اولاد ماضي التي كانت اهم المناطق التي تعرضت للمصادرة غقب انتفاضة 1871.

تنظيم السقي بوادي الشلال

يعتبر وادي الشلال ثاني أكبر وادي - بعد وادي القصب الى جانب وادي اللحم بإقليم منطقة الحضنة ، ينبع الوادي من منطقة ونوغة ويسمي بوادي الضلعة في منطقة الخرابشة ثم ووادي لقمان بمنطقة أولاد منصور وماضي ليتحول إلى وادي الشلال بمنطقة بياضة ثم وادي الشلال الذي يصب في شط الحضنة .وإذا كانت أهميته في المناطق الجبلية كونوغة والضلعة قليلة إلا أنها تزداد كلما إقترب من المناطق شبه الجافة ،خصوصا أراضي عرش أولاد ماضي وأولاد سيدي إبراهيم الذين توارثا نظاما تقليديا في توزيع مياهه قبل أن تحدث ثورة المقراني 1871 اهتزازات اجتماعية واقتصادية على المنطقة بظهور جماعة الحشم من جهة، وفي التحول الاقتصادي لأهل المنطقة في الاستقرار والاهتمام بالزراعة المسقية عقب تطبيق قرارات سيناتوس كونسيلت (المجلس المشيخي). فحشم مجانية منحت لهم بمنطقة أولاد ماضي مساحة 12000 هكتار مسقية بمياه الوادي الذي أقيمت عليه منذ مجيء الحشم

واستقرارهم بالمنطقة سنة 1976¹ مجموعة من السدود أفرزت منازعات جديدة على مياه الوادي قبل تكوين بلدية المسيلة المختلطة 1884. غير أن هذه المنازعات لم تكن من الأهمية لدفع سلطة الاحتلال للتدخل إنما الجماعة والأعيان هم الذين تكفلوا بذلك تحت إشراف قائد منطقة الحضنة آنذاك بوضياف الصخري الذي أبرم اتفاقية بين عرش أولاد ماضي وعرش أولاد سيدي إبراهيم التابع لمحيط بوسعادة آنذاك في 1882/12/11² نصت على التزام أولاد ماضي بعدم بناء سدود تمنع مرور المياه إلى عرش أولاد سيدي إبراهيم وقسم الماء ابتداء من تاريخ 1884 على النحو التالي :- يأخذ عرش أولاد ماضي مياه الوادي من 1 من الشهر إلى 11 من الشهر الفرنسي.

يأخذ عرش أولاد سيدي إبراهيم (بوسعادة) من 11 إلى نهاية الشهر . ويرجع نزاع أولاد ماضي وأولاد سيدي إبراهيم حول مياه الوادي الشلال إلى تداعيات ثورة المقراني على المنطقة وخروج أولاد ماضي من أراضيهم ثم عودتهم إليها³ حيث اصطدموا بحشم مجانية حول الأراضي ونظم سقيها وتطلب النزاع تدخل القيادة العسكرية لمحيط بوسعادة

1- ACM.M.B.209 rapport caid saida 26/12/1898

2- ACMM,B, 210(lettre du comandant du cercle Bousaada L'Administrateur de M'sila 6/12/1895).

3- ACMM,B, 209(rapport caid 26/12/1898)

التابع لقسمة المدية وقيادة محيط البرج آنذاك خصوصا أن مياه الوادي تعرضت إلى تحريف في مجراها بمنطقة بانيو مما أدى إلى عدم استفادة الحشم من مياهه. أدى الامر إلى تدخل سلطة الاحتلال المحلية سنة 1905 بإصدارها قرار 12/12 1905 حيث قسمت المياه كالآتي :

يأخذ عرش أولاد سيدي إبراهيم " بوسعادة " 16 يوم ماء

يأخذ عرش أولاد ماضي "مسيف " والحشم مجموع 14 يوم
موزعة بين السدود التالية: معلق راسو = 5 أيام ، سد مزابية = 4 أيام ،
سد التومي = 4 أيام ، سد تحتاني في 1 يوم إن هذا الاتفاق ورغم أنه
يخص الأهالي وهو يخفي نظرة السلطة إلى عرش أولاد ماضي الذي وقف
إلى جانب المقرانيين محاولة لترضية منطقة أولاد سيدي إبراهيم رغم أن
التقارير التقنية للمهندسين الفرنسيين كانت تشير عكس ذلك.

ووزعت المساحات المخصصة للري بمنطقة الشلال التي قاربت

جابدة

100

" 2000 هكتار " حسب السدود :

30 جابدة تسقي بسد المزابية

25 جابدة تسقي بسد معلق راسو

12 جابدة تسقي بسد الشطة

13 جابدة تسقي بسد أولاد التومي

20 جابدة تسقي بسد قاسم التحتاني

أما بمنطقة لقمان حيث يسمى الوادي بواد لقمان فتوجد الأراضي الحي بمنطقة أولاد منصور وماضي ويسودها نظام التبديلة حيث تقدر المساحة المسقية لتبديلتين ب 1011 هكتار تقع على يسار مجرى الواد . ضمن أملاك الدومين والكومينال بأراضي فرقة أولاد موسي وأولاد سيدي إبراهيم بينما أراضي الجلف تقع على الجهة اليمنى للوادي وقد وحدت ثلاث سدود على مجرى الوادي ترجع إلى فترة تاريخية قديمة مثل سد المليلية في الأعلى سد فاقس - سد الجساسة.

:نظام السقي بوادي سلمان :

لم تكن لمياه وادي سلمان أهمية كبيرة لدى سكان عرش أولاد دراج المعروفين بالحركة و التنقل باعتبارهم بدو رحل يهتمون أكثر بالمواشي من الزراعة ، الا أن تدخل الاحتلال بعد تطبيق قرارات المجلس المشيخي 1863¹، جعل السكان يستقرون بعد أن تمت عملية تحديد الأراضي وفق فرق العرش ، و يولون أهمية قصوى لمياه الوادي التي

1 -CAOM :m/sc/ tribu ouled Derradj , application des PV Senatus consulté 03/01/1867 , répartition des eaux .

تنحدر من مرتفعات جبال المعاضيد ، لم تكن ظاهرة بناء السدود موجودة قبل 1867 ، حيث وجد سد واحد على الواد هو سد سرحان

تنحدر مياه وادي سلمان من جبال المعاضيد الشمالية عبر سفوح أراضي عرش أولاد دراج¹ ، ولم تكن لمياه الوادي قبل الاحتلال أهمية كبيرة عند السكان بسبب حركتهم الدائمة في التنقل باعتبارهم بدو رحل ، غير أن قانون سيناتوس كونسيلت الذي كان عرش أولاد دراج أول منطقة عملت فرنسا على تنفيذ بنوده بها منذ 1867 حيث قسمت الأراضي وحددت المسالك وظهرت من خلاله الملكية الفردية على حساب الملكية الجماعية في إطار العرش ، كما كان الواد من المؤثرات الطبيعية في تقسيم العرش إلى فرق سنة 1887 كما هو الحال بالنسبة للسوامع الذين قسموا إلى 4 فرق يفصل بينهم وادي سلمان " بوحمادو" وهم : الهجارس وأولاد حديدان - غرب الواد واللوزان - وأولاد عبد الله شرق الواد وكان

1-Jean Brunhes:L'irrigation, ses conditions géographiques, ses modes et son organisation dans la Péninsule Ibérique et dans l'Afrique du Nord : étude de géographie humaine : thèse présentée à la Faculté des lettres de l'Université de Paris. -C. Naud (Paris)-1902_.

هذا التقسيم بداية المنازعات فيما بينهم على المياه¹ وفيما بين جماعة الحشم المهجرين من مجانة والسكان المحليين بعد سنة 1876. وتقدر المساحة المسقية بمياه وادي سلمان ب 293 جابدة

ورغم أن الوادي كان من مسؤولية الجماعة المحلية للأهالي إلا أن الإدارة كان لها تدخل بعد تعدد الشكاوى من الحشم والأهالي وكان ذلك من خلال صدور قرار المقاطعة بقسنطينة في 16 ديسمبر 1899 والذي كلف شيخ العرش وحارس الدوار والجماعة بتطبيقه تحت رقابة المتصرف الموجود ببلدية المسيلة² ونص القرار على توزيع أيام الشهر على أراضي العرش كالتالي:

- منطقة وادي سلمان 9 أيام
- منطقة أولاد عدي لقبالة 10 أيام
- منطقة مرابطين الجرف 4 أيام

1 - ظهر نزاع بين الفرق الأربعة على تقسيم مياه الوادي سنة 1891 أدّى إلى تدخل الإدارة الاستعمارية التي فرضت تقسيم بإعطاء كل فرقة 10 أيام تسقي في الوقت الذي أنعمت فيه على القياد والحراس نوبات وشمسات ماء (تقرير قايد الهجارس 1893/9/29)
2- ACM.M,B,210, (Irrigation syndicat.)

- منطقة أولاد دهيم 5 أيام¹

- منطقة وتيلان 3 أيام²

ومنذ 1867 تم تقسيم مياه الوادي على الفرق التي كانت تستفيد منه ومن مصبه وادي بوحامادو وهي (أولاد عدي الظهارة ، أولاد عدي القبالة ، دوار البراكتية ، أولاد ولهة ، أولاد قسمية ، و مرابطين الجرف) جعلت الادارة المحتلة دورة المياه لمدة 08 أيام الأولى ثم محمل المياه لأولاد عدي القبالة مدة 08 أيام التالية ، ثم يستفيد عرش مرابطين الجرف من المياه لمدة 04 أيام³ .

بعد الاحتلال قام الأهالي ببناء عدة سدود وصلت سنة 1929 الى 10 سدود تقليدية كانت نتيجة للتحويل الاقتصادي و الاجتماعي الذي حصل لبدو عرش أولاد دراج الذي استقر بالأراضي التي حددت له ، و أدى هذا التحويل الى الابتعاد عن التقسيم القديم لمياه الوادي ، الذي حدده قانون المجلس المشيخي 1967/01/03.

1 - تقدر الأراضي المسقية بالمطارفة وأولاد دهيم حسب مخطط 9 أكتوبر 1874 المقدم من طرف الجماعة (622 هكتار أي حرث 996 يوم منها 121 هكتار لأولاد دهيم .

2- ACMM, B, 59 affaire indigène ,lettre djemaa Ouled Dhim 22/4/1902

3 -ACMM : B.19 , Réglementation des eaux de L'aued selman arrête de 16 Décembre 1899 .

تأثير الاستيطان الاوربي على وادي بوحمادو ونظام سقيه.

أدخل الاحتلال تحولات عميقة في النظام التقليدي المتعارف عليه لدى السكان منطقة أولاد دراج و السوامع، فيما يخص طريقة و حصص السقي لكل فرقة من عروش المنطقة .لقد عرف السقي التقليدي بوادي بوحمادو الذي تسقى من مياهه اراضي عرش اولاد دراج و السوامع تنظيما يعود الى فترات سابقة للاحتلال ، وفق اتفاق تراضت عليه المجموعة الاهلية ،و حافظت من خلاله على توازنها و انسجامها الاجتماعي و الاقتصادي ، الا ان اعادة تنظيمه منذ 1867¹ في اطار تطبيق قانون السيناتوس كونسيلت الخاص بعرش السوامع قد احدث تغيرات انعكست سلبا على نمط الحياة بصفة عامة و السقي بصفة خاصة ، بحيث عمدت فرنسا بدافع الانتقام الى تقسيمه الى أربعة فرق هي اللواني - الهجارس -أولاد حديدان -أولاد عبد الله .

واتبعت الادارة نظام جديد في توزيع الحصص بدل النظام التقليدي المعروف لدى السكان ،و أعطت الفرق الاربعة الحصص التالية من نصيبها من مياه واد بوحمادو :

- فرقة اللواذي : 20 شمسمة .

1-كمال بيرم:من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني،الجزء الثاني مرجع سابق ص230.

- فرقة الهجارس : 16 شمسة .

- فرقة أولاد حديدان : 24 شمسة .

- أولاد عبد الله : 20 شمسة و قسمت فرقة أولاد عبد الله الى حصص حسب الفرق التابعة لها وهي كالتالي :

1- الجعادرية : 06 شمسات .

2- الخلوفية : 05 شمسات .

3- الزراعة : 05 شمسات ¹.

في حين استغلت الادارة الاستعمارية الوضع الجديد لما بعد انتفاضة 1871 و استحوذت على الاراضي المصادرة و قدمت بعضها الى أعوانها من القياد و الخوجات و الحراس حصص خاصة بهم كمكافآت على اخلاصهم لها مثل : النائب الأهلي الذي منحته : 03 شمسات و الحارس البلدي 01 شمسة واحدة .

غير أن الملفت للانتباه و حسب الوثائق الأرشيفية لجماعات المنطقة و ملاك الأراضي فإن التوزيع الفعلي لم يتم كذلك أبدا ، بل العكس الذي

1 -ACMM :B19 reglementation de L'eau .oued selmane.

حصل لمعظم سكان منطقة الحضنة خصوصا بعد ثورة المقراني التي أفرزت معطيات جديدة في جميع المجالات و منها زيادة نفوذ القياذ و أعوان الإدارة و أمتلاكهم و استفادتهم بأراضي جديدة وفي نصيب أوفر للمياه .

بحيث عرفت منطقة أولاد دراج و السوامع بمنطقة الحضنة سيطرة القياذ على أغلب الأراضي خصوصا في عهد القايد عجاي بن عزوز الذي فرض على أملاك الأهالي سلطته و استحوز على اكبر نصيب من المياه ولم يترك لهم سوى 5/1 من المياه.

وخلال سنة 1936 أحيل القايد عجاي بن عزوز على التقاعد و استطاعت فرقة أولاد عبد الله استرجاع أراضيهم وتم توزيع المياه كالتالي¹ :

1- فرقة الجعادرية : 5 شمسات .

2- فرقة الخلوفية : 5 شمسات .

3- فرقة الزرارة : 5 شمسات .

4- فرقة أولاد قمرة : 5 شمسات .

1 -ibid.

ويعتبر هذا التوزيع عودة الى ما جاء به قرار السيناتوس كوستيلت 1867 الخاص بعرش السوامع حيث تقلص نصيب الجعادرية الى 1 شمسة بينما استفادت فرقة أولاد قمرة لأول مرة من 5 شمسات .

ولم تقع احتجاجات على هذا التوزيع الى غاية 1951 عندما طالبت جماعة فرقة الجعادرية إعادة تنظيم السقي وفق قانون المجلس المشيخي وتم اصدار تنظيم بتدخل الادارة الاستعمارية بتاريخ 19/01/1952 جاء فيه توزيع المياه كالتالي¹ :

1- فرقة الجعادرية : 6 شمسات .

2- فرقة الخلوفية 5 شمسات .

3- فرقة الزراعة : 5 شمسات .

4- فرقة أولاد قمرة : 4 شمسات .

و رغم أن أولاد قمرة قدموا شكاوي عديدة ضد هذا التوزيع ،الا أن الادارة في تقاريرها كانت ترفض هذه الشكاوي لأن أولاد قمرة لا يستفيدون من سقي مياه مخزنية .

1 -ACMM :B19, réglementation de L'irrigation, - arrête du 19/01/1952 .

الجدير بالذكر أن قانون سيناتوس كونسيلت الخاص بعرش أولاد دراج المؤرخ في 03 جانفي 1867 وضع توزيع المياه السقي الآتية من واد سلمان عبر سد السرحانن السد الوحيد الموجود خلال سنة 1867 و كان التنظيم كالتالي :تأخذ فرقة أولاد عدي الظهارة (الساكنة سلمان) كل مياه الواد خلال 08 أيام الأولى للشهر .

الثمانية أيام الثانية تأخذ فرقة أولادي عدي القبالة كل المياه وكانت تضم هذه الفرقة كل من البراكتية و أولاد ولهة و أولاد قسمية .

و الأربعة أيام الموالية لذلك يتم اتجاه المياه السقي أراضي مرابطين الجرف و دورة السقي هذه تتم خلال 20 يوم من الشهر .

وقد تم اعادة تنظيم مياه السقي الخاصة بواد سلمان بقرار من الوالي سنة 1899 حيث وزعت كالتالي :

- 1- يأخذ دوار سلمان المياه خلال الثمانية أيام الأولى .
- 2- يأخذ دوار أولاد عدي القبالة المياه خلال الثمانية أيام الثانية .
- 3- يأخذ دوار المرابطين الجرف الأربعة أيام الثالثة .

-4 يأخذ دوار أولاد دهيم المياه لليومين التاليين و أصبحت دورة المياه تتم بعد 22 يوم

كما جاء في المادة 02 من نفس القرار أن دوار وتيلان يستفيد من المياه كل يوم أحد بمعدل 9 لتر في الثانية لسقي البساتين وعندما يقل منسوب ماء الواد عن 6 ل/ثا يأخذ الدوار الكمية ليوم الأحد و الخميس من كل أسبوع .

وقد سبق تطبيق قانون سيناتوس كونسيلت بالمنطقة أن اتخذت السلطات العسكرية آنذاك سنة 1866¹ اجراءات خاصة بحث وتشجيع السكان على اقامة حواجز مائية من أجل سقي زراعة الحبوب بالمنطقة و جعلت نصيب لكل من يقوم بأعمال الحفر و اقامة الحواجز دون غيره ، كما أن نصيب المياه الخاص بواد سلمان كان يوزع حسب عدد الخيم الموجودة آنذاك .

غير أن قانون 1899 عدل مرة أخرى سنة 1923 لكن لصالح الأراضي التابعة لدولة فرنسا Domanial و التي تم تأجيرها لأحد المعمرين

1 -ACMM : B87,rapport d'application du senatus , consulte ouled derradj .

الفرنسيين ،الذي استفاد لوحده بيومين سقي و أصبح توزيع المياه يتم كمايلي :

يأخذ دوار سلمان 08 أيام فيها 04 أيام لأولاد مناللة و 04 أيام لأولاد صالح .يأخذ دوار أولاد عدي القبالة الثماني أيام (04 أيام لأولاد ولهة فيها يومين للبراكيتية و يومين لأولاد قسمية ، بينما تمشي الأربعة أيام الأخرى لدوار مرابطين الجرف منها 04 أيام لفرقة الخلافيل، تأخذ منها فرقة أولاد بن صوشة يوم ونصف و فرقة العرايب نصف يومين، و تأخذ فرقة أولاد دهيم يومين ، و أراضي الدومين تأخذ يومين وهذا منذ 1923 و أصبحت دورة مياه السقي تتم خلال 24 يوم.ومهما استمر هذا التنظيم فإن كل الأهالي لم يكونوا راضين كليا عليه ،خصوصا فيما تعلق بمنح أراضي الدومين للمعمر الفرنسي نصيب يومين كاملين من جهة نومين جهة ثانية كثرت الإحتجاجات بين الأهالي على وضع السدود و تحويل المياه وتحولت الى نزاعات في المحاكم الفرنسية ،كما أن الأهالي الذين يتحكمون في مصب مياه الواد، وضعوا كذلك سدود قلصت من نصيب واد سلمان

لذلك نجد جماعة سلمان تقف في وجه التنظيم الأخير لتوزيع المياه بواد سلمان ،و ترى أنه من الضروري العودة الى قانون سناتوس كوسيلت

الذي جاء قبل بناء السدود الجديدة و انطلاقا من السد الوحيد آنذاك وهو سد سرحان ،وبسبب الخلافات الحادة التي جاءت على أثر تطبيق قانون 1923 التجأت الادارة الاستعمارية ومن أجل حل الخلاف الى ارسال لجنة بلدية بتاريخ :02 جوان 1934 وسجلت اللجنة اعتراض كلي لجماعة سلمان ضد أية محاولة لتنظيم السقي ، وقد رفضت جماعة سلمان سنة 1938 ، و السبب في ذلك ترجعه الادارة الى أن جماعة سلمان كانت تستفيد من السدود الخمسة الأولى التي وضعت قبل سد سرحان وهي سدود غير مصرح بها ، وأن جماعة سلمان تريد تحميل الادارة مسؤولية الوضع الذي ينجر عن هذا التنظيم وهو تهديد بالعنف¹.

نظام السقي على واد اللحم

يعتبر واد اللحم من الأودية الرئيسية بمنطقة الحضنة بعد وادي القصب وكان الوادي محل استغلال الوجود الروماني الذي أقام عليه السدود التي بقيت شواهدا الى فترة متأخرة ،خصوصا بموضع سد الجير و مواضع سد الزرباني .وعند بداية الاحتلال الفرنسي خضعت ادارة وادي اللحم ضمن الحكم العسكري لدائرة لبوسعادة و كانت عروش أولاد ماضي وكذا فرقة أولاد منصور و ماضي تستغل الأراضي

1 -ACMM:B19 Irrigation oued selman , lettre de préfet de commissariat à l'administrateur de M'sila , 04/01/1938 .

الواقعة على وادي اللحم قبل ذلك، وبعد ثورة المقراني 1871 نقل قبائل الحشم الى الأراضي السفلى لمجرى وادي اللحم، الا ان عودة الحشم الى التل بعد ان تركوا الأراضي لغيرهم لزراعتها بعقد الشراكة بمنحهم 3/1 الغلة ترك مسائل جديدة اغاقت نمط السقي المتعارف عليه .

- ينحدر واد اللحم من القسم الشمالي الغربي للحضنة الغربية من سفوح جبال الحضنة (جبال حمام الضلعة وتارمونت) وهو متكون من :

1- واد سبيسد الآتي من الأخضر و الأفول .

2- واد المالح الآتي من شمال الأخضر و الأفول أو العقول .

واد نمورة الآتي من ديرة حيث يتسع مجرى الوادي عند أعالي المرابطة لالة خضرة .و يصب واد الجنان الآتي من منطقة سور الغزلان وكذا واد العكير في وادي اللحم بالغرب من اراضي سيدي هجرس .

ويقدر منسوب وادي اللحم عند المنبع بـ 100-200 م³ في الثانية ويتضاعف المنسوب عند واد الجنان .

وينبع الوادي مصبه في شط الحضنة الى 16 كم من الشرق الى الغرب عند
بانيو عن منسوب 70 م³ / ثا .

لذلك كان اقتراح الادارة الاستعمارية ببناء سدود صغيرة عند منبع لالة
خضرة وعند سد الجير لسقي مساحات زراعية .

وحسب المرسوم التنفيذي للمجلس المشيخي لمنطقة وادي اللحم فان
الأخير صنف ضمن الأراضي التابعة للأملاك الدولة الفرنسية و تضم
المجاري التالية:¹

-وادي القارة -وادي ميسس-فيض واد الهلال ، واد العسلي و بياضة ،
وادي المالح خنقة الجلبانة -واد بوليلة -وادالسحالية ، واد الخنشاش ،
فيض خلوة بن معروف

وأهم الحواجز المائية و السدود التي ذكرها التقرير هي :

على وادي الشلال : 1-

- سد معلق راسو .

- سد المزابية .

1-كمال بيرم: من تاريخ حواضر الشرق،مرجع سابق.

- سد الشطاط .

- سد التونسي .

تقع بدوار أولاد بني يحيى و أولاد علي بن خالد¹ .

2- سد الشلال التحتاني -سد أولاد أحمد وسد أولاد زرد {دوار علي بن خالد}.

3-سد الوزناجي ، بن عطية ، أولاد أوشني ، أولاد الحواس ، أولاد علي ، أولاد بن نويبات .أما أهم السدود على واد الشلال فهي : سد سقام -سد أمهاني {أولاد علي بن خالد } -سد البحير -سد بوقفالة -سد عوق الحجل -سد الدريعات -{الأولاد يحيى} .

وخلاصة ان مشكل المياه بمنطقة الحضنة قد أدى في النهاية إلى تحديد مستقبل الزراعة الأهلية، وبقدرا كان نظام توزيع المياه لأودية الحضنة وخلال فترات سابقة للاحتلال عامل تضامن وتعاون وصلة بين الأهالي، بقدر ما عملت الادارة ومنذ السنوات الأولى لوجودها بالمنطقة ان تكون عامل فرقة ونزاع بين السكان.

1 - OP .Cit : P 246 .

إن الأسلوب الأهلي التقليدي في توزيع المياه، ورغم بساطته قد حافظ على حيوية المنطقة وعلى بساطتها ومن خلال ذلك على توازن البيئة المحلية، وهذا وجه من وجوه التضامن والتكافل الاجتماعي الذي ساد العلاقات الإنسانية منذ العصور السحيقة. كما عملت المياه بمحيط منطقة الحضنة على إيجاد موروث اجتماعي واقتصادي جعل الجميع ينضبط ويخضع له، سواء تعلق الأمر بحصص المياه أو توزيعها أو حدود الأراضي ونظم العمل الجماعي المتعلق بالسواقي والسدود التي مثلت أصالة وخصوصية بمنطقة منطقة الحضنة عن الجوار الجغرافي والبشري مثل اقليم التل أو الصحراء .

لقد مثل الماء والأرض القاسم المشترك لسكان لمنطقة، ورغم تحول الأرض تدريجيا من الإطار الجماعي العام إلى الملكية الفردية الخاصة بناء على النظرة القانونية الفرنسية الجديدة والمستحدثة والتي تقول ان المالك لشيئ ما فان الماء استمر في إطاره الجماعي وتحت سلطة جماعة الأهالي ولو لفترة متأخرة من بداية الإجراءات العقارية الاستعمارية بحيث ساهم الإدارة الفرنسي بعد تكوينه مركز الاستيطان المسيلة على إعادة تقنين توزيع المياه بقرارات تنظيمية (1880-1924) أدت إلى إضعاف الصلة بين الأرض والماء والجماعة، ولم تعد العلاقات انعكاس للنمط التقليدي الاجتماعي وكانت بذلك من عوامل التحول

الذي مس المجتمع والاقتصاد لبلدية المسيلة المختلطة والذي اثر كثيرا على مستوى معيشة السكان وجعل أغليبيتهم فقراء .

وسائل الاستيطان الاوربي في التأثير على المجتمع المحلي

تأثير شركة الاهالي للإحتياط Société Indigene de Prévoyance

ظهرت شركات الأهالي الاحتياطية SIP في الجزائر في عهد ماكماهون وبدأت في شكل أهراء لتخزين الحبوب منذ مجاعة 1867 وتضاعف عددها بين 1871-1882 ويعود تاريخ تأسيس شركة الأهالي الأولى بمنطقة منطقة الحضنة إلى سنوات تحول المنطقة إلى الحكم المدني عندما أنشأت شركة الأهالي الاحتياطية لبلدية المسيلة 1894/12/07¹، وكانت بلدية المسيلة أولى البلديات التي تأسست بإقليم الحضنة ككل. و لكن بعض تقارير التفتيش الخاصة بالشركة تشير إلى وجودها قبل هذا التاريخ بالمنطقة لكن لا نملك وثائق تثبت ذلك.

الشركة تحت الرئاسة الشرقية و الإدارية للمصرف الإداري للبلدية و مقرها هو مقر البلدية.

1- ACMM: B.241 , SIP de M'sila inspection , Fonctionnement Générale

م تكن هناك نصوص تنظيمية تحدد طبيعة الأفراد الذين يمثلون مجلس الشركة كما لم تكن الشركة متناسقة مع نصوصها مع باقي الشركات الأخرى.

أصبحت شركة الاحتياط لبلدية المسيلة تمثل قسمة واحدة مختصة بتقديم القروض فقط و بقيت كذلك بين سنوات 1894 إلى 1937، كانت مهمتها في البداية تقديم المعونة للأهالي بالبذور و كذا محاربة الفقر و بقيت هذه المهمة كشعار أكثر منه عمل ميداني.

من خلال قراءة لوثائق الشركة و تقاريرها السنوية ندرك بوضوح رغم تضاعف عدد المشتركين فيها أن الشركة لم تتعدى هدف تدريب الأهالي في مجالات الفلاحة والصناعة التقليدية ،لأن مسألة الانخراط في الشركة لم يكن عاديا و لا عن طوعية دائما ،لأن بعض المتعاضدين ثم تسجيلهم دون استشارتهم.

تحولت هذه الشركة بمرور الزمن إلى وسيلة تنمية الثروة لإدارتها ومساهمتها من المعمرين و ارتبطت مع سياسة الإدارة المحلية الحليفة مع أعيان المنطقة من القياد و ذو النفوذ.¹

1 3-نستشف هذا من استفادة عدد هام من القياد بالقروض دون باقي فلاحى المنطقة (وثائق ارشيف الشركة ، أرشيف بلدية المسيلة المختلطة علب بين 209-241) .

أدخلت شركة القروض sip نمط جديد في المعاملات التقليدية
لفلاحي منطقة الحضنة بحيث غدت حياة الفلاحة رهينة الاقتراض و
التبعية لشق اقتصادي وضعية المستوطنون ليؤدي بالفلاحين إلى مزيد
ممكن الإفلاس و صار الواقع أـمر و أكثر بؤس أشبه بالمستحيل و لم
تسجل طيلة فترة وجود هذه الشركة سوى سنوات قليلة من المحاصيل
الجيدة، لأنها احتكرت المحاصيل و البذور و تحولت إلى مستثمر في
العقارات و الأسلاك و استعمال الضغط عل المقترضين المدنيين لها.

و لم تعمل هذه الشركة و من ورائها الإدارة المحلية على تحسين
وضع الفلاحين و لو بدرجة بسيطة إلا بعد سنوات البؤس التي شهدتها
منطقة منطقة الحضنة خلال الحرب العالمية الثانية، أي بعد اندماج شركة
الاحتياط لبلدية المسيلة بشركة الاحتياط لبلدية المعاضيد المختلطة
1940¹. وكونا شركة واحدة أصبح مقرها بـرج بوعريـريـج و تعددت
نشاطاتها إلى جمع الصـوف و الجلود و الاستثمار الفلاحي كغرس
أشجار الزيتون.

ارتفع عدد المنخرطين بالشركة الاحتياطية إلى 6327 عضو سنة
1938 ثم 8155 بداية 1940 ثم إلى 12195 سنة 1945 و مرد هذا

1- ACMM: B.209, arrête du 27/05/1940.

الارتفاع هو عودة المعمرين إلى المنطقة بعد سنوات الحرب و حاجة الأهالي المتزايدة للحبوب سنوات ما بعد الحرب التي كانت أحسن مناخيا.

من خلال تفحص أرشيف هذه الشركة لم نجد إلا محاضر مكتوبة حول المسائل العادية، فيها ما يتعلق بمحضر 14 أوت 1942 الخاص بمنح قرض مالي بقيمة 8000 فرنك من أجل وضع بطاقات عائلية للحبوب، و كان هذا القرض محل انتقاد لجنة التفتيش الخاصة بشركات الاحتياط مراقبتها لسجلات الشركة المحلية للحضنة في أفريل 1944 كما أن معظم وثائق و أرشيف الشركة المحفوظ دون إمضاء الرئيس ولا تبدو نشاطات المجالس المنتخبة التي يقل عددها إلى 25 مجلس، كما أن هناك غياب تام لسجلاتالمشترك رغم أن شركة الاحتياط لبلديات المسيلة و المعاضيد هما شركتان لتقديم العروض إلا أنهما حسب التقارير التفتيشية من أحسن الشركات التي حققت نسب عالية من الإنتاج¹ ..

- قرض إلى مركز الاستيطان بالمسيلة سنة 1928 بقيمة 5193 فرنك.

1 -حققت على سبيل المثال فائدة سنة 1943 بقيمة 19777490 فرنك رغم صعوبة هذه السنة و السنوات التي قبلها على أهالي منطقة المسيلة .

ACMM : B.209 , rapport inspecteur –OP–CIT.

- قرض إلى مركز الاستيطان بسبب مكافحة الجراد سنة 1929 بقيمة 4085470 فرنك.

- قرض إلى مركز الاستيطان بسبب مكافحة الجراد سنة 1930 بقيمة 2265 فرنك

أما القروض التي استفاد منها قياد المنطقة فقد بلغت سنة 1935 قيمة 5660270 فرنك وجهت إلى كل من القايد النذير عيسى، و القايد محمد بوضياف محمد الصديق، بوضياف عبد القادر¹.

1 -أصبح من عادة القياد التماطل في دفع الديون ، وهذا أدى بالإدارة إلى اللجوء الى العدالة لمفاوضتهم مثل ما حصل لبوضياف عبد القادر ، وبوضياف محمد ، ACMM : B. 240

كما استفادت فئة اليهود من التجار و المتعاملين من نشاط هذه الشركة و تحولوا الى محتكري البذور و الحبوب وكونوا قوة مالية نافذة متأثرة على نشاط فلاحي منطقة بوسعادة و المسيلة و سيدي عيسى ، ومن بين العائلات اليهودية التي احتكرت أنشطة بيع الحبوب وكراء الأسواق ، عائلة شيش بورشيق (المسيلة ، بوسعادة ، سيدي عيسى) جوزيف حاوي (بوسعادة) يعقوب أطلان (المسيلة ، بوسعادة)¹ ، هذا في الوقت الذي أفقر فيه الحضيون الى بذور الحرث بعد حبوب المعيشة وخاصة سنوات القحط 1936-1937 ، وهذا بشهادة المتصرف الإداري نفسه . وكذا شهادة تقارير أغلبية قياد دواوير منطقة منطقة الحضنة التي أجمعت على رداءة المحصول هذه السنوات، وفي الوقت الذي ساء حال الأهالي أيام الحرب العالمية الثانية ، كانت الشركة الجديدة تقدم مساعدات المختلفة المالية و الغذائية لحكومة فرنسا الحرة التي كانت تمثل ضعف القروض المقدمة لأهالي منطقة الحضنة بكاملها ، كما قامت باستثمارات ناجحة في زراعة الزيتون .

1 -كان اليهودي بشيش بورشيق المعروف بالحضنة يحتكر الحبوب و البذور ليرفع من أسعارها، وتحصل على صفقة بكمية 1000 قنطار بأقل من 103 فرنك للقنطار .

وأشارت تقارير الشركة قبل ذلك بنجاحاتها في الفوائد المحصلة سنة 1934 بقيمة 2728428 فرنك كما وصلت سيولة شركة التغذية في نفس السنة 1915283 فرنك وقدت اعانات للحكومة الفرنسية بقيمة 1000 فرنك كما ارتفعت قيمة اشتراك اعطائها من 50238 فرنك سنة 1936 الى 389735 فرنك سنة 1945¹. المشاريع الهامة التي حاولت الشركة القيام بها باقليم منطقة الحضنة من تأسيسها الى غاية الحرب العالمية الثانية تمثلت في مشروع القرية الزراعية بدوار الجرف بعرض أولاد دراج و الذي انطلق سنة 1938 وهو مشروع خاص بغرس أشجار الزيتون وتم غرس 1000 شجرة بقيمة 27698 فرنك وقد أوكل الى الاتحاد العم لشركة الأهالي الاحتياطية الموجودة بالمعاuid *.

وفي 15 سبتمبر 1949 تحولت شركة الأهالي الاحتياطية الى شركة تطوير الريف SAR وحاولت أن تنجز بعض المشاريع باقليم منطقة الحضنة لم تتعدى نطاق التجارب الزراعية مثل المشتلة الخاصة بالأشجار المثمرة لمحيط مدينة المسيلة ، ومحطتين تجريبيتين لزراعة الزيتون بدوار المطارفة وثلاث محطات لتربية المواشي وفي دوار بئر العربي وبئر القلالية

1 -ACMM : B.238 , Contrôle générale de la mutualité et prevoyance rapport 04/04/1944.

بمنطقة الرمل ، كما حاولت الاستفادة من انتاج المشمش التي تشتهر بها
الحضنة في اطار تحويله الى مصانع بوفريك بالعاصمة .

ومن بين المشاريع المرتبطة ببرنامج تطوير الريف ، قامت الشركة
الجديدة SAR بمشروع بناء قريتين فلاحيتين بدوار الجرف و بن صوشة
لاستثمار مشئلة المسيلة الخاصة بغرس الزيتون الى أن هذه المشاريع لم
تتحقق ما يتوازن من نسق الحياة الريفية التقليدية لسكان الحضنة
فانصرفوا عنها الى غاية تحول هذه القرى لأهداف أخرى¹ كما انصرف
السكان عن الزراعات الداخلية التي حاولت الادارة تشجيعها مثل زراعة
الزيتون و زراعة التبغ.

لقد كانت شركة الاهالي تمثل جزء من اليات الاستغلال الراسمالي
الاوربي بمنطقة الحضنة ،و حاولت ان توفر للاحتلال نوع من الاستقرار في
الريف ،الا ان الذي حصل هو انها وفرت دعم للمعمرين من خلال
تدعيم شركة الاحتياط الاهلية بالصندوق الجزائري للاعتماد الزراعي
التعاوضي سنة 1935 .²

1 تحولت قرية الجرف وبن صوشة لمشروع تحسين الريف الجزائري الى معتقل عرف بمعتقل
الجرف المشهور خلال الثورة التحريرية (ارشيف بلدية المسيلة) .

2--عبد اللطيف بن اشنهو: تكون التخلف في الجزائر ، محاولة لدراسة حدود التنمية الراسمالية
في الجزائر بين عامي 1830-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1979،ص337.

خلاصة القول أن الاستعمار الفرنسي مع علمه بما آله إليه سياسته الاقتصادية والاجتماعية وما قامت به من مصادرات للأراضي و استغلال المياه وفرض ضرائب على السكان لم يكن يتوقع نسبة معينة من التحسن بقدر ما كان يعمل بوسائل موازية كشركة الأهالي الاحتياطية لتحقيق مزيد من الاستغلال ومن البؤس والحرمان للأهالي .

النشاط التجاري الاستيطاني وتأثير النظام

الضريبي الاستعماري

تعتبر منطقة الحضنة منطقة تماس و عبور بين اقاليم التل و اقاليم الصحراء، كما مثلت منذ القدم خزان الماشية من الانواع الجيدة، و قد اشتهرت

بحرف ارتبطت بالمقومات الطبيعية و الحيوانية المتوفرة بها مثل النسيج و الصباغة و الدباغة و الجلودو غير ذلك.

اشارت التقارير الاولى لطباط الجيش الفرنسي عن طبيعة المنتجات الزراعية و ثمارها و منتجات مصنوعاتا التقليدية،الا ان السياسات الاستعمارية المختلفة قد ادخلت تحولات جوهرية في انواع المبادلات التجارية و حجمها بين الاهالي و العناصر الاوربية .وإذا كانت الصناعة تكاد تكون معدومة بمنطقة الحضنة فإن ثروتها الحيوانية جعلت سكان المنطقة يتجهون الى الصناعات التقليدية التي غلب عليها الطابع المعيشي وذات المردود الضعيف كصناعة الجلود والزراي وصباغة الصوف والنسيج والأواني الفخارية¹.والحلي إلا أن الشيء الملفت للنظر هو تدهور مكانة منطقة الحضنة خصوصا مركزها المسيلة ،من الناحية التجارية لينتقل إلى مدينة بوسعادة.وقد وصف الضابط دوما انواع السلع التيكانت اكثر تداول و اهم الاسواق التي تتركز فيها الحركة التجاريةسبب انتقال المعمرين بعد ثورة المقراني من مدينة المسيلة إليها .

الوضعية التجارية لمنطقة منطقة الحضنة كما أشارت إليها التقارير كانت متواضعة من حيث حجم المبادلات ،و يعود ذلك الى طبيعة الاقتصاد المعاشي الحيواني و النباتي و الذي لم يسمح بتطور الحركة التجارية إلا في إطار الأسواق الأسبوعية .من بين العوامل التي ضاعفت عملية فقدان المنطقة لحيويتها التجارية هو ظهور النقد الفرنسي كوسيط للمبادلات و من خلاله توسع تأثير الضرائب

1 - ACMM;B, 54, (rapport caïd Boudiaf Med 9/12/35; Ferraud ;(CH):Histoire des villes;P330.

المفروضة على السلع و المنتجات و الحيوانات .و ب من الضرائب المفروضة على
قيمة بعض الحيوانات سنة 1856.

جدول يمثل الضرائب المفروضة على المواشي بداية الاحتلال.1856

النوع	الثلث	قيمة الضريبة	المدخول
الخروف	20 فرنك	0.15 فرنك	10 فرنك
الجمال	200 فرنك	2.50 فرنك	05 فرنك
الناقة	275 فرنك	250 فرنك	45 فرنك
النعجة	20 فرنك	0.15 فرنك	10 فرنك

وكان ارتفاع قيمة الضرائب المفروضة على الماشية من بين العوامل التي
دفعت السكان و الموالة الى التخلي التدريجي على الأصناف التي يدفع من اجلها
ضريبة عالية كالجمال و أصبحوا يهتمون أكثر بالأغنام الأقل ضريبة.¹ كما فرضت
الإدارة الاستعمارية ضرائب على الحبوب مثل الشعير و القمح و التمور و التي
كانت أسواق منطقة الحضنة كسوق المسيلة و سوق أولاد نجاع و سوق ملوزة
أكثر استهلاكاً لها.و ربطت أسواق الحضنة علاقات مع تجار الزيبان و القبائل

1 على سبيل المثال ارتفعت قيمة الضريبة على الجمال من 2.5 فرنك سنة 1856 الى 4 فرنك
سنة 1880. كما ارتفعت ضريبة الخروف من 0.15 فرنك سنة 1856 الى 0.25 فرنك سنة
caom:8h7,notice historique sur M'sila,Bousaada,Bordj. 1880

و عادة ماكانت عمليات البيع تتم بعامل الثقة التي تكونت على مر السنين وجعلت أسواق الحضنة منتعشة ومحل قدر وإقبال لدى تجار الجهات الأخرى إلا أن ظهور فئة المعمرين بمراكز الاستيطان بالمسيلة و بوسعادة حولت الأسواق إلى سيطرتهم فاحتكروا عمليات المزايدات التي كانت تتم حول كراء الأراضي أو شراء السلع المصادرة من الأهالي و عمليات كراء الأسواق¹.

كانت الضرائب جزء من الوسائل القمعية والردعية على الأهالي وفي نفس الوقت وسيلة ابتزاز ودخل لخزينة الاحتلال بالمنطقة، ورغم أن الإدارة الاستعمارية فرضت أنواع عديدة من الضرائب المستحدثة على الأهالي فقد حافظت على نمط الضرائب المفروضة على الأهالي في العهد التركي مثل الزكاة والحكور و العشور ونتيجة لمصادرتها أملاك واسعة للأراضي الخصبة التي كانت بيد الأهالي أو الذين ثاروا مع المقراني أو ما بقي من أراضي المخزن فقد كانت أراضي الدومين المستحدثة تدر من خلال كرائها أموال إضافية خصوصا في منطقة بشيلق والسوامع وأراضي المخزن سلمان .

ومنذ تطبيق قانون سناتوس كونسلت بالمنطقة سنة 1867 ظهرت أنواع جديدة من الضرائب على الأهالي مثل ضرائب العبور في المسالك وضرائب مياه السقي وضرائب على الأنشطة المقامة على الأودية والسواقي كالمطاحن الخاصة بالحبوب التي كانت تفرض عليها غرامات تصل بين 12 إلى 26 فرنك للمطحنة²، ورغم حالة الفقر و العوز التي كان عليها معظم الأهالي فقد بادرت فرنسا بواسطة أعيانها من

2- كمال بيرم: من تاريخ حواضر الشرق، مرجع سابق، صص. 227. 221.

2- ACMM;B;181 Rapport Administrateur : 12/05/1912.

القياد في استخلاص الضرائب المختلفة التي تؤخذ على مختلف الأملاك والمواشي التي تحضى بدقة من طرق قياد دواوير بلدية المسيلة¹، ورغم إجراء التهجير والمصادرة الذي حل بجماعة الحشم المحولين إلى بلدية المسيلة فقد فرضت عليهم ضرائب سنوية تدفعها مختلف فرق الحشم²، إلى خزينة محيط برج بوعريرج.

أما أهالي المنطقة فقد فرضت عليهم غرامات تحديد الأراضي حسب قانون سيناتوس كونسيلت والتي تراجعت أحيانا الإدارة الاستعمارية عن جزء منها بعد حدوث النزاع بين السوامع والحملاط 1869 ثم الغرامات الحربية المتفاوتة بعد ثورة المقراني وخلال الحكم المدني فرضن ضرائب في إطار القيمة المضافة وضريبة ذبح الحيوانات وضرائب على زيادة الحمولة على الدواب وحتى على الدابة المدبورة حسب التعبير المحلي .

ووجدت ضريبة تصريف المياه بمدينة المسيلة رغم أنها كانت تتبع المنحدر الطبيعي للمجرى، وحتى السهرات الليلية التي تقيمها فرنسا يجب على الأهالي دفع ثمنها والكلاب التائهة التي لا تحمل أسماء أصحابها تفرض عليهم غرامات، أما المكوس فقد اختلفت قيمها حسب طبيعة البضائع والمواشي في إطار واجب الضيافة للقياد وأعيانهم عند الزيارة وتقديم الأضاحي والهدايا خوفا من

1- ACMM,B,210D3, (irrigation syndicat)-(B,287 rapport caïd 29-09-1893

2 - كانت تدفع سنة 1881 فرق 3380 ق، صنادة 1440 ف (انظر كمال بيزم، مسالة قبائل الحشم، مرجع سابق).

العقاب¹، كما وجدت ضريبة المعونة الجماعية التي تفرض على الجماعة أو العرش في حالات الحاجة أو مشاريع السلطة الاستعمارية ذات الصلة. العمومية²، وضريبة القوم التي تدفع لمواجهة أعباء الفرسان المرافقين للجيش الفرنسي أو القافلة³. الضرائب الرسمية والدائمة قسمت بين ضريبي الطريق والزكاة وهي ضريبة.

إلا أن أخطر ما ظهر خلال الفترة التي أعقبت تكوين مراكز الاستيطان في مجال التجارة هو ظهور فئة المحتكرين من اليهود و المعمرين الذين تحالفوا على أرزاق الأهالي بعد أن ادخلوا وسائل الربا في القروض و المراهنات الربوية وعقود الائتمان، فكثر دكاكين التجارة و مخازن الحبوب بمركز الاستيطان بالمسيلة و بوسعادة .

كان ازدياد عدد التجار موازي لارتفاع أسعار المواد كالحبوب ، لقد دفع غلاء الأسعار في ظل قهر الاحتلال إلى ظهور مظاهر السرقة و قطع الطرق على القوافل التي أصبحت تسافر مجتمعة تصل أحيانا مرفقة بـ 80 فارس مسلحين في نهاية القرن التاسع عشر . اما المبادلات التجارية الواسعة الانتشار فقد وصلت قيمتها في بعض اسواق منطقة الحضنة مثل سوق اولاد عدي بعرض اولاد دراج و يعرف

1 -فيليب لوکا،جون كلود فاتان ،جزائر الانثر وبولوجيا -نقد السوسولوجيا الكولونية منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال 2002 ص 157.

2- ACMM,B,133, (Rapport caid M'sila (12/1/1938).

3 -فيليب لوکا: المرجع السابق ،ص 157.

بسوق الاثنين سنة 1858 الى 348886 فرنك بينما بلغت بسوق بوسعادة 655035 فرنك .

اما سوق مدينة المسيلة فقد سجل سنة 1881 دخل بقيمة 2000.000 فرنك بعد ان ارتفع عدد التجار بها من 200 الى 500 تاجر.¹ الإحصائيات المقدمة في تقرير المتصرف الإداري لبلدية المسيلة المختلطة سنة 1906 تشير إلى استقرار قيمة المبادلات بين سنتي 1881 و 1906 والتي قاربت معدل 1000000 فرنك فرنسي رغم ارتفاع عدد التجار من 200 إلى 500 تاجر وهو ارتفاع نتيجة التحول الحاصل في قطاع تربية المواشي واستقرار البدو الرحل بقرب مركز البلدية . كما أن مقارنة بسيطة بين قطاع التجارة عند الأهالي وعند المعمرين من حيث قيمة المبادلات التي تعبر عن رقم الاعمال المتداول، تعطينا دلالة واضحة عن الفارق الشاسع في الثروة والنشاط رغم قلة العنصر الأوربي بداية تكوين البلدية بحيث ارتفعت من 2000000 فرنك سنة 1881 إلى 2500000 سنة 1906² دون حساب معاملات الشركة الأهلية الاحتياطية "SIP" التي بلغت قيمة معاملاتها سنة 1906 بـ 500000 فرنك . ولم يكن يزيد عدد الأوربيين في هذه السنة عن 110 نسمة ، وهو دليل على التوسع السريع لهذه الفئة في الملكية والاستغلال على حساب السكان المحليين الذين تحولوا إلى أغلبهم طبقة فقيرة .

1- كمال بيرم:من تاريخ حواضر،مرجع سابق.صص 330.335.

2- ACMM; B, 181; rapport Administrateur 28/03/1906. DeGalland ;op-cit P82.

لقد كان تجار أسواق المدينة يعتمدون على مدى طلب سكان المنطقة الذين يتوافدون أيام الأربعاء والخميس ،خصوصا الحبوب ووسائل وعتاد الأحصنة،وبعد التدهور الحاصل في تربية المواشي إنعكس ذلك على وضعية التجارة بركودها على مستوى الأهالي خصوصا إذا علمنا أن التجارة المحلية في هذه المنطقة وفي مناطق أخرى في الهضاب العليا كانت اغلب المبادلات تتم عن طريق المقايضة،مثل مقايضة التمور التي تأتي من الجنوب عن طريق الرحل بمواد أخرى،ومقايضاها للمعاديد الذين يجلبون الحطب مقابل الخضروات مدينة المسيلة ثم ان إدخال العملة الورقية ،الفرنك ادخل الاقتصاد الجزائري برمته والاقتصاد المحلي الى المعاملات المفتوحة وهذه الظاهرة الاقتصادية الجديدة أحدثت نوعا من الانقلاب في حياة مجمل الناس وأدت إحدى عوامله إلى التفكك الاقتصادي ،كما أصيبت بدورها العلاقات الاجتماعية بخلل نتيجة هذه المعاملات الجديدة¹ وأصبحت أسعار المواد تحدد بقرارات المتصرف الإداري ،مثل الخبز و اللحوم و الحليب و خدمات المقاهي و الحلاقة و الجدول التالي يبين جانب من أسعار بعض المواد و تطورها بين سنة 1881-1906²

جدول أسعار مواد بين 1881-1906

1- Haddad ,(M);op-cit ,p525.

2- ACMM:B,108,op-cit;Annuaire de l'Algérie et Tunisie,p315.

المواشي والمواد	سنة 1906	عدد البيوع	قيمة البيوع
الأغنام	20 ف	50000	180000 فرنك
البقر	100	120	100000
الجمال	125	1000	125000
الأحصنة	150	1000	25000
الشعير	20	500	
القم	32		
	3		

الجدول السابق لحركة الأسعار بين السنوات المذكورة تعطي الانطباع على أن أسعار المواد المذكورة قد تراجعت قيمتها التجارية و تراجع سعرها بين سنة 1856 و سنة 1881 و التراجع الحاصل مثلا في قيمة الأغنام أو الجمال يرجع من جهة إلى كثرة البيوع في هذه الأنواع و إلى تعدد التجار و محلات اللحوم من جانب آخر لكن لا نعتبر أن هذه البيوع كان سوقها مناطق منطقة الحضنة، إنما توجه تجارتها لمناطق الوطن المجاورة كأقاليم الهضاب العليا القسنطينية و بلاد القبائل

إلا أن هذه الظاهرة المتعلقة بانخفاض أسعار المواد لا تستمر طويلا، بحيث تشهد منطقة الحضنة فيما بعد أوضاع صعبة من حيث تقلبات المناخ وظهور الأمراض

و قلة الكلاً،ساهمت مجتمعة في تقلص المنتجات النباتية و الحيوانية ، وبذلك تحول اتجاه الأسعار نحو الارتفاع المستمر خاصة بين سنوات 1932و 1945. كما يوضحه الجدول التالي¹.

جدول رقم 43 يمثل تطور اسعار بعض المواد بين 1932-1945.

المواد	1932	1936	1940	1945
لحم البقر	4 فرنك	5 فرنك	22فرنك	30 فرنك
لحم الخروف	1 /	4.5 /	20 /	27 /
لحم الماعز	4.5 /	3 /	15 /	17 /
لحم الجمال	3.5 /	3.5 /	15 /	17 /

من قراءتنا لبعض الإحصائيات المتعلقة بالإنتاج الحيواني و تجارته استنتجنا ضخامة البيوع المتعلقة باللحوم في مختلف أصنافها ،و نبرر ذلك بعدة عوامل ،منها الاستهلاك الواسع للحوم بمنطقة منطقة الحضنة و التي يكاد اللحم من المواد الضرورية للمواسم و الأفراح و المناسبات الاجتماعية ،و تنفرد المنطقة

1-ACMM:B102.,DELEGATION GENERALE DU
GOUVERNEMENT,.,SERVICES VETERINAIRES

بعادة الوزيجة¹ التي تكاد تكون يومية في الأسواق و الساحات العامة إلا ان ما نسجله على ضوء استبيانات القيادة المقدمة للإدارة أن سكان منطقة الحضنة لا يستهلكون اللحم إلا قليلا.²

يمكن رد انتشار عملية تجارة اللحوم إلى احتكار شركة اللحوم الاستعمارية التي كانت تفرض سيطرتها على الأسواق و تجار المواشين، و تأخذ أحسن القطعان بأثمان محددة لتبيعها بالعاصمة بأثمان مرتفعة، و قد ارتبط ارتفاع الأسعار فترة الحرب العالمية الثانية بعمليات الذبح الفاحشة الموجهة للجيش الفرنسي.³ لقد تعرضت منطقة الحضنة خلال الحرب الثانية إلى نهب رهيب للثروة الحيوانية من طرف محتكري تجارة اللحوم بغطاء الديوان الجزائري للحوم الذي يقوم بمساعدة اللجان البلدية بإحصاء المواشي بعد تجميعها ثم تختار الأنواع الجيدة من الأغنام أسبوعيا في الأسواق العامة التي تظم أحيانا أكثر من 4000 رأس في سوق واحدة. و لم تكن الأسعار المفروضة مناسبة للأهالي مما كانت تحصل عمليات مواجهات و محاولات الهروب من الأسواق التي تكون محاصرة عادة بقوات الدرك و الشرطة.

1 - عادة ما يقوم أهالي منطقة المسيلة بذبح الأغنام او البقر و تقسيمها إلى أسهم مقدرة بثمان الشاة و تقسيمها على عدد الأفراد و حتى عندما تكاد تموت بعض الأغنام فإنها تذبح و توزع على من يريد و قد تحولت إلى عادة دائمة انتقلت من اللحوم إلى المنتجات النباتية و الفواكه كالمشمش و الفول و غير ذلك.

2-ACMM:B66,rapport des caïd,renseignement sur le niveau de vie des Indigenes 1937.

.3-ACMM:B102,office algérien de viande, compte rendu 21/4/1944.

لقد شهد مركز الذبح خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1945 بمدينة المسيلة نشاط هام تمثله الأرقام التالية لرؤوس الأغنام التي تم ذبحها و أوزان اللحوم المباعة.

جدول يمثل تطور عدد الأغنام التي تم ذبحها و أوزان اللحوم المباعة بين 1942 إلى 1945.¹

السنة	الأبقار	وزنا للحوم	الأغنام	وزنها	الماعز	وزنها	الجمال
1940	80	7580 كغ	1850	25680 كغ	24	268 كغ	7
1942	146	12960	4297	63416	1113	12659	32
1945	396	355560	7149	101372	2093	23598	66
1954	1414	126858	7585	108363	102	1092	299

جدول تطور² سعر الخبز بين سنة 1935-1938

1 -ACMM:B102,délégation général du gouvernement,services vétérinaire,élaboration du plan de Constantine,hodna ouest,30/4/1959.

2 -كمال بيرم:من تاريخ حواضر مرجع سابق.صص 350.360.

الخبز	1935	1936	1938
750 غ	1.5 ف	1.5 ف	1.8
1 كلغ	1.7 ف	1.75 ف	2.9

ويتصدر المواد أكثر تبادلا مادة الشعير التي تعتبر أوسع مادة استهلاكا وإنتاجا نظرا لملائمة مناخ وتربة المنطقة لزراعتها في الوقت الذي لم تحضي مادة القمح بقبول السكان خصوصا اللين منه الذي أدخله المعمرون . وإلى جانب مادة الشعير تعتبر الأغنام أهم ثروة حيوانية يباع في أسواق المسيلة لتجار منطقة القبائل والتل القسنطيني والمعمرين الذين استحوذوا على تجارة اللحوم وعملية تصديرها إلى فرنسا¹ خصوصا أن أغنام منطقة الحضنة تحضى بشهرة واسعة في نوعية لحومها باعتبارها ترعى الأعشاب أكثر من مواد التسمين وتأتي في الرتبة الثالثة يباع الفواكه خصوصا المشمش والكرموس الذي يعتبر أحسن أنواع المشمش لحوض البحر المتوسط خصوصا ما يعرف بنوع اللوزي²، والرمان أما المواد التي يجلبها التجار من واد سوف والقبائل والصحراء فتتمثل في الألبسة والحبوب الجافة والزيت والبتروول .

1- ACM,B186(Monographie De la C.M.M)

2 - نجاح زراعة أشجار المشمش دفع فرنسا إلى إنشاء مشنلة سنة 1940 بمحيط المسيلة بعد أن فشل اقتراح تكوين مركز تعليمي مهني ريفي بالمسيلة (ACMM.B.183) كما وجد بالمسيلة مصنع تجفيف وتعليب المشمش تابع للتعاونية الصناعة للحمضيات والفواكه لمنتجة (ببوفاريك) منذ 1927 .(ACM,B,207, letter Administrateur 20/06/1928).

أما مركز منطقة الحضنة مدينة المسيلة فقد اختص الأهالي بتجارة اللحوم حيث وجد بالمدينة وحدها سنة 1936 أكثر من 18 محل "جزار" مع بعض محلات الحرف التقليدية أما اليهود فقد استحوذوا على تجارة الذهب والصباغة والنجارة ثم المقاولات والنقل .

من تأثيرات الاستيطان الاقتصادية

كانت الضرائب جزء من الوسائل القمعية والردعية على الأهالي وفي نفس الوقت وسيلة ابتزاز ودخل لخزينة الاحتلال بالمنطقة، ورغم أن الإدارة الاستعمارية فرضت أنواع عديدة من الضرائب المستحدثة على الأهالي فقد حافظت على نمط الضرائب المفروضة على الأهالي في العهد التركي مثل الزكاة والحكور و العشور ونتيجة لمصادرتها أملاك واسعة للأراضي الخصبة التي كانت بيد الأهالي أو الذين ثاروا مع المقراني أو ما بقي من أراضي المخزن فقد كانت أراضي الدومين المستحدثة تدر من خلال كرائها أموال إضافية خصوصا في منطقة بشيلق والسوامع وأراضي المخزن سلمان .

ومنذ تطبيق قانون سناتوس كونسلية بالمنطقة سنة 1867 ظهرت أنواع جديدة من الضرائب على الأهالي مثل ضرائب العبور في المسالك وضرائب مياه السقي وضرائب على الأنشطة المقامة على الأودية والسواقي كالمطاحن الخاصة بالحبوب التي كانت تفرض عليها غرامات تصل بين 12 إلى 26 فرنك للمطحنة¹، ورغم حالة الفقر و العوز التي كان عليها معظم الأهالي فقد بادرت فرنسا بواسطة أعيانها من

1- ACMM;B;181 Rapport Administrateur : 12/05/1912.

القياد في استخلاص الضرائب المختلفة التي تؤخذ على مختلف الأملاك والمواشي التي تحضى بدقة من طرق قياد دواوير بلدية المسيلة¹⁴، ورغم إجراء التهجير والمصادرة الذي حل بجماعة الحشم المحولين إلى بلدية المسيلة فقد فرضت عليهم ضرائب سنوية تدفعها مختلف فرق الحشم، إلى خزينة محيط برج بوعريريج.

أما أهالي المنطقة فقد فرضت عليهم غرامات تحديد الأراضي حسب قانون سيناتوس كونسيلت والتي تراجعت أحيانا الإدارة الاستعمارية عن جزء منها بعد حدوث النزاع بين السوامع والحملات 1869 ثم الغرامات الحربية المتفاوتة بعد ثورة المقراني وخلال الحكم المدني فرضن ضرائب في إطار القيمة المضافة وضريبة ذبح الحيوانات وضرائب على زيادة الحمولة على الدواب وحتى على الدابة المدبورة حسب التعبير المحلي .

ووجدت ضريبة تصريف المياه بمدينة المسيلة رغم أنها كانت تتبع المنحدر الطبيعي للمجرى، وحتى السهرات الليلية التي تقيمها فرنسا يجب على الأهالي دفع ثمنها والكلاب التائهة التي لا تحمل أسماء أصحابها تفرض عليهم غرامات، أما المكوس فقد اختلفت قيمها حسب طبيعة البضائع والمواشي في إطار واجب الضيافة للقياد وأعيانهم عند الزيارة وتقديم الأضياف والهدايا خوفا من العقاب²، كما وجدت ضريبة المعونة الجماعية التي تفرض

1- ACMM,B,210D3, (irrigation syndicat)-(B,287 rapport caïd 29-09-1893

2 -فيليب لوکا، جون كلود فاتان، جزائر الانثر وبولولوجيا -نقد السوسولوجيا الكولونية منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال 2002 ص 157.

على الجماعة أو العرش في حالات الحاجة أو مشاريع السلطة الاستعمارية ذات الصلة العمومية¹، وضرورة القوم التي تدفع لمواجهة أعباء الفرسان المرافقين للجيش الفرنسي أو القافلة². الضرائب الرسمية والدائمة قسمت بين ضريبتين الطريق والزكاة.

تأثير حركة الاستيطان على الإقتصاد التقليدي بالحضنة

لقد كان النظام الإقتصادي في الجزائر ما قبل الإحتلال لا رأسمالي . يقوم على أساس الملكية المشتركة للأراضي . و هدفه تحقيق الإكتفاء الذاتي لا غير، فكان متوازنا لأبعد الحدود، وبدخول الإحتلال الفرنسي تغيرت الحياة الإقتصادية و طرأت عليها مستجدات قوضت النظام التقليدي السائد و حل محله النظام الرأسمالي .

1- دخول الإقتصاد النقدي :

لم تكن القبيلة بالحضنة قبل الإحتلال الفرنسي في حاجة إلى فائض في الإنتاج، لأنها لم تكن في يوم من الأيام تهدف إلى التصدير، فكان الإستهلاك الذاتي هو الهم الأول بالنسبة لها مع وجود بعض المبادلات خارج القبيلة كمقايضة بعض السلع، ولم يكن الذهب و الفضة اللذان يلعبان دور النقد سوى منتجين للتبادل لا أكثر، و كان إستعمالها إستثنائيا في المبادلات مع المناطق البعيدة، ففي هذه الحالة المقايضة غير ممكنة أو غير مربحة، فحتى الضرائب تدفع عينا و ليس نقدا،

1- ACMM,B,133, (Rapport caid M'sila (12/1/1938).

2 - فيليب لوكا: المرجع السابق ،ص 157.

و بالتالي تنشأ الحاجة إلى النقد،⁽¹⁾ لكن بعد الإحتلال الفرنسي نجد أن القبائل في الأقاليم الخاضعة للسيطرة الفرنسية ملزمة بدفع الضرائب نقدا و هذا ما دفعها إلى بيع إحتياطات القمح كلها أو البعض منها، و لما اكتملت السيطرة الفرنسية على جميع القبائل تعمم تبادل القمح نقدا.⁽²⁾

و هكذا صار النقد حتمية يرفضها الإقتصاد اللبرالي الجديد المطبق في الجزائر و الذي يعتبر نسخة مطابقة عما هو في فرنسا، فنجد أن الفلاح إنتقل من النمط الإقتصادي المقفل إلى النمط الإقتصادي المفتوح، دون أن يكون مستعدا ماديا لمثل هذا التغيير وكان له أن يخضع لأولويات لا يعرف كيف يقدرها.⁽¹⁾

ومع تزامن عملية تفتيت القبيلة الاولى بالحضنة اي اولاد دراج سنة 1867 م كان الفلاح الأعزل عرضة لعمليات إرتفاع و هبوط أسعار الحبوب، ولم يعد اقتصاد الإستهلاك الذاتي قادرا على الصمود و الاستمرار، لذلك حاول الفلاح رغم إمكانيته الضعيفة الدخول في الدائرة النقدية ولم يستطع أن يقاوم و يصمد أمام جاذبيتها، ولم يسلك حق كبار المالكين من إغراء المؤسسات التجارية.⁽²⁾

2- بداية التعامل الربوي :

(1) André Noushi, Enquête sur le niveau de la vie des population rurales constantinoises de la conquête jusqu en essai d'histoire économique et social, presses, universitaire de France, paris, 1961.

(2) عدي الهواري ، المرجع السابق ، ص 80.

(1) André Noushi, op.cit., p 301.

(2) عدي الهواري ، المرجع السابق ، ص 71.

بعد تقسيم القبائل بالحضنة منذ 1867 إلى دواوير وبداية تقسيم العروش في إطار الإسراع لتشكيل الملكية الفردية في جميع الدواوير م ليصبح لكل فرد صك ملكية يمكنه من وضع أرضه في المزاد العلني،⁽³⁾ وبعد أن استكمل تكوين الملكية الخاصة نجد أن التوازن الإقتصادي اختل إذ لم يعد بمقدور الفلاح بالحضنة أن ينتج طعامه بسبب عدم تحكمه في تقنيات الزراعة الحديثة آنذاك، فكان إنتاجه الكمي و الكيفي ضعيفا، فحدثت أزمات خطيرة أدت إلى تراكم نتائج المحاصيل السيئة تدريجيا، وبعد أن فقد التحصين الذي كان قد حظي به داخل الجماعة، وشجع هذا الوضع على ظهور الربا، وخلق دورات تراكمية يصعب جدا على الفلاح تجاوزها أو الخروج منها.⁽⁴⁾

وتدل كل الشواهد أن بداية التعامل الربوي ظهر في الجزائر بدءا من 1850 وبرز دوره في إنتزاع ملكية الفلاحين منذ سنة 1870 م، غير أن السبب في تجريدهم من ملكياتهم هو القروض الكبيرة التي اقترضوها إذ في نهاية الأمر قام اليهود والأوروبيين و المرابون وفي مواضع أخرى أبناء طائفتهم بحرمانهم نهائيا من أراضيهم.

و الجدير بالذكر إتساع ظاهرة الربا قد نتجت عن الإحتلال الفرنسي الذي غير وبشكل مفاجئ كل ظروف الحياة السابقة للأهالي، حيث يقوم الفلاح بالإستدانة لشراء الحبوب اللازمة لإستمراره وزرع أرضه و دفع الضريبة، ومن قبل

(3) Charles Robert Agéron , **Politique coloniales au Maghreb**, PUF, paris, 1972, p76.

(4) عدي الهواري ، المرجع السابق ، ص 75.

هذا كان هذا الفلاح يجد في القبيلة أناس أغنياء يقدمون له كل القروض من الحبوب إذا استنفذ مخزونه أو حصل قحط حسب التقاليد والدين و يعيد ما إقترضه عينا عند الحصاد دون فائدة تدفع لهم.

لكن بعد أن أحرزت التجارة تقدما وجه احتياطي الحبوب الخاص بالأغنياء إلى التصدير، كما لم يشد الفلاح الصغير عن هذا و أخذ يبيع كل ما يجنيه من حبوب في السنوات الجيدة أما في السنوات العجاف يبيع محصوله قبل الحصاد تحت وطأة المضاربين بسبب حاجته للنقد.⁽¹⁾

وفي فقرة تحت عنوان " الربا و القبيلة " كتب نابليون إلى "مكماهون"^(*) وذلك بعد زيارته للجزائر في سنة 1865 م، كتب رسالة طويلة انتقد فيها أشياء كثيرة و طرح سياسته الجديدة التي لم يعتزم على تطبيقها في الجزائر.⁽²⁾

و أهم ما ورد في رسالته نذكر:

" عندما لاحظ العرب انخفاض ثروتهم بفقدانهم الأرض و تراكم الضرائب التجأوا إلى الإستدانة بفوائد مرتفعة جدا إن القروض الربوية من أكبر المصائب التي تثقل السكان الأصليين (....) هناك خوف عندما يصبحون جميعا ملاكا عقاريين، من أن يتعرض قسم كبير منهم لإنتزاع ملكيتهم، وتنقل كافة أملاكه إلى الدائنين"

(1) عبد اللطيف بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص 72، 73.

(*)مكماهون : كان قائد أعلى للقوات البرية والبحرية بالجزائر عين حاكما عليها في سبتمبر. أنظر: (يحيى بوعزيز ، سياسة نابليون الثالث إتجاه الجزائر من خلال أقواله و رسائله 1852-1870 م)، المرجع السابق، ص 21).

(2) يحيى بوعزيز ، المرجع نفسه ، ص 21.

ولعل ما يفسر خوف نابليون الثالث خشيته من نزع ملكية المشح المباشر لصالح المرابي.

وكتب كذلك "فلوروا يوليوا" وهو أحد كبار الخبراء في شؤون الجزائر في تلك الحقبة فقال: "بعد توزيع صكوك الملكية في قبيلة ما يفقد السكان الأصليين أرضهم بسبب المضاربات المشينة التي تفقدتهم ملكياتهم بواسطة سندات تعود إلى سنوات عديدة مضت في اليوم الذي توزع فيه الصكوك بتوجيه حجاب المحاكم إلى الريف لحجز الملكيات".⁽¹⁾

و كذلك أبدى الجنرال لاكورتال تخوفه من القروض الربوية فقد قال :
"ينبغي أن يقضي على الربا و إلا فإن الشعب العربي سيقضي عليه و لكم الإختيار".⁽²⁾

-انتشار المجاعات بالحضنة مجاعة 1865-1866-1868

-
- 1- عبد اللطيف بن أشنهو، المرجع السابق، ص73، 75.
 - 2- صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والإحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844-1871م)، منشورات باجي مختار، الجزائر، 2006، ص236.

تعرضت الجزائر خلال فترة الإستعمار إلى أحداث مؤلمة سواء كانت إقتصادية أو إجتماعية نظرا لسياسة القسوة التي إتبعها الإدارة الإستعمارية ضد الجزائريين و ذلك بسن العديد من القوانين و منها القوانين العقارية التي كرس مبدأ حيازة الأراضي و العقارات الجزائرية لخدمة المشروع الإستيطاني فالإحصائيات التي وضعت في 1830 إلى غاية 1840 أثبتت أن عملية نزع الأرض بين 1830-1850 فتم نزع حوالي 200.000 هكتار،⁽³⁾ غير أن عملية إنتزاع الأراضي في هذه الحقبة لم تصب الإقتصاد الفلاحي بشكل جوهري، فرغم هذه الإجراءات التعسفية إلا أن القبائل ضلت قدرة على الإستمرار بالرغم من تعرضها للمصادرة و الحصر و التحديد، و لم تؤثر سيوررات الإنحلال بشكل أساسي إلا في النظام الإقتصادي المسيطر داخل التشكيلة الإجتماعية الجزائرية، ومنذ صدور قانون 16 جوان 1851 م إلى سنة 1863 م طبق تحديد الأراضي على حسب قول شارل رويير أجرون على 16 قبيلة أي 363000 هكتار أعطي منها 61.363 هكتار للدولة⁽⁴⁾ وعند صدور قانون السيناتوس كونسيلت سنة 1863 م الذي مس 372 قبيلة فكان إجمالي مساحة الأراضي الجزائرية التي أحصاها الفرنسيون تقدر ب 6.833.811 هكتار منها 1003.072 هكتار مخصصة للدومين أي بنسبة 14.9% أما أراضي العرش فتقدر ب: 1.523.013 هكتار أي 22.3%⁽¹⁾.

(3) أحمد حسين سليمان، المرجع السابق ، 118.

(4) عبد اللطيف بن أشنهو، المرجع السابق، ص 55.

(1) أحمد حسين سليمان، المرجع السابق ، ص 121، 122 .

و تشير التقارير أنه قبيل سقوط الإمبراطورية الثانية فقد الجزائريون 765000 هكتار من أراضيهم لتمتد أكثر في ظل الجمهورية الثالثة إلى 1682000 هكتار سنة 1900 تحديدا.⁽²⁾

إن عملية مصادرة الأراضي كانت الخطوة الأولى من أجل إنجاح مشروع الاستيطان بصفة عامة و خاصة أن عدد المهاجرين كان يزداد في كل مرة، كما لم يخف عن ناظر الإدارة الفرنسية العمل من أجل التمكين للنظام الرأسمالي الجديد الذي حملتها معها إلى الجزائر.⁽³⁾

فأقامت البناءات القاعدية الضرورية كالسدود و حجز الآبار و العمل على زراعة الحنطة و الذرة والكروم و التبغ إلى آخره.⁽⁴⁾

و قد تحصلت الشركات الرأسمالية على تسهيلات كبيرة فشركة جنيغواز السويسرية التي أنشأت سنة 1854 حظيت خلال 10 سنوات على 281 ألف هكتار من أجل إنشاء القرى و تهجير الأوربيين و شركة جمعية الغابات تحصلت على 160 ألف هكتار من الغابات لتستغلها مدة 60 عاما⁽⁵⁾ لقد كانت

(2) Hassan Remaoun, **L'Algérie (histoire société et culture)**, Casbah Edition, Alger, 2000, p46.

(3) صالح عباد، الجزائر بين فرنسا و المستوطنون، المرجع السابق، ص18، 19.

(4) صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر في عهد الفنيقيين الى خروج الفرنسيين، دار العلوم ، عنابة، 2003، ص211.

(5) يحيى بوعزيز ، المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن 19 - و مواقف وآراء الجزائريين من إدعاءات الفرنسيين حول أسبابها- ، مجلة الأصالة ، ع 33 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1976 ، ص 17 .

انعكاسات هذه السياسة وخيمة وكارثية على المجتمع الجزائري إذ تسببت في وقوع العديد من المجاعات المأساوية في القرن 19، ففي سنة 1838 وقع قحط شديد نتج عنه نتيجتان قاسيتان و هما :

1- ارتفاع أسعار الحبوب، وغلاء سعر اللحم و السمن و التمر.

2 - ضياع أملاك الناس و عقاراتهم تحت تأثير الحاجة إلى النقود كما كانوا يقدمون عليه من إبرام عقود مختلفة⁽¹⁾.

و لم تكن كذلك سنة 1848 م بأفضل من سابقتها فقد إنتشر الفقر بشكل رهيب مع إستمرار القحط و قد صادفت هذه الأزمات هجرة الأوربيون إلى البلاد بشكل عام فهمم الوحيد هو تجريد الشعب الجزائري من أراضيهم بمختلف الوسائل و إستغلالها لأن الفلاحة على حد قول ش. ريشار." تعد أولى مصالح الدولة الإستعمارية"⁽²⁾ ومع استمرار المجاعات التي إنفجرت خلال 1845-1850 م بتأثير عوامل مختلفة :

1- الأزمة الإقتصادية في فرنسا التي نقلتها إلى الجزائر (أزمة القمح) .

2- تدفق المهاجرين الأوربيين، إذ استحوذت الموجة الأولى على قسم كبير من الأراضي و طردت عدد من القبائل .

(1) صالح العننري ، مجاعات قسنطينة، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص 16.

(2) صالح فركوس ، إدارة المكاتب العربية و الإحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد ، المرجع السابق ، ص 24.

3- تتالي عدد سنوات القحط و قد أدى تزامن هذه العوامل إلى وقوع الكارثة.⁽³⁾

إذن فبالإضافة إلى التطور السريع لعملية الاستيطان التي وصلت إلى حد إفقار المجتمع من كل توازناته إلا أن الأقدار عاكست هذا الشعب فضرته النكبات الطبيعية المتتالية خصوصا ما بين سنتي 1867-1868 م ندرة في الأمطار مما أدى إلى حدوث الجفاف لكن ريح الجنوب زادت الوضع تأزما فتسببت في حرق الحقول فمثلا تربة واد الشلف صارت عبارة عن أرض بور يستحيل العمل بها، كما أن الفصل الرطب تأخر فتزامنت الرطوبة و البرد، مما جعل الجزائر في مأزق بسبب الجليد و غطى الثلج السهول العليا التالية . ففاجأ الحيوان و الإنسان معا فما توا من شدة البرد و عند ذوبانه حدثت فيضانات في ربيع 1868م كما حدثت فيضانات صيفية.¹

و تعد سنة 1867 م هي من السنوات التي قلت فيها كمية الأمطار حيث قلت فيها حتى مياه الشرب و السقي و جفت الينابيع في الصيف.⁽¹⁾

و في 1868 م تهاطلت الأمطار وسمحت أخيرا بعملية الحرث لكن فسدت البذور، وكذلك منطقة الحضنة لم تكن أحسن من سابقتها فقد عانت جفاف محلي فقضي على ربع (¼) المساحة المبدورة و تم تسجيل تساقط كمية معتبرة من الأمطار سنة 1869م، مما أدى إلى حدوث فيضانات محلية إلا أن القحط كان

(3) عدي الهواري ، المرجع السابق ، ص 77.

تقييدات ابن العربي: وثائق غير منشورة) تؤرخ لفترة القرن 19 بالحضنة والابنية والمجاعات التي أصابتها وهولها) 1

1- Annie Rey goldzeiguer , op.cit., pp441, 442.

السمة الغالبة خلال موجة الجفاف التي ضربت من جديد البلاد بين ماي و
ديسمبر 1869 م⁽²⁾

والجدول الآتي يبرز مدى تباين كميات الأمطار المتساقطة بين الأربعينات
و الستينات من القرن 19 بالجزائر العاصمة:

السنوات	كمية الأمطار (بالملم)	السنوات	كمية الأمطار (بالملم)
1844	1046	1864	698
1845	1046	1865	776
1846	1046	1866	431
1847	1306	1867	529
1848	1280	1868	509

لكن هذا ليس بأمر غريب عن الجزائر و مناخها . فالمعروف أنه في كل
السنوات تسجل سنة جيدة و سنتين متوسطتين و ثلاث سنوات كارثية.⁽³⁾ لقد فقد
الجزائريون كل شيء حتى قطعانهم التي كانت تعتبر آخر جدار للمجاعة، و كل
ذلك بسبب النكبات الطبيعية التي توالى و هذا ما أثار دهشة "فيتال VITAL"

2- يحيى بوعزيز ، موضوعات و قضايا في تاريخ الجزائر و العرب، ج1 ، دار الهدى للطباعة و
النشر ، الجزائر، 2004 ، ص 455.

3-Annie Rey goldzeiguer , op.cit., pp441,442.

و قد وصفها بقوله : " إن الغلال ضاعت و المواشي بدأت تموت و هذا مالم يحدث أبدا من قبل و هو ما نتج عنه تصاعد المجاعة و موت الناس بالجملة".⁽⁴⁾

ويعتبر شتاء 1867-1868 م قاس حيث غزت الثلوج المناطق الشرقية والغربية فلم تستطع الحيوانات إحتمال البرد، و بهذا إختفت القطعان، فمنطقة الشرق لم تكن الخسائر بها موزعة بانتظام حيث فقدت السباح سنة 1867 م كل قطعانها تقريبا و فقدت كذلك قبيلة ريغة بسطيف 77.6% من المواشي. أما في الغرب الذي يشتهر بجفافه ما بين 50% و 70% من بدو تيارت فقد تأثرت قطعانهم بالأزمة، و لقد تأرجحت خسائر القبائل فيما يخص فقدان المواشي ما بين 66% و 83% و هذا ما ورد في تصريح ماكماهون إن الجزائر قد فقدت 10/9 من قطعانها و ذلك بقوله : "إن الحيوانات ستنقرض بالجزائر".⁽¹⁾

كما أن التنوع في الضرائب و الغرامات المفروضة على الأفراد، كان سببا في فقدانهم لما شيتهم.⁽²⁾

و كذلك شهدت سنة 1864 م أفواج الجراد غزت البلاد من كل صوب و إتخذت شكلا خطيرا في مطلع عام 1866 م الذي دعي بعام الجراد فعبرت جبال الأطلس من الجنوب إلى حقول الشمال و مزارعه و إلتهموا كل ما وجدوه من

4- إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص 288.

1- Annie Rey goldzeiguer, op.cit., pp443,444.

2- رمضان بورعدة ، المرجع السابق ، ص 41.

خضرة و ثمار و بالتالي تعرض الناس إلى ضائقة مادية شديدة⁽³⁾ فأعلن حاكم الجزائر في سبتمبر في إعلان موجه إلى الإمبراطور و ذلك في سبتمبر بأن الجراد إختفى لكنه عاود الظهور في جانفي 1867 م لكنه تراجع في الشتاء، إذا أتلّف البرد والثلج بيوضه ليعاود العودة من جديد في 1868 م، فلم ينج في تلك السنة الزرع إلا قليلا جدا⁽⁴⁾ و اختفى من جديد ثم عاود الظهور في ديسمبر 1869 م إلى غاية 1870 متلفا بذلك المحاصيل خصوصا في منطقة مجانة التي كانت تحت حكم المقراني.⁽⁵⁾

رغم أن أكثر المتضررين هم الجزائريون، أما الأوربيون فكان وقع الأزمة عليهم أقل ضررا لتوفر إمكانية مقاومته و هذا كله يرجع إلى السلطات الإستعمارية بسبب موقفها المتهاون و السلبي إتجاه الجزائريين، لأنها لم تبذل أي مجهود في تقديم يد المساعدة، بل إكتفت بتوجيه بعض النداءات لرؤساء العائلات الجزائرية الغنية كي يقدموا المساعدات و منهم المقراني،⁽¹⁾ لكن الكثير منهم حاولوا إبعاد هذه المسؤولية عن الإدارة الفرنسية، و منهم الأب "بورزي" الذي قال: "أن العرب لم يقاوموا الجراد و عندما سألتهم عن السبب قالوا: "أن الله بعثه و هو الذي سيطرده ". محاولة منهم لإتهامهم بالقدرية و التواكل .

(3) Annie rey goldzeijgeur , op.cit., p 442.

4- صالح العنتري، المصدر السابق، ص 290.

5- يحيى بوعزيز ، المجاعة في أواخر عقد الستينات من القرن 19 ، المرجع السابق ، ص 8 ، 9 .

1- يحيى بوعزيز ، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، المرجع السابق ، ص 457.

الفصل الخامس

تأثيرات الأسنيطان الفرنسي

الثقافية على الحضنة

لم تخرج منطقة الحضنة عن إطار الوضع الثقافي العام الذي ساد النصف الثاني من القرن 19 في الجزائر ، كما أن التوجه العام لحالة الثقافة اخذ منحى تأثير السياسة الاستعمارية، التي عملت خلال هذه الفترة على محاصرة الجماعة الإسلامية و مركز التعليم و التربية بها التي كانت موجودة في إطار الموروث الثقافي للفترة العثمانية .

لقد ارتبطت الحياة الثقافية في عمومها بمراكز التعليم و القراءة التي وجدت بأهم مركز حضري للحضنة الغربية ، وهو مدينة المسيلة ، التي وجدت بها منذ العهد العثماني زاوية سيدي عبد الله بن هيلول المغربي أو الملقب سيدي بوجملين، إلى جانب المساجد العديدة المنتشرة عبر احيائها التي كانت تلقى بها دروس الكتابة و القراءة. غير أن اثر هذه المراكز الدينية التقيدية كان محدودا للغاية ، وشهدت الساحة غياب كل مظاهر التأليف أو الإبداع الأدبي أو الثقافي،على اعتبار ان الفترة الممتدة بين بداية الاحتلال و 1871 ، فترة تقلبات اجتماعية وسياسية صعبة ومحطة احتكاك مع العنصر الاوربي الجديد أي المعمرون .

لقد أدت أحداث القبائل سنة 1858¹ إلى انتقال مشايخ الطريقة الرحمانية من زوايا صدوق إلى كل من سيدي عقبة بالجنوب الجزائري ،وجنوب الحضنة بالهامل وكان ذلك من عوامل ارتفاع عدد أتباع ومريدي شيوخ الرحمانية مثل الشيخ سيدي عمر بن عثمان الرحماني شيخ الطريقة الرحمانية بزواوية طولقة فيما بعد ، او الشيخ سيدي محمد بن بلقلم .

يمكن اعتبار أن الفترة التي اعقبت انتفاضة المقراني 1871 ،فترة انتشار الطريقة الرحمانية بمنطقة المسيلة وبظهور حركة متواضعة من النشاط التعليمي الديني ومن الذين لهم الفضل في ذلك الشيخ سيدي الحاج محمد عبد الله

1-CAOM:8h7 notice hisstorique et géographique sur les cercles de Bousaada,bordj bouarerdj.-

البوديلمي¹ الذي كان على اتصال بشيوخ زاووة و الشيخ الحداد الذي اخذ عنه الطريقة الرحمانية وانشأ يحي الكراغلة بمدينة المسيلة بعد 1871 زاوية أصبحت تعرف باسمه فيما بعد ، كونت جمع كبير من الطلبة و المعلمين ،وكانت محل توافد أعداد من المريدين المتعطشين للعلم و القراءة .

لقد بدت الحركة الثقافية بمنطقة المسيلة نهاية القرن 19 متواضعة الى حد بعيد، ونرجع ذلك حسب ما توفر لدينا من وثائق على قلتها في هذه المرحلة إلى جملة من العوامل التي نراها لا تختلف كثيرا عن باقي مناطق الجزائر لكن تنفرد في البعض منها :

1- اثر التوجه العثماني في السياسة التعليمية التي لم تشجع حركة التعليم في أعماق المدن و المناطق الداخلية الجزائرية مثل منطقة المسيلة،رغم وجود نسبة كبيرة من الكراغلة بمدينة المسيلة .

2- اثر سياسة الاحتلال بين 1840-1871 في التضييق على المساجد و الكتاتيب و شيوخها ومعلميها ، باعتبارها مراكز للمقاومات المحلية التي شهدتها الحضنة عموما مثل مقاومة مقدم الرحمانية لحسن بن عزوز 1839 مقاومة المرابط محمد بوختاش 1860 و مقاومة الشيخ ابراهيم بن عبد الله 1864

1 -الجيلاني بن عبد الحكم المرأة الجلية، المطبعة الخلدونية، تلمسان،1953،صص 351.357. كذلك الشيخ الهاشمي بكار،مجموع النسب،المطبعة الخلدونية، تلمسان طبعة 1961.

ووقوف الزوايا و المساجد مثل زاوية سيدي بوجملين إلى جانب المقرانيين في انتفاضتهم سنة 1871.

3- تأخر تكوين المدارس الرسمية الفرنسية بمنطقة المسيلة نظرا لتأخر قدوم المعمرين ، وهذا ما جعل الفرنسيين يماطلون في بناء أول مدرسة أهلية بالمدينة إلى غاية نهاية القرن 1887 رغم أن قرار إنشائها يعود إلى 1865.¹

لم يحضى التعليم في المدرسة العربية الفرنسية باهتمام كبير لدى الاهالي الا بداية القرن العشرين ،ويدل على ذلك استقرار عدد التلاميذ الذين زاولوا الدراسة بالمدرسة الفرنسية الوحيدة بالمسيلة بين سنة 1874-1881² حيث لم يتعدى عددهم عند حدود 48 تلميذ، ووصل عددهم سنة 1880 عند عدد 32 تلميذ فقط، منهم 2 اوروبيين و 4 اسرائيليين و 26 تلميذ من الاهالي³ (ابناء واعيان الادارة).و الجدول التالي يوضح تطور عدد التلاميذ في المدرسة الفرنسية العربية الاولى بمنطقة المسيلة بين 1874-1881.⁴

جدول خاص بحالة التمدرس بمدينة المسيلة بين 1874-1881.

المستوى	1874	1878	1880	1881

1-B O GA: Année 1865,p 1247.

2- كمال بيرم:الكفاح السياسي باقليم الحضنة،دار الكوثر الجزائر 2012.

3-كمال بيرم:اعلام ومعالم من مدينة المسيلة،دار الارشاد الجزائر 2012.

4 -CAOM : 65k1 : poste de m'sila –rapport mensuel de 1871-1881.

المستوى الأول	45 تلميذ	6 تلميذ	2 تلميذ	1 تلميذ
المستوى الثاني	/	14 "	4 "	8 "
المستوى الثالث	/	36 "	26 "	39 "
المجموع	45 "	56 "	32 "	48 "

ومن الجدول لا يبدو هناك تناسب بين عدد التلاميذ الذين هم في سن الدراسة وبين وعدد التلاميذ الذين يزاولون الدراسة خلال هذه السنوات وما بعدها.

وحتى ان عدد كبير من تلاميذ الأهالي لم يستطع مواصلة الدراسة و غادروا المدرسة بعد سنة أو سنتين لاسباب عديدة ، بحيث وصل عددهم سنة 1881 ، سوى 39 تلميذ بعد أن كان عددهم 45 تلميذ سنة 1976 و 49 تلميذ سنة 1880.¹

أما أعداد متعلمي الزوايا التابعة للطرق الصوفية من إخوان و مريدين بمنطقة المسيلة لها دلالتها على درجة الإقبال على التعليم الاصيلي ، أو القراءة وحفظ القرآن ، فالطريقة الرحمانية لوحدها كانت تضم حسب تقدير الفرنسيين²

1 –CAOM : 65k4 : rapport du 1er trimestre 1880

2 –CAOM : 65k1 : rapport du 4er trimestre 1882

640 من الإخوان دون المقدمين ودون حساب اعداد بقية الطرق الصوفية التي انتشرت بمنطقة المسيلة كالتيجانية و الشاذلية و القادرية¹.

كما أشار الكاتب دوغالان² de galland الذي زار منطقة المسيلة ومراكزها الحضرية كالمسيلة و بوسعادة سنة 1890، إلى درجة التعليم التقليدي بها وحصرها في زاويتين سيدي بوجملين التي يدرس بها حوالي 30 تلميذ يتعلمون القرآن و العربية وتقام بها احتفالات وتظاهرات الزردة ،كما أشار إلى زاوية أخرى بجانبها هي زاوية سيدي محمد بوديلمي وكان بها بين 30-40 تلميذ وهو من أتباع الطريقة الرحمانية وهو اول من ادخل الطريقة الرحمانية الى الحضة. الغريبة.

اما المدرسة العربية الفرنسية فقد ارتفع عدد تلاميذ بها سنة 1900 الى 112 تلميذ منهم 75 من الأهالي و 22 يهود و 25 اوروبيين .

مع ادراج تعليم البنات الأوروبيات الاي وصلنا الى 17 تلميذة في إطار مدرسة مختلطة الى غاية فصل الأهالي عن الاوربين سنة 1903.

1 –CAOM : B91 . rapport des caid sur les corne vie réalisée dans la commune M'sila 11-12-1917.

–CAOM : 65K3 : notice sur les caractères religieuse dans le hodna rapport 12/1/1883

2 –CAOM : 65K3 : notice sur les caractères religieuse dans le hodna rapport 12/1/1883

تعتبر فترة بداية القرن العشرين ، الفترة التي تم التحاق الأهالي بالمدرسة الفرنسية العربية و المقامة في مركزها المسيلة و السبب في هذا التأخر يعود أصلا إلى عملية تأخر المستوطنين واستقرارهم بمراكز الاستيطان الفرنسي التي حضت به والذي بدأ في استقبال المعمرين بشكل رسمي منذ 1912 . إلى غاية هذا التاريخ لا تذكر المصادر الأرشيفية إلا المدرسة الأوربية التي أنشأت منذ 1885 وهو تاريخ بداية الحكم المدني بمنطقة المسيلة رغم ان التواجد الأوروبي بدأ منذ 1840 وقرار تكوين مدرسة للأوربيين منذ 1867¹.

يمكن اعتبار ان التعليم في إطاره الرسمي بإشراف الإدارة الفرنسية بقي محدودا جدا ووجوده مرتبط بوجود الفرنسيين منذ بداية الاحتلال للمنطقة 1840 الى غاية 1911، حيث شرعت الإدارة في عملية إنشاء أقسام اطلق عليها اسم مدارس في بعض المناطق الجبلية للحضنة الغربية من بينها مدرسة بقسم واحد بدوار ملوزة (جبال الحضنة الشمالية الغربية) بدأت في العمل في ديسمبر 1912² رغم ان قرار اللجنة البلدية اعتمدها بثلاث اقسام³. وإلى غاية 1920 استمرت مدرستين فقط واحدة بالمسيلة و اخرى بملوزة تمارسان نشاط التعليم الرسمي وفق المنهاج الفرنسي ولم تحض باقي اجزاء منطقة المسيلة باهتمام الادارة لمثل هذا القطاع العام.

1 -ELMOUBACHIR :année 1868 .

2 -ACMM : B :216deliberation commission municipal :30/12/1912 .

3 - ACMM :Bm216 deliberation commission municipal :01/02/1908 ,.

Le progrès de setif -15septembre 1911 -31er année N°3049

و في رسالة وجهها مدير المدرسة الابتدائية بالمسيلة الى والي سطيف سنة 1925¹ ذجانب كبير من الاهمية في معرفة واقع التعليم الرسمي بالحصنة الغربية،لأنها تبين سياسة الاحتلال اتجاه تعليم الاهالي في المدارس الفرنسية،والذي من بين اهم اهدافه ابقاء اطفال الاهالي بعيددين عن اخذ العلم و في طلاس الامية والجهل .لقد كشف مدير المدؤسسة عن عدد طلبات تسجيل الاطفال الاهالي التي فاقت 800 طلب في الوقت الذي لم يتعدى عدد المتدربين من التلاميذ المسلمين 145 تلميذ ،والى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية لا يظهر تحسن ملموس في نسبة التحاق الاطفال الاهالي بالمدارس الفرنسية بمنطقة المسيلة رغم التحولات التي عرفتھا الجزائر و العالم.

جدول رقم 48: تطور التعليم الفرنسي بين 1887-1925²

السنة	1887	1900	1912	1925
المدارس	1	1	1+2 للبنات	2
التلاميذ لذكور	25	منهم 75 مسلم	120	145
التلاميذ للاناث	/	17	19	53

1 –Archive de l'école de M'sila,lettre de monsieur le directeur de l'école a monsieur le prefet de setif 12/10/1925.

2 -- ACMM : B,78rapport des Caid , administrateur (1885.1937) .

الملاحظ عن تطور ارقام التعليم الرسمي بين قيام الحكم المدني ونهاية الحرب العالمية الاولى اشياء ملفتة للنظر اهمها :

ان التطور العددي لا يمثل الحقيقة الواقعية ومثال ذلك ان المدرسة الثانية التي اقيمت بملوزة قد تهدمت و توقفت عن النشاط بين 1917-1937.¹

1- ان عدد تلاميذ الأهالي في المدارس لم يكن متناسب مع العدد الإجمالي للسكان فمن بين 7000 نسمة تمثل سكان مدينة المسيلة وحدها لم يدخل من بين 800 تلميذ في سن الدراسة سوى 145 تلميذ مع اعتبار ان مجموع سكان منطقة المسيلة في هذه السنة (1925) يقدر بـ 45483 نسمة اي نسبة 0.3% .

2- ان عدد تلاميذ الاهالي المتمدرسين في المدرسة الفرنسية مرتبط بمستوى و نفوذ عائلاتهم المكونة من الاعيان و القياد والميسورين .

3- ان ضعف عدد التلاميذ الاهالي في المدارس الفرنسية مرتبط من جانب آخر بعزوف الاباء على ارسال ابنائهم للمدارس الفرنسية وتفضيل المدارس القرانية من جهة و تاثير السياسة الاستعمارية في شخص الادارة المحلية في ابقاء الجهل و الامية و منع بروز نخبة محلية قد تساهم في اخلال الامن و الهدوء او التأثير السياسي على السكان.

1 -ACMM :B78, rapport administrateur :10/02/1937.

إذا اخذنا بعين الاعتبار ان فترة الحرب العالمية الاولى هي الانطلاقة المحتشمة لتعليم الاهالي الرسمي ، فاننا نستطيع القول ان الذين ساهموا في تأطير هذه المرحلة كانوا من الاوربين فقط الى غاية فصل قسم تلاميذ الاهالي عن الاوربين 1903.

لقد فرض فصل التلاميذ الجزائريين على الاوربيين استعانة الادارة الفرنسية بمعلمي المساجد و الكتاتيب الذين زاولوا مهنة مزدوجة بين المسجد و القسم المدرسي وبين التعليم القراني و التقليدي و التعليم الرسمي الخاضع للتفتيش. تذكر التقارير الفرنسية ان اول من مارس التعليم من الاهالي في المدرسة الفرنسية الشيخ مصطفى زادي سنة 1908¹، ويذكر تقرير المفتش الفرنسي الكالبر الذي حضر درسا له، فوجده تقليديا رغم حبه للعلم وحماسه ، كان يلقي الدروس شفويا دون استعمال السبورة .

وقد خلفه المدرس صالح بن السعيد وهاب الذي كان شاب متخرج من المدارس الفرنسية غير انه اجتاز في هذه الفترة بالقائه دروس مسجدية بمدينة المسيلة اضافة الى الدرس اليومي في المدرسة الرسمية . لم يزد عدد التلاميذ حسب تقارير المفتش عن 26 تلميذ في القسم واستمر السيد وهاب السعيد في التدريس بمدرسته الى غاية نهاية الحرب العالمية الاولى حيث تفيد التقارير بوجود مدرس

1 -CAOM :14H47 (rapport charle suait Colbert 1908)

مكانه سنة 1919 هو الاطرش بن نية الذي امتاز عن غيره السابقين باحرازه ثقة الهيئة التعليمية وتمت ترقيته الى سلم الطبقة الثانية للمدرسين.¹

اما بنسبة الى تعليم الوريين فتشير التقارير الادارية الى وجود ثلاث اقسام خلال الموسم الدراسي (1902-1903) لمجموع 97 تلميذ خلال شهر ديسمبر 1902² ليرتفع عددهم بقدوم ابناء المعمرين لمدينة المسيلة وبذلك انتقل عددهم الى 118 شهر افريل و 124 بداية شهر جوان اغلبيتهم من اليهود و الالوربيين

وفي تقرير وجهه مفتش التعليم لمقاطعة قسنطينة الى والي سطيف³، يذكر ان مركز لاستيطان الأوروبي بمدينة المسيلة يضم 428 تلميذ من الأهالي المسلمون في سن الدراسة وكي تحول الإدارة المدرسة الأهلية الى مدرسة أوربية يجب توفير 8 أقسام لأبناء الأهالي زيادة على ثلاث أقسام الموجودين من قبل ، لذلك كان اقتراح مدير المدرسة الإبقاء على المدرسة السابقة نظرا لاستحالة توفير الإطار البشري من المعلمين و مدرسين لهم.

*يذكر سعد الله ان السيد مصطفى الزادي نقلته السلطة الفرنسية من مدينة بسكرة إلى مدينة المسيلة 1908 وكان مصطفى رجل عصامي ومتعلم حر . تعلم على يد عبد القادر المحاوي وهو كهل كما درس بتونس و القاهرة ، كان تقليدي في دروسه يعيش منعزل عن الناس أعيد سنة 1913 إلى بسكرة (سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 3 - ص 152) .

2 -ACMM :B94, renseignement sur l'enseignement dans la commune mixte de M'sila 1903 . 1904.

3 -ACMM :B94 lettre de l'inspecteur de l'accadémie de constantine (brunet)à mr le prefet de setif le 22/11/1912.

ان مسألة عدم الموافقة على مضاعفة الأقسام مبنية على العدد الموجود من أبناء و بنات المعمرين آنذاك بحيث تشير الإحصائيات إلى وجود 15 طفل أوروبي فرنسي و 18 من أبناء اليهود الفرنسيين و 3 أجنب بمجموع 36 تلميذ مع قسم البنات بـ 36 بنت أوروبية في سن الدراسة .

تبرير عدم فتح مدارس إضافية يسند إلى وضعيات مشابهة الفرنسي المسيلة بكل من مدن بسكرة ،بوسعادة ، الجلفة ، الاغواط ، وعلى أساس أن¹ المدارس الأهلية عادة ما يوجد بها إلا أبناء العائلات المسلمة النافذة و المقربة من فرنسا.غير أن المفتش يلح على ضرورة فتح قسم خاص او مدرسة خاصة بالبنات الأوروبيات.

بالنسبة لتعليم الأطفال الأهالي و إلى غاية 1920 لم تكن موجودة بمنطقة المسيلة سوى مدرستين واحدة في ملوزة التي تم العمل بها خلال الحرب العالمية الاولى اي منذ 1912 ومدرسة بمدينة المسيلة التي وجدت منذ تكوين الحكم المديني بها اي 1885 وفي سنة 1920 ورغم ان تعداد السكان بالمدينة وصل الى أكثر من 7000 نسمة إلا انه لم يسمح لكل التلاميذ الذين وصلوا سن الدراسة من مزاولتها في المدرسة بحجة ضيق الأقسام الثلاثة التي تحتويها المدرسة وقد زاول الدراسة بها

1 -BID

145 تلميذ في الوقت الذي يزيد عدد الذين حرموا منها في نفس البلدية عن 500 تلميذ.¹

وفي مداولة اللجنة البلدية لهذه السنة حاولت أن تبحث عن حلول لإمكانية إقامة مدارس لأهالي في الأماكن التي تتوفر ظروف إقامتها وكانت ترى أن مدينة المسيلة بها هذه الشروط لإضافة مدرسة أخرى .

أما في الجانب الفرنسي فرغم ان هذه الفترة تعتبر حديثة التواجد المعمرين بمنطقة المسيلة والمسيلة خصوصا بحيث ان مراكز الاستيطان بالمسيلة قد تم تكوينه منذ 1912 وعملية توافد المعمرين بدأت تأخذ طابع اكبر من العشرينيات فان الأطفال الاوربين كانوا يزاولون الدراسة في مدرسة الأهالي (رغم ان البرامج هي فرنسية لم يكن للاوربين رغبة في اندماج أبنائهم بالأهالي². كما وجدت بالمسيلة مدرسة خاصة بالبنات الاوربيات ظهرت نهاية القرن التاسع عشر كانت تضم سنة 1920 قسم واحد به 53 بنت . ولم تعد كافية لاستيعاب البنات الأقل من 5 سنوات حستقرير اللجنة البلدية³ وقد اقترحت اللجنة البلدية في مداولتها السابقة⁴ زيادة قسم اخر للبنات بالمسيلة .وعندما تم تحضير مركز الاستيطان لاستقبال المعمرين سنة 1912 دعت اللجنة البلدية إلى ضرورة إضافة

1 -ACMM :B154,D2:deliberation de la commission municipal

12/11/1920

2 ACMM :I BID-

3 -ACMM : 1 BID

4 -ACMM : Deliberation de la commission municipale 27/11/1912.

قسمين بالمدرسة لاستيعاب أكثر من 30 عائلة كانت قادمة تلك السنة إلى المسيلة معها أكثر من 60 طفل .مع قسم آخر للبنات وكان الرأي في اللجنة متجه الى بناء مدرسة جديدة بقسمين للذكور الاوروبين ثم قررت اللجنة في مداولة 1913/06/07 إضافة ملحق لمدرسة البنات¹.

لم تكن رغبة الأهالي كبيرة في إرسال أبنائهم الى المدرسة الفرنسية خلال هذه الفترة ، ولم تكن الإدارة الفرنسية التي تعتمد على الموارد البلدية الشحيحة على إضافة نفقات ، من اجل إنشاء أقسام جديدة او مدارس رغم ان السلطات العليا قد برمجة في مطلع القرن العشرين بناء مدرسة الأهالي بالمسيلة في اطار فصل الأهالي عن أبناء المعمرين الذين يزاولون الدراسة في المدرسة العربية الفرنسية². و تمت مناقضة المدرسة 1902/1/25 كما وضع مشروعين لمدرستين بمنطقة أهل الواد شمال منطقة المسيلة، ومملوذة بجبال ونوغة سنة 1911³.

1 -ACCM : Deliberation commission municipal 12/11/1920 .

2 -ACCM : deliberation commission municipale 25/01/ 1902 .

3 -ACCM : deliberation commission municipale 30/11/1911.-

الملاحق

Document de Circulation

Administration des

Finances de l'Égypte

État des Recouvrements en Égypte

Province	Recouvrements en Égypte				Recouvrements en Égypte				Recouvrements en Égypte			
	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	Recouvrements en Égypte	
Province de	1871	1872	1873	1874	1875	1876	1877	1878	1879	1880	1881	
Province de	1871	1872	1873	1874	1875	1876	1877	1878	1879	1880	1881	
Province de	1871	1872	1873	1874	1875	1876	1877	1878	1879	1880	1881	

Le 10 Mars 1881

Le Comptable Général

L. G. G.

احدى جداول الضرائب المفروضة على ناس الحضنة بعد انتفاضة 1871

(Sous-Préfecture)

le 15/11

Objet
Rapport de l'inspecteur
des affaires indigènes
M. Boudry
Rapport de l'inspecteur
des affaires indigènes
M. Boudry

Copie

à M. le gouverneur de l'Algérie
à M. le directeur des affaires indigènes, qui
me l'a adressé, en lui envoyant une lettre
de remerciement de 5000 francs.

Setif le 3 Mai 1871

Signé

M. Boudry Commandant

La date du 1^{er} Mai 1871 sous le n° 336,
j'ai reçu de M. le Général Commandant la Division
la dépêche impériale que j'ai l'honneur de vous adresser
par courrier.

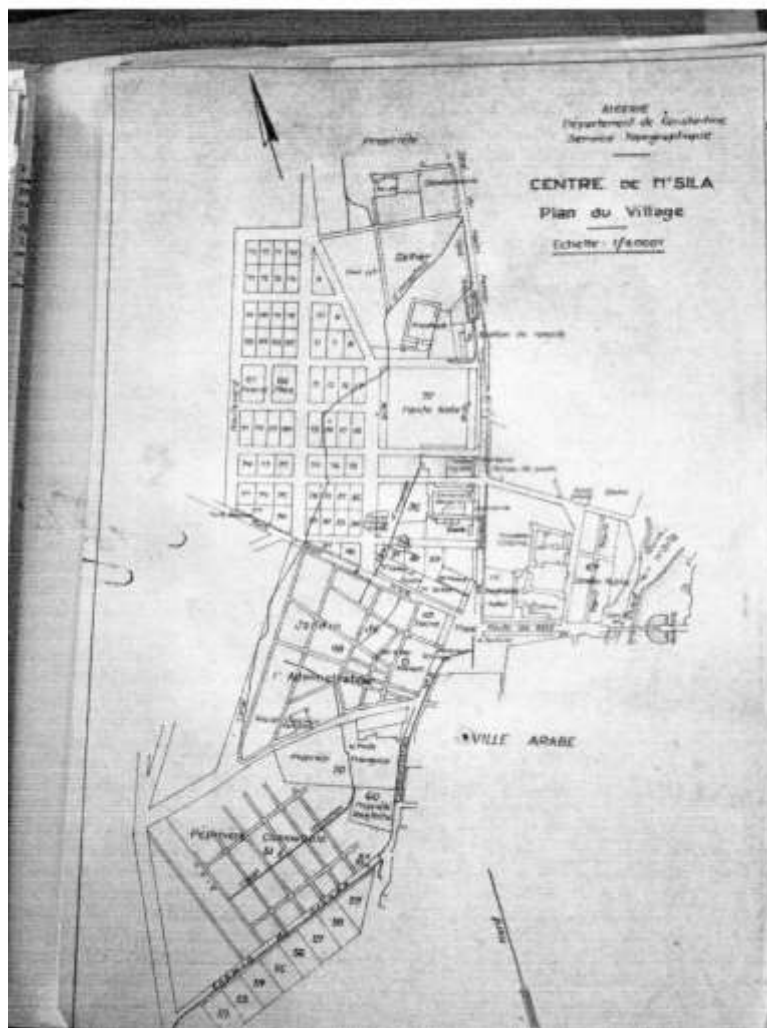
Je résume de nouveau le contenu de votre
la dépêche suivante:

« Une lettre et une circulaire en date du
15^o 1871, datant, approuvant la loi de l'Etat
« L'Oran (Année de l'Etat) est inscrite au registre
« relatif aux affaires indigènes, concernant le paiement
« d'une somme de 5000 francs et l'abandon d'une somme
« d'argent de 5000 francs. Cette somme ne peut être
« utilisée par l'Etat avant longtemps. Je vous
« en ai fait mention au 1^{er} 1871, dernier, le
« 1871, pour la faire étudier la question de savoir
« s'il ne serait pas opportun, tant pour le intérêt
« de l'Etat que pour une des indigènes de substituer
« dans les Ouled Derradj le rachat en argent
« au rachat des terres.

« La date du 11 Avril courant, section
des affaires indigènes 1871, pour en avoir en conséquence
« transmis aux agents locaux un rapport
« à M. le Capitaine Durrant, chef de l'arrondissement
« de l'Oran, dans lequel j'ai exposé les renseignements
« et les propositions ci-dessus.

« Les deux lettres dont l'abandon a été constaté

احدى الرسائل المتعلقة بمصادرة الاراضي بالحضنة بعد انتفاضة 1871.



مخطط لمركز الاسيطان الفرنسي بالمسيلة 1890.



احدى الرسائل من قبيلة الحشم وتظلماتها من نقلها الى الحضنة ومشكل
الارض بها.



الحدود الادارية لاقليم الحضنة بداية الاحتلال الفرنسي

GOVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE
COLONISATION

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Alger, le 31 Octobre 1900.

NOTE. — Plan de l'arrondissement de Sétif, à l'échelle de 1:50,000, et le n° de la feuille 1:50,000 de la n° de Sétif.

ARRONDISSEMENT DE SÉTIF
Commune mixte de M'Sila

HODNA
Projet de M. Vivarez.

LE GOUVERNEUR GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE
A MONSIEUR LE PRÉFET DE CONSTANTINE
(P. Bureau).

Le 18 Mai dernier, sous le n° 3,583, vous m'avez transmis les rapports présentés par les Services des Ponts et Chaussées, des Mines et des Domaines, ainsi que par M. l'Administrateur de la commune mixte de M'Sila et par M. le Sous-Préfet de Sétif, au sujet du projet de M. Mario Vivarez tendant à la mise en valeur d'une partie de la région du Hodna au moyen de l'initiative privée.

M. Vivarez demande la concession de 7,800 hectares de terres domaniales situées dans la commune mixte de M'Sila, le droit de jouissance sur des terrains de parcours et dans des communaux de douars, l'autorisation de faire pacager 50,000 moutons au maximum pendant la période de transhumance sur les terrains domaniaux des communes mixtes de l'arrondissement de Sétif, enfin le droit exclusif de recherches minières et autres produits du sol sur tous les terrains collectifs, communaux, domaniaux et forestiers de la commune mixte de M'Sila, avec autorisation de disposer des produits et droit de préemption au point de vue de la concession.

En échange de ces avantages, M. Vivarez s'engage à exécuter divers travaux d'hydraulique, notamment un barrage-réservoir sur l'Oued Ksob et 20 puits artésiens ; à installer sur le territoire concédé cinquante familles d'origine française ; à fournir au centre de M'Sila la force motrice nécessaire à son éclairage ; à abandonner une redevance de 10 0/0 sur les produits nets des exploitations extractibles

احدى الدراسات الاستعمارية المتعلقة بالاستيطان بالحضنة التي قدمها

المهندس فيفاراس

1-أرشيف ما وراء البحار باكس اون بروفانس بفرنسا

-1 - ARCHIVE –D'OUTR MER-Aixe-en Provence:

Gouvernement général de l'Algérie

Serie F:

F80.506:cercle de bordj bouareridj 1857.

Bureaux arabe du constantinois dossiers(série K)

1k190:correspondance avec l'annexe deM'sila1883.1885.

1k276/279:troubles dans les tribus.1863.1864.

1K308:tribu Hachem 1884-1888.

1K337:carte des voies d'exploitation dans le bassin du Hodna 1866.

63K3 :cercle de bordj bouareridj(1850-1881)personnels et
commandement)

Rapport hebdomadaire 1860-1873,situation matériel des tribus,

63K6(6-10)rapports mensuels 1850-1873.

63k14:cercle de BBA résume des faits historiques et militaire 1877.

63k16:administration et comptabilité(impôt et contribution de guerre 1871-1873.,état de recouvrement de contribution de guerre 1871-1880.

64K1:poste m'sila,1871-1873(personnels et commandement)

Rapport hebdomadaires(1871-1873)

65K1:Annexe de m'sila(1871-1884),tableaux d'organisation(1870-1880)

1882.,colonisation dénombrement de la population 1774-1884,rapport sur les personnalités influentes

65k8:impôts,santé publique,enseignement,écoles –arabo – musulmans

Statistiques de population,commerce, situation agricole

40KK29:bureaux arabe,cercle de setif.

Serie H organisation Administrative(affaire indigène)

-note sur l'organisation du hodna avant 1844.

6H1:notice biographique sur les chefs indigènes de la province de Constantine;el mokrani,ben gana.

2H61:Hodna,insurrection de 1871.

6H28:cercle de Bordj Bouareridj-6H34:chefs et personnalités indigènes 1841-1898.

8H3:Historique tribus de constantine.

8h4:organisation des cercles de Batna,dossier Souamaa.

8H7;subdivision de setif(création et organisation des cercles de BBA M'sila,Bousaada,notice historique et géographique.1940-1880.

8H21:cercle de Bousaada1883-1904.

-Historique de cercle de bousaada .1849-1853.:organisation du territoire de sud (bousa ada, sidi aissa)

-precis historique du cercle de Bordj Bouarericidj1857

10H76:historique de l'annexe de Barika.

11H28:rapport sur la situation politique février 1872

Serie M: Senatus consulte

M1002(82)117mcom179,rapport d'application du senatus consulte de M'sila 1905

M86/117mcom148,mellouza.

M87(113) 117-161 ouled derradj1867

M60(95)117-105 ouled Madhi 1896

M103(297)117-183 ouled mansour 1910

M107(328)ouled sidi brahim 1926.

M49-105,ouled sidi aissa,1901-1928.

M53-M107(322)ouled sidi hadjress 1921-1923.

M101(285)117-180 Souamaa 1906

M95(239)117-167ouled hannech 1900.

M100(283)117-mcom150) Maadid 1905

M53(117-mcom88)ouled abdallah 1923.

M104(300)117/mcom124 Kherabcha 1910.

M110(322)ouled khaled 1938.

M107(330)ouled ameur 1926.

M93(211)117/mcom163 Dreat.

الأرشيف الاستعماري بلدية المسيلة المختلطة ACMM:

2: أرشيف ولاية قسنطينة ADC:

FOND DE L'ARCHIVE COLONIALE DE LA COMMUNE
MIXTE DE M'SILA

Monographie,Rapport,Notice,statistiques

3-أرشيف مديرية مسح الأراضي بقسنطينة ACC

PVd'aplication de senatus consulte des tribus de M'sila,Ouled
derradj, Ouled Madhi,Souamaa,

M'sila PVN°:170

الأرشيف الاستعماري بلدية المسيلة المختلطة ACMM:

-1Boite N°:2-Alimentation en eau potable,ouvrage d'art avec plan et
rapports des ingénieurs,cahier de charges,affaire alfred savournain.
(1892-1890).

2-Boite N°:10-1-travaux communaux :projets de construction de fontaines et puits,devis ,dessins et avant -métrie (1905/1909). (1932/1956).

3-Boite N°:12-01-Police locale: débits de boissons,hôtels :arrêtés et instructions-(1922/1956). propriété "indigène" -Location des terres.(18896-1962).

4-Boite N°:19-2-colonisation :lotissements urbains et industriels, plantation d'arbres,cession des domaines,irrigation-(1917/1934).

5-Boite N° ,30,elections a l'assemblée algerienne.

6-Boite N°:43-01-Barrage de ced faguess;plan , rapports,taxe de rôles listes des usagers.-(1929-1955).

7-Boite N°:51-01-enquêtes parcellaires au sujet des propriétés "indigènes"P.V ,arrêtes ,requêtes,plans des domaines-(1902-1911).

8-Boite N°:53-03-chômage: circulaires et instructions aides aux miséreux ,lutte contre le chômage.-(1924-1951).

9-Boite N°:54-03-Familles nombreuses;indemnités familiales.-(1942-1952).

10-Boite N°:59-01-colonisation ;lots de jardins,irrigation,prêts,PV de mise en possession et de constatations-(1921-

11-Boite N°:62-2Aménagement des eaux pour les "indigènes" situation économique.(1935-1937).

12-Boite N°:62-03-Aménagement des eaux pour les "indigènes"situation économique -(1935-1937).

13-Boite N°:67-01-société indigène de prévoyance:personnels circulaires correspondances.(1936-1952)

14-Boite N°,76,construction d'une infirmerie pour indigenes(1904-1917).

15-Boite N° 108: Elevage☹1929-1942).

16-Boite N° 112:Arrêtes et instructions au sujet des achabas(1936-1944).

17-BoiteN° 115:creation d'un centre de colonisation à M'sila (1895-1922).

18-Boite N°:127-01-litiges portant sur les propriétés des "indigènes" (1898-1943).

19-Boite N°:133-04-rapports des caïds au sujet de l'état civil des "indigènes"(1949).

20-Boite N° :141, propriete indigenes:enquetes partielles,plaintes.(1907-1940).

21-Boite N° 143: irrigation oued selmane,reglementation des eaux(1901-1951).

1.Agriculture:statistique agricole(1934-1951).

2.Boite N°:165-02- garde champêtre et Khodja; rapports, arrêtés (1925-1956).

3.Boite N°:171-01-Propriété indigènes requêtes et vente de terrain demandes d'acquisitions de terrain,propriété collective(1929-1953).

4.Boite N°:171-02-Propriété indigènes :revendications de douar Addi guebala (1887-1917).

5.Boite N°:171-03-propriété indigènes ;revendications douar el djorf (1893-1903.)

6.Boite N°:171-04-propriété indigène ;revendications de douar Ouitlane (1893-1907).

7.Boite N°:171-05-propriété indigène réclamations de douars Selmane (1897/1907).

8.Boite N°:183-01-colonisation ,propriété indigènes ,impôts.(1879/1952).

9.Boite N°:185-01-biens communaux des douars :délibération de la djemaa des douars.(1917-1939).

10. Boite N°:188-01-Propriété "indigènes" tableau des terrains labourées séquestre collectif(1904-1931).

11. Boite N°:188-02-propriété" indigènes" instructions(1911-1921).

12. Boite N°:194-02-Activités des Oulamas, secours populaire, Amis du Manifeste .(1932-1945).

13. Boite N° 200:Enquete administratives(1940-1957).

14. Boite N°:208-01-Propriété "indigène :revendications du M'sila (1886-1894).

15. Boite N°:208-04-Travaux des Initiatives communales (T.I.c)scolarisation inventaire des objet mobilières et matériel.

16. Boite N°:210-01-Irrigation;Oued Mezrir et oued Selmane. (1929-1959)

17. Boite N°:210-02-Irrigation d'ouled loughman (1901-1992).
18. Boite N°:210-03-Irrigation : syndicat.(1898-1978)
19. Boite N°:210-04-Irrigation de oued ksob,usage des eaux(section et commune mixte de M'sila) .(1878-1928).
20. Boite N°:224-02-Propriété "indigène" P.V des séquestres et rapports (1875-1888).
21. Boite N°:224-03-colonisation :propriété Domaniale , lots urbains, lots ruraux.(1924-1942).
22. Boite N°:225-02-Propriété des colonisation :propriété domaniale,lots urbains, lots (1920-1935).
23. Boite N°231:rapport mensuels sur la situation économique et politique(1939-1941).
24. Boite N°233:Société indigène de prévoyance(1934-1944).
25. Boite N°:236-01-sénatus consulte :programme des travaux à exécuter 'section et commune mixte de M'sila)(1883-1894).
26. Boite N°:236-02-propriété "indigène" :terres migkhzen de Selmane (1895-1928).

27. Boite N°:236-07-colonisation :lots urbains,lots ruraux ,vente de gré à gré (1905-1930).

28. N° 241: sequestre collectif:convention relative aux bien séquéstrés(1874-1889),propriete indigenes(1887-1925)..

29. Boite N°:245-01- statut des juifs ,colonisation :lots urbains,rapports sur la propriété foncée,plaintes et correspondances (1925-1939).

30. Boite N° 246: maison de tolerance:plaintes et rapports (1920-

31. ADC:Monographie,Rapport,Notice 2: أرشيف ولاية قسنطينة.

3-أرشيف مديرية مسح الأراضي بقسنطينة ACC M'sila PVN°:170

ثانياً: المؤلفات باللغة الفرنسية (كتب ومقالات).

1. l'Abbé Burzet:l'Algerie,1866-1867-1868,sauterelles,tremblement de terre, choléra,famine,imp de E.Garaudel (Alger)1869.

2. Achille ,Fillias:Histoire de la conquête et de la colonisation de l'Algérie (1830-1860), -A. de Vresse (Paris)-1860

3. Addi;(houari):De L'Algérie Précoloniale à l'Algérie coloniale;économie et société ;ENAL,Alger ,1988.
 4. André prenant: facteurs du peuplement d'une ville de l'Algerie:Setif,in Annales de geographie,anneé1953,volume 62, numero 334,pp434.451.
 5. Augustin Bernard: Structure de l'Algerie,in Annales de geographie,anneé 1923,volume177,pp271-275.
 6. Augustin Bernard : L'evolution du nomadisme en Algerie ,Annales de geographie,Anneé 1906,volume 15,numero 80,pp 152.165.
 7. Ageron,(Charles, R):Histoire de L'Algérie,contemporaine; PUF, Paris;1982.
 8. AGERON,CR:les Algériens Musulmans et la France ,PUF1968.
-
9. Ageron,(ch,r): Les migrations des musulmans algeriens et l'exode de tlemcen(1830-1911)Annales

,Economies,Sociétés,Civilisation,Année 1967,volume 22,numero 5,pp1047.1066.

10. Alquier,(P):Notices concernant les communes mixtes du département de constantine ;M'sila ,1927.

11. Augustin,(Bernard).L'organisation Communale des indigène de l'algerie,librairie Emil la rose ,Paris 1918.

12. Bayle,c:une excursion dans le département d'Alger,paris,1888.

13. Berbrugger,(A) les Aribes ,,in RAF1864.

14. Berque,(J)Aspect du contrat Pastoral a Sidi Aissa, in RAF 1936.

15. Beyssade ,(J):Monographie de la commune mixte de Maaddid. Alger1948.

16. Blanchet,M:Excursion archeologique dans le hodna et le sahara,in recueil des notices et memoires de" la societe archeologique de la province de constantine ,1863,

17. Boudia,(Mérad);La Formation sociale Algérienne Pré coloniale essai d'analyse théorique OPU ,Alger.1981.

18. Boudoin,Robert:monographie manuscrite sur la commune mixte de M'sila1937.

19. Boujades,(G):notes chronologique sur la région d'Aumale (1845,1878)in(RSADO1891).
20. Boukhobza ,(M) nomadisme et colonisation, thèse de 3^{eme} cycles-1976.ecole des hautes Etudes en sciences sociale Alger
21. Bourdieu,(P) :sociologie de L'Algérie ,PUF.6em édition Paris , 1980.
22. Boyer (Pierre):La vie quotidienne a Alger à la veille de L'intervention Française , Hachette, Paris,1963.
23. Brunchivg,(R) :La Berberie orientale sous les Hafside ,La Maison neuve ,Paris, 1940.
24. Brunhes,Jean: Etude de geographie humaine,L'irrigation,ses conditions geographique,ses modes et son organisation dans l'Afrique du nord, faculte des lettres, universite de Paris,1902.
25. Bulletin officiel du Gouvernement de L'Algérie.
26. Buraux,(L):Le nomadisme et la colonisation sur les haut Plateaux de L'Algérie ,Paris ,1931.
27. Callot ,(Claude):les Institution de L'Algérie durant la période coloniale (1830-1862)Alger –Paris ,OPU,CNRS,1987.

28. Carrette,€ :Exploration scientifique de l'Algérie 1840
29. CAT:Petite histoire de l'Algérie, Alger 1889.
30. Cheyron commandant:l'insurrection de 1871 en Algérie, journal d'un officier, -H. Plon (Paris)-1873
31. Congrès de la colonisation rurale. 3, Monographies algériennes : Alger 26-29 mai 1930 / [organisé par le] Comité de l'Afrique française -Ancienne impr. V. Heintz (Alger)-
32. Daumas,(E):le Sahara Algérien, Dubos Frères ,Alger,1845.
33. Despois(J):La Bordure saharienne de L'Agerie Orientale in,RAF:1942.
34. Despois,(J) et Raynal: Géographie de l'Afrique du Nord ,Paris,1964.
35. Despois,(J):Le Hodna,PUF,Paris,1953.
36. Despois,(j):La repartition de la population en Algerie,Annales,economies,societés,civilisations,année1960,volume 15,numero 5,pp915-925.
37. Despois,J, L'Afrique du Nord (colonies et Empires)PUF1954.

38. Despois,j: relief et hydrographie des hautes plaines constantinoises,in Annales de geographie,anneé 1952,volume 61,numero 323,pp62.63.
39. Duval(J)et warnier ,(A):Bureaux arabes et colons, Paris,1869.
40. -Edmont,Sergent et autres:Contribution de l'institutPasteur d'Algerie à la connaissance humaine,in cahier d'outre mer ,volume 7-8 année 1954,pp305-310.
41. Feraud,(ch,L) Les Beni Djellab, sultans de Tougourt notes historiques sur la Province, de Constantine in RAF N°:28, 1884.
42. Feraud,(chL) les Mokrani, seigneur de la Medjana, in RSADC.1871.
43. Feraud,(chL):Histoire des villes de la Province de Constantine, Sétif ,BBA,M'sila ,Boussaâda ,in RSADC,1872
44. Feraud,(chl):notice historique sur la Province de Constantine RAF1886
45. Fontaine,(D) : Bousaada Porte du désert, Dervy, Paris ,1952.
46. Gaid,(M) : les Mokrani. Editions Andalouses, Alger 1993.

47. Gaid,(Moudoud): les beni Yella et la vérité historique sur l'insurrection de Mokrani en 1871,Alger, 1952.
48. Galland (D) : Excursion à Boussada et M'sila , Paris ,1899.
49. Gautier,(EF) :le Passé de l'Afrique du nord ,Paris , 1937.
50. Gautier,(EF):L'islamisation de l'Afrique du Nord ,les siècles Obscures du Maghreb,Paris, 1927.
51. Gauvion,(Marthe et Edmond):Kitab Aayane El Marhariba imp Fontaine Frères ,Alger, 1920.
52. Grammant,(H.D):Histoire D'Alger sous la Domination Turque 1515-1830. ed Bouchene-2002.
53. Grange,@Monographie de Tobna in RSADC 1901
54. Gsell(st):Atlas archéologique de l'Algérie,1902,1911.
55. Guin: notes historique sur les Adaoura, in RAF,11873.
56. Guiraud,René:Morphogenese quaternaire de la region du hodna(Algerie du nord),in Annale de geographie, année 1970,volume 79,numero433,pp367-374.
57. Hadad (Mostefa):Emergence de l'Algérie Moderne, imp A.Guerfi Batna ,2001.

58. Jean Jacques Perennes:L'eau et les hommes au maghreb,édition karthala,Paris,1993,
59. Jules,(oget)Une expédition Algérienne,épisode de L'insurrection de 1864,imp-fabiani, Bastia 1871.
60. Julien,(ch,A):L'insurrection de Kabylie 1870-1871,Paris,1963.
61. Julien,(ch.A):Histoire de L'Algérie contemporaine la conquête et les début de la colonisation (1827-1871)PUV ,Paris , 1964.
62. Kaddache (M) :L'Algérie durant la Période Othmane OPU,Alger,1991
63. Kaddache (Mahfoud),L'Algérie Médiévale, SNED, Alger 1980
64. Maceira ,(Paul):Histoire de M'sila du xxv siècle in Bulletin de la société Historique et géographique de Sétif N°:1941.
65. Maguellone,(J): Monographie Géographique et historique de la tribu du Hodna Orientale in RSADC ,1909.
66. Marcaillai: le département de Sétif et ses environs, Imp. Baconier, Alger,1960.
67. Marçais,(G) :Deux stèles funéraires hamadites du musée st-Gsele, in BSH.GS.1941.

68. Marçais,(G):Les Arabes en Berberie XI-XIV siècle Constantine 1914.
69. Marçais,(G):le costume Musulman d'Alger, collection du centenaire de l'Algérie ,Archéologie et Histoire1830-1930,libraire Plan, Paris,1930.
70. Marcel Larnaud:le hodna(compte rendu) ,in Annales de geographie,année 1954,volume63,numero 335,pp62.64
71. Maurice,Wahl:l'ALGERIE,imp Germer Bailliere,paris ,1882.
72. Mercier,(E):Les Arabes d'Afrique jugés Par les auteurs Musulmans, in RAF N°:17,1873.
73. Mercier,(E)Histoire de Constantine, imp. Jérôme Marle et F.Biron ,Constantine ,1903.
74. Ministere de la GUERRE :TSEF.1940-1941.
75. Nacib(Y):culture Oasiennes, Boussaâda, essai d'histoire sociale Alger, ENAL,1986.
76. Nouché "(André): Enquête sur le niveau de vie des Populations rurales constantinois, de la conquête jusqu'à 1919,Paris,1961.
77. Octave ,Teissier:ALGERIE,librairie Hachette,paris,1865.

78. Payen:colonisation du Hodna, in RSADC1893.
79. Payen:notice sur les travaux hydroliques anciens du Hodna in RSDAC,19090.
80. Pelissiers:Annales Algérienne vol-1Auselin et Gautier Laguione;Alger ,1836.
81. Pelut:notice historique sur la commune mixte de M'sila 1895.
82. Pervot:Administration des communes mixtes en Algérie Adolph jourdane,alger1884.
83. Pervot:les Pouvoirs des Administrateurs des communes mixtes en Algérie,1890.
84. Peyronnet©:livre d'or des officiers des officiers indigènes (1830-1930) imp. P Guia nchain;Alger,1931.
85. Probst-Biraben: les rites d'obtention de la pluie dans la province de constantine,journal de la societe des africaniste,année 1932,volume 2,numero1,pp950102.
86. Poulle:Ruine de Bechilga (Zabi)in RAF.1861.
87. Paul Eudel.: D'Alger à Bou-Saada . Illustrations de H. Eudel -A. Challamel (Paris)-1904 .

88. Recueil officiel des Actes de la Préfecture de Constantine 1915.

89. René Emsalem:Marcel Larnaue,Algerie(compte rendu) Revue de geographie de Lyon,année 1952,volume 27,numero1,pp 85.87.

90. Rinn,L:Marabout et Khouar: étude sur L'islam en Algérie A; Jourdar;Alger,1884.

91. Rinn,L:Nos Frontières Saharienne in RAF1886.

92. Rinn:Deux chansons Kayles sur L'insurrection de 1871 in RSADC1887.

93. Rinn,L:Histoire de L'insurrection de 1871 Alger 1891

94. Robert,A:La castella de la Plaine de Sétif in RAF 1971.

95. Robin,N:Expédition du général Blangini en Kabylie, in RA 1885.

96. Robin,N:notes sur Yahia agha in RAF N° 18-1874.

97. Ronna,a:arrosées, l'économie des irrigations, histoire, législation et administration. -Firmin-Didot (Paris)-1888-1890 .

98. Savornin,J :Etudes Géologique du Région du Hodna et Plateaux Sétifien, Alger,1920.
99. Savornin,J:L'hydrologie du Hodna, Bulletin service de la carte géologique de l'Algérie, Adolph Ejourdon Alger-1908.
- 100-Shaw,D:voyages de M'show dans plusieurs Province de la barbarie d'Alger et de Tunis ,A de la hate Jean, Neouline.
- 101-Uvcapitaine,(B):les Fondateurs de Boussaâda,in RAF,1861.
- 102-Vayssette, E! Histoire des derniers Beys de Constantine in RA 1861.
- 103-Vayssette, E;De Boussaâda par M'sila ,BBA,Barika et Tobna, in RA,1861.
- 104-Vayssettes, E; Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 a 1837,Paris édition bon chérie 2002.
- 105-Vidalle de la blanche: L'irrigation,d'apres Mr jean brunhes:etude de geographie humaine,l'irrigation,ses conditions geographique,ses modes et son organisation,in Annales dec geographie,anneé1902,volume 11,numero 60,pp 457.460.

106-Ville ,J: voyage d'exploration dans le Bassin du Hodna et du Sahara, Alger,1873.

100. Xavier (De Plantiol) les Fondement géographique de l'histoire de l'islam , Paris,1960.

107-Xavier Yacono:Les prisoniers de la smala d'abdelkader ,revue de l'occident musulman et de la mediteranné,année 1973,volume 15,numero 1,pp 415.434.

ثالثا : المؤلفات باللغة العربية (كتب ومقالات):

1-أحمد دوغان ،شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ،الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

2-احمد حماني ،شهداء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مطبعة الخلدونية،الجزائر..

3-إسماعيل العربي : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر .

4-ابن خلدون (عبد الرحمن): تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مطبعة دار الكتب العلمية،بيروت لبنان 2003 م 1424هـ.

- 5--ابن قينة،عمر : الديسي حياته واثاره وادبه الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1977.
- 6-ابراهيم مياشي:،الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1834-1837 دار هومة ،الجزائر،2005.
- 7-بوديلمي علي : أماطة اللثام ، المطبعة العليوية - مستغانم 1939
- 8-بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، 1997.
- 9-بيرم كمال:مدخل الى تاريخ المسيلة،دار الاوطان الجزائر 2012
- 10-بيرم كمال:الاحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بالحضنة،دار ميم للنشر الجزائر 2012
- 11-بيرم كمال:معالم الحركة الوطنية باقليم المسيلة،ديوان المطبوعات الجامعية بالمسيلة،2014.
- 12-بيرم كمال:الاحتلال الفرنسي وتطور القيادة بالحضنة،دار الاكاديمية الجزائر 2013.
- 13-بيرم كمال:المقاومات الشعبية بالحضنة بين 1838-1871 دار الارشاد الجزائر 2013.

14-بيرم كمال:من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني الحضنة امودجا دار الاوطان
الجزئر 2016

15-التميمي عبد الجليل: أول رسالة الأهالي الجزائر السلطان سليم الأول ن المجلة
التاريخية المغربية وعدد 6، جويلية 1976 تونس .

16-الجيلالي محمد بن عبد الرحمن :تارخ الجزائر العام ،ج4،ط7، ديوان
المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1994 .

17-جوليان شارل اندي:تاريخ إفريقيا الشمالية ،/تعريب محمد مزالي والبشير
سلامة ،ج2، الدار التونسية للنشر تونس 1978.

18-الحفناوي (ابو القاسم): تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر الجزائر
1991.

19-حليمي عبد القادر: مدينة الجزائر ،نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة
العربية لدار الفكر الإسلامي الجزائر، 1-أحمد توفيق المديني : كتاب الجزائر طبعة
دار المعارف القاهرة -1963 .

20-ابن شعيب (محمد بن علي): أم الحواضر في الماضي والحاضر،تاريخ مدينة
قسنطينة ،مطبعة البعث قسنطينة 1980.

21- ابن ميمون محمد الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداتية في بلاد
الجزائر المحمية ، تقديم محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
الجزائر 1951.

22- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب
الإسلامي، 1997.

23- خير الدين:،مذكرات خير الدين :الجزء الأول،المؤسسة الوطنية للكتاب
،الجزائر.

24--دبوز،محمد علي : نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ،ج 2 ط
1،المطبعة التعاونية ،سوريا ، 1965.

25-الزبييري محمد العربي :مذكرات احمد باي وحمدان خوجة بوضربة الشركة ،
الوطنية للنشر والتوزيع ،ط2الجزائر 1981.

26- عبد الغني خطاب : مناقب الشيخ محمد بن عبد الله الديلمي ، طباعة دار
تلمسان -ابن خلدون 1372 هـ الموافق لـ 1953 .

27-عبد الرحمن بن العقون : الكفاح القومي و السياسي . ج 1 الشركة الوطنية
للنشر و التوزيع ،الجزائر .

28-عبد الله ركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري الحديث ،تونس، ليبيا :
الدار! العربية للكتاب،1977م.

- 29-:العارم عزاني،موسى الاحمدي نويوات،حياته واثاره ،رسالة ماجستير ،جامعة قسنطينة،1998.
- 30-سعد الله أبو القاسم:أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1986.
- 31- سعد الله،أبو القاسم :محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الطبعة الثانية،1982.
- 32- سعد الله ،،'مؤلفات ألمشرفي المعاصر للأمير عبد القادر' مجلة الثقافة'عدد75 السنة 13 الجزائر جوان 1983.
- 33--سعد الله ،،-تاريخ الجزائر الثقافي - ج3-دار الغرب الاسلامي ،المجلد الرابع،الطبعة الثانية بيروت 2005 .
- 34-سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
- 35--السعيد وحماني:الشيخ موسى الاحمدي نويوات،حياته و اثاره الفقهيةو الادبية، نشرةالدراسات الاسلامية ،الجزائر ،المجلد الثالث،العدد السادس،2004.-
- 36-الشنيتي محمد البشير :تاريخ الجزائر في الاحتلال الروماني ن ج1.المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1981.

37-العنتري محمد الصالح : تاريخ قسنطينة : مراجعة وتقديم وتعليق يحي

بوعزيز ، ديوان م. ج الجزائر 1991.

38-فرкос صالح : المكاتب العربية ، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر (1844-

1871) جامعة أفمنتوري قسنطينة ج1.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

6ص	الفصل الاول: الحضنة عبر التاريخ
6ص	منطقة الحضنة في الابحاث التاريخية:
6ص	الحضنة في الكتابات التاريخية العربية
7ص	أهم الأبحاث التاريخية لمنطقة الحضنة في الفترة الحديثة والمعاصرة:
9ص	الوجود الروماني بالحضنة القديمة:
12	الحضنة بعد الفتح الإسلامي
29ص	الحضنة خلال العهد التركي
	الفصل الثاني :
	اثر السياسة الاستيطانية على الحضنة سياسيا
	مراحل الاستيطان الفرنسي بالحضنة
	الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة
	مقاومة اهل الحضنة للاحتلال الفرنسي
56 ص	- مقاومة الأمير عبد القادر بالحضنة
	احتلال الحضنة
	توسع المقاومات الشعبية بالحضنة بين 1840-1850
	سياسة الاستيطان الفرنسي وتطورها باقليم الحضنة

-انتفاضة المقراني 1871 وظهور حركة الاستيطان بالحضنة

تأثيرات ثورة المقراني 1871 في حركة الاستيطان بالحضنة

أثر المقاومات الشعبية في حركة المصادرة و الإستيطان بعد 1871

1 - المصادرات الجماعية

الاساليب الممهدة للاستيطان الفرنسي بالحضنة

مصادرة الاملاك و الاراضي:

الفصل الثالث

اثر السياسة الاستيطانية الفرنسية على الحضنة اجتماعيا

تأثير حركة الاستيطان في سياسة العسكريين الفرنسيين اتجاه الاهالي:

سياسة التفكيك الاجتماعي لتمهيد حركة الاستيطان

-تحولات القبيلة في ظل الاحتلال بمنطقة الحضنة

تفكيك القبيلة وبروز الدوار بمنطقة الحضنة

نسق المعيشة عند مجتمع منطقة الحضنة و تطوره في ظل الاحتلال

تأثير حركة الاستيطان الاوربي على المجتمع الجزائري

تهجير و تفتيت قبائل حشم المقراني من التل الى الحضنة بعد

انعكاسات سياسة القمع و التهجير بالحضنة

اثر الاستيطان الأوربي الاجتماعية و الاقتصادية بالحضنة

الفصل الرابع:

اثر السياسة الاستيطانية الفرنسية على الحضنة اقتصاديا

المعطيات الجغرافية لإقليم الحضنة

المتغيرات الاقتصادية في ظل حركة الاستيطان بالحضنة

الاستيطان و التحولات العقارية

تأثير الاستيطان في تغيير نمط الحياة عند البدو الرحل

تأثير الاستيطان على النشاط الزراعي بمنطقة الحضنة

الاستيطان الاوربي و مسالة المياه بمنطقة الحضنة

زراعة الحبوب و مكانتها في ظل حركة الاستيطان

ظهور مركز الاستيطان بمدينة المسيلة و تأثير الوجود الكولونيالي نظام السقي

تأثير الاستيطان الاوربي في نظام السقي بمنطقة الحضنة

وسائل الاستيطان الاوربي في التأثير على المجتمع المحلي

تأثير شركة الاهالي للإحتياط

النشاط التجاري الاستيطاني وتأثير النظام الضريبي الاستعماري

من تأثيرات الاستيطان الاقتصادية

تأثير حركة الاستيطان على الإقتصاد التقليدي بالحصنة

الفصل الخامس

تأثيرات الاستيطان الفرنسي الثقافية على الحصنة

ص

الملاحق

فهرس المراجع والمصادر

فهرس الموضوعات